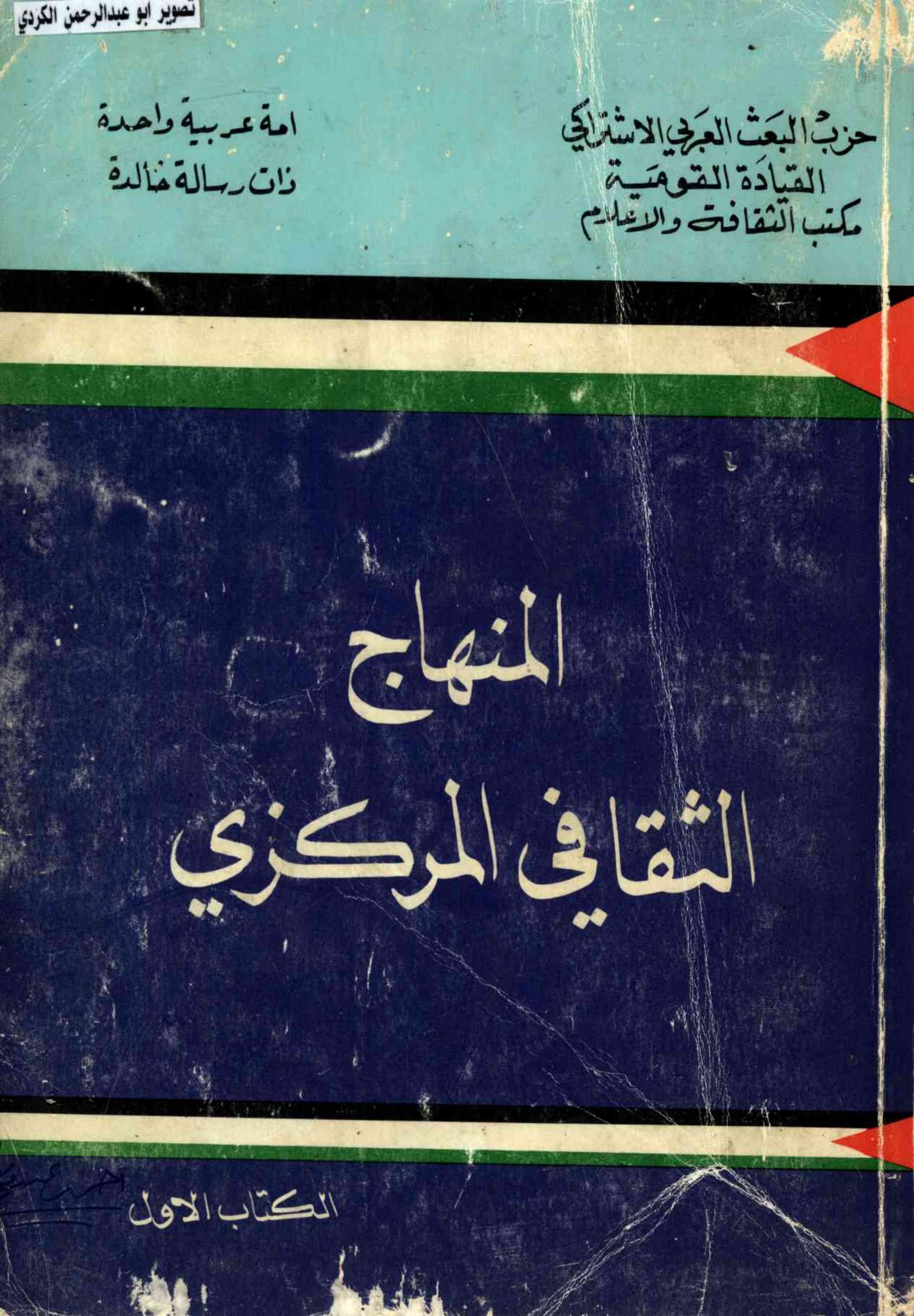

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الثقافة والاعلام
امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة
المنهاج
الثقافي المركزي
الكتاب الاول

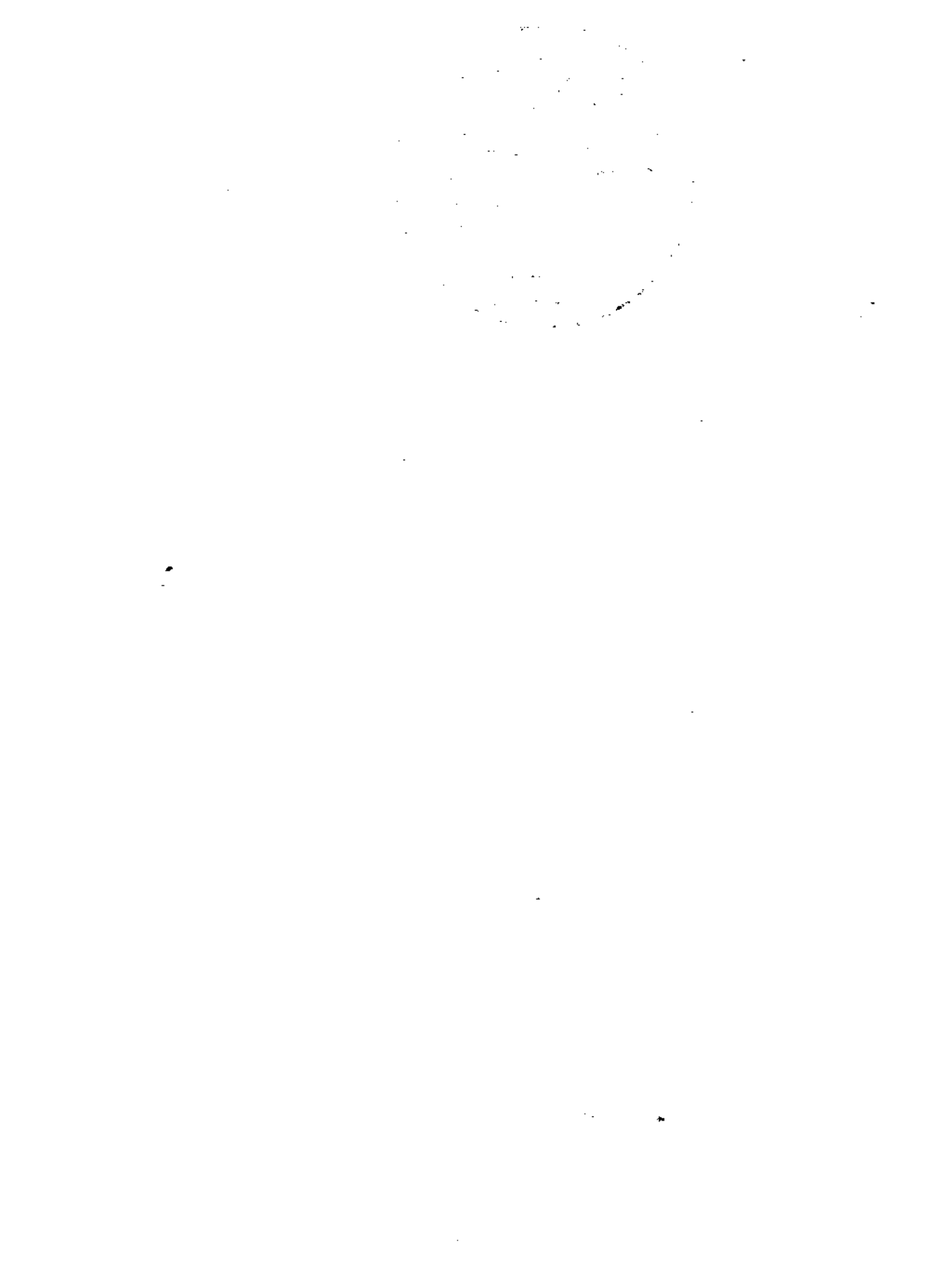

منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الثقافة والاعلام

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

المنهاج الثقافي المركزي

الكتاب الاول



القسم الأول

النضال



الفصل الأول

لماذا البعث

ينبغي التفريق ابتداء بين حركات سياسية واحزاب سطحية تنشأ نتيجة حدث طارىء اومصلحة محدودة اورغبة آنية لمجموعة من الاشخاص، وبين حركات سياسية أصيلة تولد كاستجابة لواقع اجتماعي في مرحلة تاريخية معينة، استجابة لتطلع الامة في تجاوز ازمتها الحضارية، وعوامل السلب في حياتها، وتلبية لتطلعاتها ولحاجاتها الى التغيير الشامل. نجد ان النوع الاول من الحركات السياسية يرتبط ظهوره بوجود اشخاص معينين، او فئة محدودة العدد، اوباحداث وعوامل ليست بعيدة الغور في صنع الحياة. وغالبا ما تزول هذه الاحزاب بزوال هؤلاء الاشخاص، اوبتغيير مواقفهم، او بزوال الظرف الطارىء.

اما الحركات السياسية الاصيلة فترتبط بوجود الجماهير، التي تعبر عن مصالحها، وبالسياق العام للتطور الاجتماعي. ولذلك فان استمرارها لايتوقف على امزجة بعض الاشخاص اوميولهم او افكارهم، ولايتوقف ايضا على حدث سياسي عابر، انما يرتبط بمراحل التحوّل للامة، لحقبة تاريخية قد تمتد عشرات اومئات السنين، ويتصل اتصالا وثيقا بالتحولات الاجتماعية الشاملة. وبمقدارما تكون الحركات السياسية الاصيلة تعبيرا عن صيرورة الامة فانها، في الوقت عينه، عامل حاسم في هذه الصيرورة.. اي انها نتيجة المرحلة وسبب في دفعها الى حالة جديدة متقدمة. وهذا ما نطلق عليه بالتفاعل الوظيفي [1] بين الحزب الاصيل والمجتمع الذي ينشأ فيه.. اي ان الحزب يخرج عن المجتمع، بما يمثله الاخير من موروث حضاري وتاريخي، ومن واقع حي ومن تطلع مستقبلي. ثم ان هذا الحزب يغدو احد عوامل التغيير الرئيسة في المجتمع.. لان الاساس في وجوده هو الحاجة للتغيير والحلم بواقع جديد والتطلع الى ماهو افضل واكثر استجابة لضرورات العصر.

---

(١) نقصد بالتفاعل الوظيفي التأثير المتبادل والمتقابل بين السبب والنتيجة.

ومن البديهي ان حزبا كحزب البعث العربي الاشتراكي لم يكن حزبا مصطنعا او سطحيا، جاء نتيجة لموقف سياسي عابر، اولرغبة لدى فئة معينة في ولوج مضمار العمل السياسي اولمصلحة فئوية محدودة، ومع ان كل الاحزاب تنشأ من افكار يتداولها اشخاص معنيون ثم تتحول الى سياق تنظيمي يحمل هذه الافكار. . الا ان ما يميز الحركات السياسية الاصيلة انها: تعبر عن سياق تاريخي موضوعي فوجودها لايتوقف كليا على دور الاشخاص، بالرغم من ان للافراد دورا هاما في تبلورها كما انها لاتعبر عن مصالح ضيقة وانية طارئة ووجود الافراد فيها مرتبط بصيغ تنظيمية تعبر عن اصالة فكرتها.

وعندما بدأت افكار حزب البعث العربي الاشتراكي تظهر للوجود في بداية الاربعينات من هذا القرن، كانت تعبر عن حاجة الامة لمثل هذه الافكار، واستعدادها لقبولها، واستجابتها لطموحها.

وقد يسأل سائل: ولكن الامة العربية لم تقبل افكار الحزب فور ظهورها وما تزال هذه الافكار تواجه تحديات خارجية وداخلية كبيرة، فكيف تمثل اذن حاجة الامة؟ وللاجابة عن هذا السؤال، لابد من التوكيد بان الحركات التاريخية لايمكن ان تتخذ طابع (الموضة) فتقبل سريعا وترفض سريعا. . بل هي - بسبب كونها حركات تاريخية - تجاهد في شق طريقها الى عقول الناس وضمائرهم. . وانها تتخذ من الامة، وليس من عدد من الاشخاص، موضوعا لها، ذلك ان التحول في حياة الامم لن يتم في اسابيع او اشهر اوعقد من السنين. . ولكن الحكم على كون هذه الحركة تعبيرا عن ارادة امة يتم بالمقارنة بين التطلع الجماهيري الهائم كطيف وبين قدرة الحركة على صياغة هذا التطلع في نظرية واضحة محددة المعالم.

ولكي تتضح اصالة البعث، لابد من النظر الى الواقع العربي، في مرحلة التأسيس والى التطلعات الجماهيرية المشروعة فيه. .

اولا - الوحدة

كانت الامة العربية، عبر مراحل التاريخ، امة واحدة. وقد تجلت هذه الوحدة في

اللغـة الـواحـدة. واللغـة هنـا اداة التفكـير والمنظـور المشترك للذات الانسانية [٢] الى المحيط الخارجي، واستجابات متشابهة لهذا المحيط في الاطار العام.

كما تجلت وحدة الامة في الثقافة المشتركة. ونعني بالثقافة الافكار والعادات والتقاليد وانـماط السلوك والمـوروث الشعبي والاداب والفنون والعلوم، وكل العوامل التي تشكل نظرة الامة الخاصة للكون والحياة. وتجلت وحدة الامة ايضا من خلال تاريخها الواحد، والتـاريـخ هو الـوعاء الذي تتفاعل فيه عبقرية الامة وامجادها وبطولاتها ومآسيها وتراثها وصـراعهـا مع الـذات ومـع الحياة حولها. كذلك تجلت وحدة الامة من خلال المصالح المشـتركـة لاكثـريتهـا الساحقة. . والتطلع الواحد لهذه الاكثرية عبر الازمان. وقد مر على العـرب ردح من الـزمن عاشـوا فيـه في ظل دولـة واحدة، كما كانت عليه الحال في عصر الراشدين، ثم توزعوا على مجموعة من الدول، كما هي الحال في العصر العباسي المتأخـر بعـد ان امتدت دولتهم لتشمل العرب واقواما اخرى خارج الارض العربية كما حصل في العصرين الاموي والعباسي.

ومثـل هذه العـلاقـة بين الامـة والـدولـة مرت بها كل الشعوب فهي تارة تتوزع الى دويـلات، واخـرى تتـوحد في دولة قومية، ومرة ثالثة تتجاوز حدودها القومية. على ان ماتسعى له كل امة هو ان تكون حدود دولتها متطابقة مع حدود التكوين القومي.

ولقـد خضـع العـرب قبل الحرب العالمية الاولى، لدول اجنبية توزعت النفوذ في ما بينها، كالامبراطورية العثمانية، وبريطانيا، وفرنسا، وايطاليا. . وغيرها.

وبعـد ان انتصـر الحلفـاء في الحـرب الاولى، وضعـوا نصب اعينهم تقسيم العرب الى مجمـوعـة من الـدويـلات، ثم راحوا يسعون لاعطاء هذه الاجزاء صفة الديمومة، من خلال خلق التناقض في المصالح بين قطر واخر، ومن خلال الغزو الثقافي وتوطين عوامل النبذ المتبادل.

والاسباب التي حدت بهم الى تقسيم الامة كثيرة، منها، على سبيل المثال لا الحصـــــــر:

(١) تسهيل عملية اقتسام الوطن العربي وتجنب التنازع بين الدول الاستعمارية.

(٢) اضعاف الامة وتفتيت قدراتها البشرية والمادية.

---

(٢) ان اللغة من حيث هي ابرز عناصر الثقافة وخزين التراكم التاريخي لابد ان تلقي بظلالها على وجهة نظر الانسان في العالم.

(٣) الحيلولة دون ان يأخذ التطور العربي اللاحق مسارات متوازية، اي احداث فجوة في مستوى التطور بين هذا القطر وذاك.

(٤) الحيلولة دون نهوض الامة باستنزاف امكانياتها.

وغني عن التأكيد ان غرض الاستعمار من كل ذلك كان يتمثل بالاهداف التالية:

(١) استمرار استغلال الامة العربية، وتوظيف ثرواتها المادية وموقعها الجغرافي وجهد ابنائها، لمصلحة الدول الاستعمارية. وازاء حالة كهذه لابد من حركة سياسية توحيدية، اي ان تجعل الوحدة العربية كرد على التجزئة في مقدمة اهدافها. لان الوحدة العربية هي الاطار الطبيعي الذي يستطيع العربي فيه ان يمتلك عوامل النهضة والتقدم. اما التجزئة فمعناها ديمومة حالة التخلف، او في الاقل وضع العراقيل امام تقدم حقيقي.

(٢) هذا من جهة ومن جهة ثانية فان الاستعباد الاجنبي يجد فرصته في التجزئة، وان أية سيادة حقيقية للامة على ارضها واختيار طريقها لبناء مستقبلها لن تتحقق في ظروف التجزئة.

(٣) كذلك فان بناء اقتصاد مزدهر يوفر الرفاهية والعدالة يتحقق بصيغة افضل عندما يكون مداه كل الوطن العربي.

(٤) ويمكن ببساطة ان نؤكد انه ما كان بمقدور الصهيونية ان تنشي كيانا لها في الارض العربية (فلسطين) وان تغزو اراضي عربية اخرى كمصر والاردن وسورية ولبنان، لو ان الامة العربية كانت امة موحدة في كيانها السياسي وفي اتجاهات فعلها.

(٥) ويمكن ببساطة ان نؤكد ايضا ان ما يغري دولة مثل ايران بالتجاوز على الحدود الشرقية للوطن العربي والاعتداء على العراق هو ظروف التجزئة التي تمر بها الامة العربية. . مما جعل بعض انظمتها كنظام حافظ اسد في سوريا ونظام معمر القذافي في ليبيا يقفان علنا مع العدو ضد العراق.

(٦) ويمكننا ان نؤكد ايضا ان السبب الرئيس وراء الفقر والتخلف الذي تعاني منه اقطار عربية كثيرة هو تجزئة امكانات الامة العربية ووضع الحدود امام تكاملها الاقتصادي، اننا نستطيع ان نتصور التطور في اقتصاديات الامة العربية، لو استطاعت الجمع، على سبيل المثال، بين الامكانات البشرية للقطر المصري،

ورؤوس الاموال للاقطار المنتجة للنفط وخصوبة الارض في السودان، ولو كانت هناك سوق عربية واحدة تستوعب الناتج القومي، ولو كانت الامة قادرة على ان توزع نشاطها الاقتصادي بصيغة التكامل والتخصص، كأن ينتج في العراق ما يكمل الانتاج في السودان مثلا.

(٧) وفضلا عن العوامل التي ذكرناها في توضيح اهمية الوحدة، لابد من الاشارة الى انه نتيجة ظروف التخلف والتسلط الاجنبي، نشأت داخل الامة وكنتيجة طبيعية لحالة التفكك، محاور استقطاب ذات طبيعة متخلفة، تسهم في تقسيم المجتمع حتى داخل القطر الواحد، وتخلق التناحر بين ابنائه وتبدد طاقاتهم في صراعات جانبية، وتسهل نفوذ القوى الاجنبية بين صفوفهم.. من ذلك مثلا النزعات القبلية والمدينية (نسبة للمدينة) والطائفية والعرقية.. ومن المؤكد ان الانتماء للعروبة والايمان المطلق بالوحدة العربية يجعل المواطن، ان صدق ايمانه، في حالة تجاوز لكل انتماء ضيق ضار اخر.

ثانيا: الحريـــة:

ما ان تخلص الوطن العربي من النفوذ العثماني حتى سقط في دائرة النفوذ الغربي الذي تنازعته بريطانيا وفرنسا ابتداء، ثم دخلت الولايات المتحدة طرفا فيه، لاحقا.. ولقد تعرضت الامة العربية لكل انواع الاستعباد القومي:

(١) الاحتلال العسكري المباشر، كما حصل بعد الحرب الاولى، وفي سوريا ولبنان.
(٢) الاستيطان، كما حدث في فلسطين والجزائر.
(٣) القواعد الاجنبية، كما كانت عليه الحال في العراق واقطار الخليج العربي ومصر.
(٤) الغزو الثقافي الذي تعرضت له الاقطار العربية بنسب متفاوته.
(٥) التحكم في مصائر الاقطار العربية من خلال حكومات تابعة.

(٦) الاستعمار الجديد، من خلال ربط عجلة الاقتصاد القومي باقتصاديات الدول الرأسمالية، وخلق طبقات محلية منتفعة بالنفوذ الاجنبي. اذن فالوطن العربي كان يعاني من اشكال السيطرة الاجنبية كلها، وفضلا عن ذلك فان المواطن العربي

ظل يعـاني من اضطهـاد داخلي، تمثل في حرمانه من الحريات الاساسية. . نتيجة سيطرة النظم الاستبدادية. وازاء حالة كهذه لابد من تحقيق امرين مترابطين:

الاول: التحرر من النفوذ الاجنبي بكل اشكاله العسكرية والاستيطانية والاقتصادية والثقافية.

الثـاني: تحقيق الـديمقـراطية الشعبية فالمواطن الحرينبغي ان يكون التعبير السليم عن وطن حر. والديمقراطية الشعبية لاتعني صيغة شكلية مقتبسة من الخارج انما هي نضـح لمجمـل الظـروف القـوميـة[٣] وتحطيم لكـل القيـود التي يعاني منها المواطن العربي، والتي تحول دون ممارسة حريته:

(١) ان الديمقراطية الشعبية لابد ان تعني اعادة توزيع الثروة القومية بما يلغي الهيمنة الطبقيـة التي تسخـر حيـاة الاكثرية للاقلية. وتجعل المواطن سجين حاجات مادية ضرورية ليست يسيرة التلبية.

(٢) ان مما يسهـل تطبيق الـديمقـراطيـة الشعبيـة مـحـو الامية، وتمكين المواطن من ممارسة حريته بوعي ومسؤولية بعيدة عن آثار التخلف.

(٣) الـديمقـراطيـة الشعبيـة لابـد ان تحرر المـرأة من القيـود السيـاسيـة والاجتـماعية والاقتصادية، التي تعطل قدراتها في بناء المجتمع وانجاب جيل قادر على التعامل مع الحياة المعاصرة.

(٤) الديمقراطية الشعبية لاتقتصر على «البرلمان» كمؤسسة تشريعية ومراقبة للسلطة التنفيـذيـة، وانـما هي تشمـل ذلـك وتتجـاوزه الى توكيـد دور التنظيمات الشعبية والمهنيـة والنقـابـات باعتبـارها تمثل شرائح اجتماعية مهمة. . . وفق منظور ثوري واسع وعميق للحياة ودور كل انسان فيها.

(٥) الديمقراطية الشعبية علاقة مفتوحة بين القائد والمقود تجعل التفاعل ممكنا.

(٦) الـديمقـراطية الشعبية حزب تمتد جذوره الى مختلف الشرائح الاجتماعية لتحقيق ما يسميـه الـرفيق القـائـد صدام حسـين «النسـغ الصـاعـد والنسـغ النازل» اي التغذية، والتغذية الراجعة بين القيادة وجماهيرها. وهنا وفي موضوع الحرية يمثل الحزب ايضا استجابة لتطلع الامة نحو تحقيق حريتها كاملة بوسائل عملية.

---

(٣) ان الديمقراطية كمفاهيم وكاسلوب في ادارة المجتمع والمؤسسات التي تعبر عنها لابد ان تتشكل تبعا للخصائص القومية وتتطور تبعا لحركة المجتمع والظروف المحيطة بها.

ثالثا: الاشتراكيــة:

ان الـوطن العـربي ليس مجزءا الى اقطـار حسب بل هومقسم الى طبقـات، ايضا نتيجة وجود اقلية تملك كل شيء متحالفة مع الحكام واكثرية لاتملك غير النزر اليسير وحـالـة كهـذه تجعـل الثـروة القـوميـة من نصيب القلة، وتجعل حركة المجتمع معاقة، وتطـوره محدودا للغـاية، وتحول دون ممارسة المواطن لقدراته في العطاء والبناء، كما تحول دون اظهار الامة لمواهبها الحقيقية وحملها لرسالتها. ثم انها تجعل الفقر حصة اصحاب الحق في السعادة والكفاية. ومن خلال الانقسام الطبقي يتوغل النفوذ الاجنبي ويدوم، لوجود طبقات منتفعة صنيعة. اذن لابد من نظام اشتراكي يحقق امرين في الوقت ذاته:

الاول: خلق الثروة القومية من خلال التنمية، فالاشتراكية ليست توزيعا للفقر بالتساوي.

الثـاني: توزيـع الثـروة القـوميـة توزيعا عادلا بصورة مباشرة (تنظيم مداخيل المواطنين وبصـورة غير مباشـرة) من خلال مشـاريـع الخـدمـات التي تقـوم بها الـدولـة الاشـتراكيـة، ثم من خلال اعـادة النظر في الملكية والادارة الديمقراطية لوسائل الانتـاج، بحيث يكـون مردود العمل للمجتمع كله، غير ان اشتراكية البعث لم تقتبس صيغـة جاهـزة. فأحـد مميـزات الاصـالة في الحزب انه لايستنسخ تجارب لزمان اخر غير زماننا او لمكان اخر غير وطننا.

وعنـدمـا ترتبط الاشتراكية، بالامية فانها تضع الامة في اطار فضفاض يجعلها تسقـط مجددا في دائـرة النفـوذ، ويمـزق تكـوينهـا الخـاص ويضيع التركيز الذي يحتـاجـه نضـالنـا. ان التطبيق الاشـتراكي في قطـر واحد عندما يكون نموذجا، وعنـدمـا يكـون ذا منظـور قومي يختلف عن التطبيق القطـري، فعنـدمـا تتقوقع الاشتراكية في اطار قطري فانها تسهم في توكيد التجزئة ولن تحقق كامل اهدافها سواء في تحقيق نهضة الامة أورفاهية المواطن. وعندما تتحقق في قطر عربي واحد هو القطر الذي تتحقق فيه الثورة لاول مرة فانها لتكون نموذجا عن صورة مستقبل الامة التي ينشدها الحزب تحت الظروف المؤاتية فحسب.

رابعا : التنظيم القومـــــي :

ليس من العسير فهم الالتقاء بين البنية التنظيمية للحزب واهدافه. ودون ان نترك الالفاظ تغرقنا، نستطيع توضيح ذلك بالنقاط التالية : -

(١) ان الحـزب القـومي في العقيـدة لايمكن ان يكون قطري التنظيم لانه حتى اذا ما نجح في تحقيق اهدافه قطريا، وحقق التفافا جماهيريا فسيبقى قطب اللقاء الاخر غائبا. فاذا كانت الامة العربية، بالامر الواقع، اقطارا، واذا اريد لهذه الاقطار ان تتـوحـد، فان الـوحدة، كقناعة، يجب ان تكون موجودة في كل قطر. لان الوحدة لقاء طبيعي وليست عملية فرض. وعلى هذا الاساس يجب ان يكون الحزب في كل قطـر. . ومعنى ذلـك ان حلقـات الحـزب التنظيميـة (المؤتمر القومي، القيادة القـوميـة) وكـذلـك ستراتيجيتـه وبـرامجه يجب ان تكون جميعها قومية. اذن على الحـزب ان يحقق وحـدة الامـة في كيانه التنظيمي من خلال صيغ عملية. ولذلك سعى الحـزب لان يكـون موجـودا كعقيـدة وتنظيم في كل قطر، وان يكون مؤتمره تمثيـلا للامـة وليس لقطر معـين، وان تكـون قيـادتـه هي الاخرى قومية وليست قطـريـة، وان تكـون سياساته داخل كل قطر مستندة الى اعتبارات قومية ومتجهة الى الاهداف القومية.

(٢) واذا اراد الحـزب ان يكـون داعيـة للحرية بحق فان عليه ان يمثل هذه الحرية في هيكله اذ ليس من المعقـول ان يدعـو الى حريـة الامـة من لايسمح بممارسة هذه الحرية داخل صفوفه. ولذلك فان صيغة المركزية الديمقراطية هي العلاقة المتوازنة والمتكاملة بين المركزية والديمقراطية وهي تعني : -

أ ـ خضوع الاقلية لرأي الاكثرية.

ب ـ انتخـاب اولى الحلقـات القيـاديـة من القـواعـد، وانبثاق التسلسل الاعلى اللاحق من هذا.

جـ ـ حرية النقد والنقد الذاتي.

د ـ نفذ ثم ناقش.

(٣) ولكي يكـون الحـزب اشتراكيا فان عليه ان يمثل الاشتراكية في تنظيمه، وبعبارة

اخرى يجب ان يبنيه بالاساس على الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة في الوحدة والحرية والاشتراكية كالعمال والفلاحين والكسبة والعسكريين الثوريين، ولقد دعا الحزب الى اهمية الحذر من سيطرة الشرائح الاجتماعية ذات المصالح الخاصة كالرأسماليين والاقطاعيين. وقد حرص دائما على ان يستند الى الجماهير، وان تكون بنيته ثورية جماهيرية، والجماهير الكادحة ليست صاحبة المصلحة، في التحول الاجتماعي الذي يسعى الحزب اليه حسب، بل هي مادة التحول والطاقة التاريخية القادرة على تحقيقه وهي الضمان لديمومة النضال حتى تتحقق اهداف المرحلة كاملة، وهي صاحبة العطاء المتميز في التضحية من اجل قضية الامة، اذن فان احد مبررات البعث ليس حاجة الامة الى حركة تجسد اهدافها حسب، انما هي حاجة الامة لان تتمثل هذه الحركة اهدافها في طبيعتها التنظيمية كي تتجنب التناقض بين الهدف والاسلوب، وكي يكون التنظيم في مستوى المهمة الكبيرة فيتحمل مسؤوليته القومية كاملة.

خامسا: القوميــــة

الوحدة والحرية والاشتراكية بوصفها اهدافا عامة تستند الى نظرة الحزب القومية ويتميز العصر الذي نعيش فيه بانه عصر العقائد الشمولية.. اي العقائد التي تحاول ان تكون نظرة شاملة مترابطة للكون والتاريخ والانسان في حاضره ومستقبله وتحاول الرد على كافة الاسئلة المطروحة على الصعيد الاجتماعي، سواء السياسية منها ام الاقتصادية ام الاجتماعية، وقد تبلور الصراع الدولي منذ بداية هذا القرن حول هذه العقائد، بعبارة اخرى، فان الصراع بين المصالح القومية اتخذ طابعا عقائديا يسعى لتبريرها ويشكل مقتربات للتأثير في اجزاء العالم الاخرى، وقد تأثر الشعب في الوطن العربي، بقدر او باخر، بالتيارات التالية على وجه الخصوص: -

اولاً : الماركسية اللينينيـــة

وهي نظـريـة جعلت من العـامـل الاقتصـادي العنصـر الحاسم في حركة التاريخ فطبيعـة وسـائـل الانتـاج تفرض نمطا معينا من العلاقات الانتاجية ، وهذه تفرض بناء ماديا خاصا ، يعبر عنه بالقاعدة المادية . وتبعا لطبيعة القاعدة المادية يتشكل مايسمى البنـاء الفـوقي وهـو يشمـل البنى السيـاسيـة والاجتماعية والفكرية . ويفترض الجدل المـاركسي ان المجتمعـات قد تطـورت تبعـا لتطـور وسـائـل الانتاج ، من المشاعية البـدائيـة الى نظـام الـرق الى النظـام الاقطـاعي الى الـرأسمالية التي ستتحول الى الاشتـراكيـة فالشيوعية . ولقد رفضت الماركسية كلا من الدين والقومية معتبرة الاول ، افـرازا اقطـاعيـا ، مستنـدة في ذلـك الى حالـة الـدين كتبرير للاستغلال في العصور الوسطى : اما موقفها من القومية فقد استندت فيه الى كون الدولة القومية ارتبطت في اوربا ، في عصر النهضة ، بصعود البرجوازية وظلت غطاء للتناحر الدولي .

اما ملاحظاتنا الرئيسة على الماركسية فهي : -

(١) جعلت المـاركسيـة من العـامـل الاقتصـادي العـامل الحاسم في تفسير التاريخ مهملة العـامـل السيـاسي القـومي والعـامـل الحضاري التاريخي متجاهلة دور العـوامـل الاخـرى ، كالعقـائـد والتحـديـات الخارجية وطبيعة التكوين القومي والمنـاخ والبيئـة الجغـرافيـة والعبقـريـة الفـرديـة ، التي كثيرا ما تؤثر في النظام الاقتصـادي . ان تطـور المجتمعـات عبـر التاريخ يؤكد تعددية العوامل الفاعلة فيه ، وتبادلها التأثير مع بعضها .

(٢) ان تطـور المجتمعـات ، وكمـا هو واضـح نتيجة الدراسات المعاصرة ، لم يتخذ مسارا واحدا ، ولـم تمر كل المجتمعات وفق المراحل التي حددتها الماركسية ، والتي تحدثنا عنها . ولعل خطأ الماركسية الرئيس هو اتخاذها مرحلة من مراحل التطور الاوربي نموذجا قابلا للتعميم على اصقاع الارض كلها .

(٣) ان القـوميـة شعـور حي ينبثق عن وجـود ، وهـذا الـوجـود يتمثل في الامة واذا ما استغلت البـرجـوازيـة في اوربـا الروح القومية في مرحلة من مراحل تطورها فلا

يمكن القاء تبعة ذلك على القومية نفسها، لان القومية شأنها شأن الحقائق الاخرى يمكن ان تستغل لاغراض متباينة اولم تستغل البرجوازية قضية الحرية لمواجهة النظام القديم؟ فهل يعني ذلك ان الحرية شر! ثم ان الامم لاتظهر عبقريتها بالغاء شخصيتها، والاندماج في اطار اممي، بل بتوكيد هذه الشخصية ضمن منظور انساني وهذا ما اضطر رواد الفكر الماركسي انفسهم الى التمييز بين قومية الشعوب المضطهدة المتخلفة المستعمرة وبين قومية البلاد الرأسمالية . . ومهما يكن من امر فلا بد من الاشارة الى ان الدول الشيوعية، وبعد مرور عقود من السنين على تجربتها لم تستطع ان تلغي الشعور القومي، بل هو يتأكد يوما بعد يوم وكثيرا ما يصل حد الصراع بين دول شيوعية، كما هو حاصل بين الصين والاتحاد السوفيتي، وما يقال عن الموقف من القومية يقال عن الموقف من الدين هو موقف كوني ضارب الجذور في اعماق الناس وهو في جوهره، دعوة للتحرر والمساواة والبحث عن العدالة في الارض وخطأ الماركسية ايضا يكمن في النظر الى حالة المؤسسة الدينية في اوربا في العصر الوسيط وتعميم ذلك على الدين كله.

(٤) لقد ارتبطت الماركسية بالاحزاب الشيوعية كحركة سياسية منظمة وارتبطت هذه بدورها بسياسة الاتحاد السوفيتي، باعتباره قاعدة الاشعاع، ولقد ظل مسلك الاحزاب الشيوعية يستند ليس الى المصالح القومية والوطنية انما الى مصالح الاتحاد السوفيتي ومواقفه . . وتحولت انشطة هذه الاحزاب الى سلسلة من التبريرات السوفيتية، وابتعدت عن حركة الواقع المحلي لبلدانها من الناحية العملية، فضلا عن ابتعادها نظريا عن ملامسة هذا الواقع.

ثانيا: الرأسمالية

لا تعبر الرأسمالية عن نفسها بنمط فكري واحد متسق، وانما بمجموعة من النظريات تلتقي كلها عند تبرير حرية راس المال، والدفاع عن قدسية الملكية الخاصة ومشروعاتها المطلقة، وتبرير القهر الاستعماري للشعوب الاخرى. وقد

تعرض الوطن العربي للاستغلال الاقتصادي للرأسمالية الاجنبية، من خلال سيطرتها على ثرواته واتخاذ اسواقه منافذ لتوزيع سلعها. ورافق ذلك كله غزو ثقافي، اريد منه ان يمتص الوحدة الحضارية للامة، ويشوه نظرتها لتراثها، ويجعلها مقلدة فاشلة للنظم الغربية.

ثالثا: النازية والفاشيــة

تقوم هاتان العقيدتان على اساس نظرة عنصرية، تؤكد على تميز العنصر الآري، وتعطي الحق للدولة العنصرية في البحث عن مجالها الحيوي على حساب الشعوب. وان هذه النظرية تقتل الجوهر الانساني في القومية ولا تؤمن بالقومية، من حيث هي نسيج تاريخي وثقافي موحد ينطلق من الخصوصية ويكون في خدمتها دون ان يستغل الشعوب والامم. وهكذا فان النازية والفاشية تركزان على وحدة الدم ونقائه وانه هو كل شيء في القومية ومن الواضح ان هناك الكثير من خطل الرأي، فضلا عن ان هذا الاتجاه يجعل الانسانية مجاميع عنصرية متناحرة مع بعضها بدل التآلف والتعاون.

وقد عبرت هذه النظرة العنصرية المتخلفة عن روح العصر عن نفسها في الصهيونية وفي النظام العنصري في جنوب افريقيا.

رابعا: تيارات أخــــرى

بجانب هذه التيارات الرئيسة شهد الوطن العربي حركات سياسية، تقف عند حدود الدعوة للاصلاح النسبي، اي الدعوة لتحسين الحال السيء تحسينا طفيفا، ولا تطرح التغيير الجذري الشامل لحالة الامة، وحركات سياسية تؤمن بالقومية ولكنها

** ويقصد هنا بالمجال الحيوي افتراض وجود «حزام امني» داخل الشعوب والدول المحيطة لضمان امن الدول المعنية مما يقود الى التوسع والاضطهاد عن طريق الحروب او بوسائل اخرى.

متقوقعة قطريا، وحركات قطرية تدعو الى الوقوف عند الحدود السياسية والدستورية التي رسمتها القوى الاستعمارية . . وحركات دينية امية سلفية تريد العودة بالوطن العربي قرونا الى وراء، متجاهلة معطيات العصر، وتدعو الى ضياع القومية في متاهات الامتدادات الدينية الواسعة، وازاء حالة كهذه كان لابد من ظهور حركة تلتصق بالتطلعات وبالحاجة الحقيقية للامة وليس بالتيارات الغريبة عنها والمعيقة لنهضتها. وكان لابد على وجه الخصوص من ان تتسم هذه الحركة بالسمات التالية :ـ

(١) نبذ الرأسمالية لانها نظام قائم على الاستغلال.
(٢) نبذ الشيوعية لانها نظرية باتت ترتبط بسياسة كتلة دولية معينة لها مصالحها ولانها لاتستجيب لحاجات الامة العربية، ولانها غريبة عن الشروط المكانية والزمانية، التي يجب ان تستند اليها كل نظرية فاعلة.
(٣) نبذ النظرة العنصرية لانها بعيدة عن الجوهر الانساني للقومية العربية.
(٤) نبذ الحركات الاصلاحية والقطرية والسلفية لانها لاتقدم حلا عصريا لمشاكل الامة يستند الى الجماهير ويكون جذريا وشاملا اي ثوريا.

وانطلاقا من ذلك، كانت الضرورة تفرض وجود حزب قومي ثوري اشتراكي انساني، ميدانه الامة العربية ووسيلته وغايته جماهيرها . .



الفصل الثاني

المناضل البعثي

من الظواهر السلبية في الكثير من الحركات السياسية، التناقض بين الفكر والسلوك. ومرد ذلك الى اسباب كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

اولاً: عدم تمثل العقيدة من قبل المؤمنين بها تمثلا صحيحا، بحيث يكون السلوك استجابة تلقائية للمضامين الفكرية.

ثانياً: نقص في العقيدة نفسها، من حيث عدم الوضوح، او التناقض في مضامينها او عدم استجابتها لبعض من اشتراطات الحياة.

ثالثاً: انعدام او ضعف الضوابط التنظيمية، التي تحتم ارتباط السلوك بالعقيدة.

ان ظواهر سلبية كهذه لا يمكن الاستهانة بها او اعتبارها مسألة ثانوية، لان استبعاد السلوك عن العقيدة لا يعرقل نمو الحركة السياسية فحسب بل قد يدفع بها الى الاضمحلال والانهيار.

فالحزب ليس كائنا خياليا لايمكن لمسه، او النظر اليه. ان الحزب وجود مشخص في الزمان والمكان، وان هذا الوجود يتمثل بالناس الذين يحملون عقيدته ويدافعون عنها. ومن ثم فانه لامر طبيعي، اذن، ان يحدث الخلل في الحزب، وفي نظرة الناس اليه، إذا ما ظهر الخلل في الافراد الذين يعبر ون عنه.

ثم ان جمهرة من الناس ان لم نقل معظمهم لايحاكمون المبادىء كمعطى عقائدي، كما هي مشروحة في الكتب والبيانات، انما يحاكمون العقيدة من خلال اقوال وافعال الناس الذين يؤمنون بها، ويدافعون عنها، اي من خلال الحزبيين. وهنا تغدو الصياغات النظرية، مهما كانت دقيقة، عديمة النفع في التأثير على شرائح واسعة من الناس.

ولابد من الاشارة الى جملة استنتاجات هي :ـ

اولاً: انه يغدو من الصعوبة بمكان التصديق بان عقيدة ما قادرة على تغيير مجتمع

برمته، دون ان تكون قادرة على تغيير الفرد الذي يؤمن بها، ويدافع عنها.

ثانياً: ان الاخفاق الفردي الشامل في تمثيل العقيدة، هنا، يوحي بالضرورة باخفاق شعبي عام في تمثيلها.

ثالثاً: ان الاقبال على عقيدة معينة ومحاولة استشراف ابعادها، كخطوة اولى للانتماء الحزبي، يتم عادة من خلال التأثر بشخوص حزبيين او الاعجاب بمسلكهم. والمسلك هنا لايقتصر على الخضوع لقواعد خلقية مقرة اجتماعيا، انما بمظاهر اخرى، كالشجاعة، والثقافة العالية، وحسن التعبير عن العقيدة، والاخلاص للمبادىء، والاستعداد لتحمل اعبائها. هذا فضلا عن المناقب الخلقية السائدة، كاحترام الاخرين، وعدم التبذل في المظهر والقول، ومساعدة الناس واقامة الصلات الحميمة معهم، وعدم التعالي على الاخرين، مع الاحتفاظ باحترام النفس..

هذه الحقائق ظلت من المدركات الواضحة في الحياة الداخلية لحزبنا. ولقد اعتبر الحزب العقيدة والسلوك شيئين متداخلين، يكمل احدهما الآخر. ونظر الى المناضل البعثي على انه صورة امته في مستقبلها..

وهنا لابد من وقفة قصيرة.. لماذا يكون المناضل البعثي صورة للامة في مستقبلها وليس في حاضرها؟ الجواب ان حاضر الامة مليء بالسلبيات، ليس في طبيعة البنى السياسية والاقتصادية حسب، انما في طبيعة الحياة الاجتماعية وفي انماط السلوك السائدة في التعامل اليومي. فالامة المجزأة المحكومة من القوى الاجنبية، والتي فرضت عليها اوضاع مختلفة، لابد ان ينعكس كل ذلك على العلاقات بين ابنائها، وعلى علاقة الفرد بالجماعة، وعلى تصرف الفرد وردود افعاله تجاه المحيط فان النموذج الفردي ليس مستقلا اومنفصلا عن المجتمع، بل هو خلاصة التكوين الاجتماعي وفي ظروف الانحطاط الحضاري، لايمكن للروح الحقيقية للامة ان تتجلى في الافراد. الا نادرا. فالسلوك الفردي في الشارع وفي البيت وفي موقع العمل، هو تعبير عن حالة اجتماعية سائدة. واحد مبررات وجود الحزب هو تغيير المجتمع، مما هو كائن الى ما يجب ان يكون.

ان التحولات السياسية والاقتصادية ليست مطلوبة لذاتها حسب، انما هي مطلوبة بالاساس لانها من عوامل تغيير المجتمع والفرد كلبنة فيه. فلوكانت

الحياة الاجتماعية مقبولة لما كان هناك من مبرر لوجود الحزب، فالحزب موجود لان هناك حاجة للتغيير ولم ينس الحزب ان يحدد صورة المجتمع القادم الذي نسعى للسير نحوه، متخطين عقبات الحاضر واوزاره. فاذا كان مطلوبا ان نتغير افرادا ومجتمعا من حال الى حال، فما هي اداة التغيير؟.

ان اداة التغيير هي الحزب، وما الحزب في التحليل النهائي غير عقيدة محددة المعالم، وافراد يحملونها ويمهدون الطريق لهيمنتها، وفق ضوابط تنظيمية محددة. اذن فلكي يتم التغيير لابد من ان ينفصل الحزب عن القيم السائدة المرفوضة لانه لا يستطيع ان يغير المجتمع، وهو نفسه غارق في سلبيات المجتمع.

ولكن علينا هنا الا نفترض ان الخروج على سلبيات الواقع يدفعنا الى التصوف والرهبنة او التقوقع ذلك ان تحريك الاشياء، وان كان يفترض التميز عنها بقدر معلوم فأنه يستلزم ادامة التماس معها لمعرفتها من جهة وامكان احداث التأثير المطلوب فيها من جهة اخرى.

ومن هنا نجد انه لا السقوط في احضان الواقع الاجتماعي يساعد على التغيير ولا الانعزال عنه يساعد على ذلك انما التميز وادامة الصلة هما الكفيلان باحداث الاثر المطلوب ويمكننا ان نحدد الان، ان معنى الانقلابية التي اكدت عليها ادبيات الحزب، هو الانفصال عن سلبيات الواقع وتمثل مجتمع المستقبل كما يتصوره الحزب مع التوكيد على ادامة الصلة بالواقع المطلوب تغييره ودفعه باتجاه التغيير دون الخضوع له.. وهذا يتطلب تبديل صفاتنا التي حملناها قبل ان نصبح بعثيين الى صفات البعثي المناضل بكل معانيها والتفاعل مع المجتمع والحياة من خلالها وعلى اساسها.

والآن ما هي سمات المناضل البعثي، لكي يكون جديرا بصفة المناضل الطليعي الذي يأخذ على عاتقه مثل هذه المهمة التأريخية والكبيرة والنبيلة؟

اولاً: العلاقة مع الآخرين

ان احترام الجماهير، والتضحية من اجلها، ليسا محض كلمات انشائية في الكتب

والصحف، يقصد منها خداع الاخرين، بغية جذبهم الى حركة سياسية، كما يفترض البعض وليس هنالك من حركة سياسية تضع في ادبياتها شتيمة الناس فالجميع يتغنون بالشعب والامة والجماهير ولكن كيف نحدد اخلاص هذا الطرف او ذاك لما يكتب او يقول؟ الجواب ببساطة: السلوك اليومي هو المعيار لصحة العقيدة اولا، ولصدق الايمان بها ثانيا.

ولا نستطيع كبعثيين ان نتصور حزبا او فردا يدعي انه ينذر نفسه للناس ولكنه لا يمارس ذلك عمليا.. ان الجماهير وان اختلفت معها فانها ترفض ان تتحداها لذلك فالسبيل لاقناعها يتم من خلال توكيد ثقتها بالمناضل، ومصدر الثقة ليس المماحكة العقلية والجدل المنطقي وانما اقامة العلاقات الانسانية الصحيحة معها ان البعثي هو فارس يسعى للخير سواء بتغيير بنية المجتمع ام بالتعامل اليومي..

وعندما يحقق البعثي مكانة اجتماعية مرموقة، فعليه ان يعرف ان هذه المكانة لم يمنحها الناس له لسواد عينيه، كما يقولون، وانما لكونه بعثيا له مواصفات معينة فان ظهر بخلاف ما يريد الحزب فلن يحصل على احترام الناس، وان ظهر احيانا انهم يخشون ذلك لان الخوف والمجاملة شيئان والحب الصادق والاحترام النابع من الذات شيئان اخران مختلفان. والاساءة للعلاقة مع الناس لاتسيء للفرد وحده انما تسيء للحزب الذي يمثله وهذا اخطر ما في الموضوع ان الحزبي غير الملتزم لا يضيع جهده حسب، وانما يضيع جهد الاخرين معه.

ان الجماهير تريد من يحترم مشاعرها، ومن يتبنى قضاياها باخلاص وترفض من يتعالى عليها او يسيء اليها بالقول او بالفعل. ان احد اسباب نجاح حزبنا هو ذلك السلوك الذي تمثل في الكثير من المناضلين الاول والحاليين والذي استند الى حب الناس واحترامهم واسداء العون لهم حيثما امكن.

ثانياً: الاخلاص للعروبة

ان عقيدة الحزب هي عقيدة قومية. ويشترط تحقيقها الارتقاء فوق كل انتماء بل وضع كل انتماء حتى لو كان شرعيا في افق الانتماء للامة العربية. وعندما نسعى لتوحيد

الامة لابد لنا من ان نتجاوز كل عوامل الانقسام التي فرضتها ظروف التخلف والقوى الاجنبية لتعزيز مصالحها.

ان انتماء البعثي للعروبة قولا وعملا حالة لابد منها ليكتسب البعثي صفته هذه. وكما قلنا، فلا تناقض بين الخصوصيات المحلية والقطرية والتي لا تتناقض مع التوجه لخدمة الامة العربية والانتماء للامة العربية والبعثي ثائر على الواقع المتخلف، رافض له لانه احد معطيات الانقسام الطائفي والاقليمي وسيطرة النزعة العشائرية واحد مخلفات ظروف التدهور التي سيطر فيها الاستعمار والامبريالية. ولذلك نحن لا نستطيع ان نتصور مناضلا بعثيا يمكن ان يؤمن بالطائفية او الاقليمية في الوقت الذي يؤمن بالبعث. لان كونه بعثيا هو ثورة على الطائفية المقيتة وثورة على الانعزال والتجزئة.

كما لا نستطيع، كبعثيين، ان نتصور شخصا اوحزبا يدعو الى توحيد الامة وهو يتعصب لقبيلة دون اخرى، لان ذلك معناه عدم جدية الايمان. ومعناه تفضيل الخاص الضيق على العام المشرق والواسع. وهذه ليست من صفات البعثي.

ان احدى صفات المناضل البعثي هي ان تجد كل قبيلة وكل طائفة وكل شريحة اجتماعية ضالتها فيه. ليس من زاوية المصلحة الطائفية او العشائرية او الطبقية، وانما من زاوية اليقين بان عقيدة البعثي تلبي حاجات الجميع وكرامة الجميع، دون ان تمتهن اوتستثني احدا، لانه من مدينة ما اوطائفة ما اوعشيرة ما اوقطر ما. ودون ان تتيح امتيازات لاحد لانه من هذه الفئة او تلك.

اذن من صفات البعثي، انه للجميع، وملك الجميع، وهويحقق وحدة الامة من خلال الامة وتقدمها.

ثالثاً: الاشتراكيـــة

الاشتراكية ليست نظاما اقتصاديا يتعلق بالموقف من الملكية حسب، وليست وظيفة للدولة فقط، كما لا تقتصر على كونها تشريعات معينة.

ان الاشتراكية نظام للحياة شامل. ونحن عندما نسعى الى توفير الرغيف، وفرصة

العمـل، والعـلاج، والمـدرسـة، والمسكن للمواطن، فاننا ندرك ان هذه الامور وسائل يمتلك الفـرد من خلالهـا انسـانيتـه، متجـاوزا الحـدود المادية، التي تجعله محض كائن يقضي العمر باحثا عن لقمته.

فالاشتراكية تمتد لطريقة تعامل الرفيق في الموقع الاعلى للحزب مع الرفيق في الموقع الادنى، ولاحترام الادنى للاعلى. لان الحزب الاشتراكي لابد ان يحقق المساواة بين مناضليـه، اذا ما اراد تحقيقهـا على الصعيـد الاجتماعي. ثم ان الاخلاص للجماهير الكـادحـة لايقتصـر على تبني مطـاليبهـا، انـما يتم باعطـائها دورها التاريخي في عملية النضال والبناء. والحزب المعزول عن الكادحين لن يستطيع خدمتهم بالشعارات.

وقـد يضطـر المنـاضـل البعثي، في عملية التحرر والبناء، الى ان يأخذ من الجماهير دون ان يعطيها.

وكي تستطيـع الجـماهـير ان تضحي فلا بد من ان يتـوفـر لها عنصـر الثقـة بمناضلي الحزب. وهذا يفترض جملة من الاشتراطات هي:

(١) ان المناضل البعثي يجب ان يكون مع الناس في معاناتهم وهمومهم.

(٢) ان يتبنى المطـالب المشـروعـة للجـماهـير، بل ان يفكـر فيهـا احيـانا قبل ان تفكر الجـماهـير نفسها ويدفعها لتبنيها في ظروف العمل السري اوما يماثله، ويتبناها في التطبيق عنـدمـا يقـود السلطة. اما المطالب غير المشروعة، فلا بد من توفر القدرة لدى المنـاضـل البعثي لاقنـاع النـاس بعـدم امكـانيـة تلبيتها اوبعدم مشروعيتها وبخاصة عندما يصبح الحزب قائدا للسلطة والمجتمع، واذا ما تخلف البعثي عن ذلـك فانـه يترك زمـام المبـادرة لحركات سياسية اخرى لتحرف حركة الجماهير عن مسارها الصحيح.

(٣) ان على البعثي الا يكـون، في حيـاتـه الخاصة، مترفا مسرفا حتى لو توافرت له امكـانـات ذلـك. فالجمـاهيـر تثق بمن يعيش معهـا حيـاتها، اومن يقترب من حيـاتهـا. امـا اظهـار الثـراء والاصرار على حياة الترف فانهما يجعلان الآخرين ينظرون الى المناضل البعثي (البرجوازي) على انه من هواة الاشتراكية، وليس منـاضـلا اشتـراكيـا. على انـه يجب التفـريق بين الترف (البرجوازي) والسلوك الحضـاري. فحسن الهنـدام مطلوب، والنظـافـة مطلوبـة، والتمسـك بقواعد السلوك المتحضـر مطلوب والعيش وسـط الحيـاة بمعنـاهـا المشروع مطلوب.

ولكن المرفوض هو الاسراف والتظاهر بالغنى والاستنكاف من حياة الناس البسطاء.

(٤) ان من مواصفات المناضل البعثي عدم استغلال جهد الآخرين. . فلن يكون اشتراكيا وهو لا يطبق الاشتراكية على نفسه اولا.

رابعاً: السلوك الاجتماعي

ان السلوك الاجتماعي، الذي يسعى له الحزب يجب ان يتمثل في سلوك مناضليه فالايمان بحرية المرأة على سبيل المثال يجب ان ينعكس على تعامل البعثي مع والدته وشقيقته وزوجته. واحترام العائلة يجب ان يتجلى في احترام الابوين وفي العناية بالاطفال. . واحترام المواطن يجب ان يتجلى بالعلاقات الحميمة مع زملاء الدراسة او العمل او المراجعين او المواطنين في المنطقة الحزبية.

ان السلوك الشائن غير المنضبط يفقد المناضل احترام الناس كارتياد الاماكن المبتذلة وتعاطى المحرمات بطريقة استفزازية للمحيط الاجتماعي او التظاهر (حب الظهور) والقول غير اللائقين بالمناضل. وليس معنى ذلك التزمت والحرمان من شروط العيش المشروعة والمقبولة. بل ان ممارسة شروط العيش، بطريقة معقولة خالية من التبذل شيء والانطلاق والاقبال المسرف على ملاذ الحياة شيء آخر على النقيض. واذا كان البعثي يسعى الى تطوير حياة الناس اجتماعيا فحرى به ان يكون نموذجيا في الحرص على الواجب، نموذجيا في الاستفادة من الوقت، نموذجيا في التنظيم، نموذجيا في النظافة الشخصية ونظافة البيت وموقع العمل والمحيط، نموذجيا في ترشيد الانفاق في بيته وعمله.

خامساً: الثقافة

ليست الثقافة ترفا ولا هي معزولة عن القدرة التنظيمية فلكي نكسب الناس يجب

ان نعرفهم بعقيدتنا بالتفاصيل. ولكي نمنع الآخرين من التأثير على جماهيرنا وحزبنا يجب ان نلم بمنطلقاتهم النظرية واساليب عملهم. ولكي ننجح في الحالتين يجب ان نعرف الظروف المحلية والقومية والدولية المحيطة بامتنا..

ان التنظيم ليس جمعا للناس في قنوات معينة، وانما هو اطار لتكييفهم وزيادة وعيهم وتفاعلهم، وتفجير طاقاتهم. فالمنظم غير المثقف لا يستطيع ان يكسب وان كسب فلن يستطيع ان يحتفظ بمن كسب لانه لا يستطيع ان يقنع الآخرين ولا ان يديم قناعاتهم. والثقافة مطلوبة للتعامل مع الجماهير، وتحريكها باتجاهات يريدها الحزب، ومطلوبة لتحريك الجهاز الحزبي وفق الاهداف المرسومة، وزيادة حصانته. والثقافة مطلوبة عندما يتسلم الحزب السلطة، لان ادارة مرافق الدولة لا تتطلب الاخلاص فقط، وانما تحتاج المعرفة الى جانب الاخلاص. والحزب كطليعة هو حالة متقدمة على الامة في الوعي. والثقافة عنصر اساس في الوعي. لذلك حري بالمناضل البعثي ان يكون مثقفا، لان الثقافة عنصر اساسي للنضال.

سادساً: المناضل والحزب

ليس الحزب بالنسبة لنا، نحن البعثيين عملا اضافيا او هامشيا بل هو حياة المناضل البعثي كلها. وهنا لابد من ملاحظة عدة مسائل:

الاولى: ان الحياة الداخلية للحزب يجب ان تكون تعبيرا عن عقيدته فالموقع الحزبي الاعلى ليس امتيازا انما هو مسؤولية كبرى ولذلك فان اشغال الموقع الاعلى يجب ان يتناسب مع الامكانات الثقافية والقدرة التنظيمية والاخلاص الذي تجلى من طول الباع في النضال، وما تعرض له المناضل من تجارب، وما قدمه من تضحيات. ان محاولة الصعود بمحض الرغبة او بمجرد التقادم الزمني، دون توفر المؤهلات يشكل صيغة مؤذية للحزب وللمناضل نفسه ولأن كل بعثي لابد له ان يتحرك موقعه صعودا في سلم التنظيم فلا بد من التأهيل واكتساب الخبرات ليكون جديرا بموقعه الجديد في كل حين.

والثانية: لابد من تمثل الايمان بالديمقراطية، من خلال التعايش الديمقراطي وتقبل

اراء الرفاق الاخرين وخضوع الاقلية لرأي الاكثرية وتنفيذ تعليمات الحزب ومن ثم مناقشتها.

والثالثة: ان الحزب ليس تجمعا لافراد التقوا حول الايمان المحض بمجموعة مبادىء انما هم وكما يفترض الايمان نفسه اسرة واحدة تضفى عليها روحية الايثار والتعاون والمحبة والاحترام والرعاية المتبادلة. فالبعثي لا يتجاهل على رفيقه ولا يبغضه ولا يحسده ولا يبحث عن سقطاته ولا يشمت لعثراته. وانما يحب رفيقه ويتمنى له الخير لانه خير للحزب ويعينه في تجنب الزلل ويتألم اذا اصابه مكروه. ان الرابطة البعثية هي ما نسعى لان نجعلها رابطة افراد الامة كلها. ولذلك حري بها ان تكون دائماً في وضعها الصحيح. هذه بعض صفات المناضل البعثي كنموذج، ولا نقول كلها، ومن المؤكد انها كي تتحقق في ذات البعثي تحتاج الى قدر كبير من مغالبة النفس والانتصار عليها.

[خلاصة]

المناضل البعثي

لظاهرة التناقض بين الفكر والسلوك في الحركات السياسية اسباب، اهمها عدم تمثل العقيدة، والنقص في العقيدة نفسها كتناقض مضامينها، او عدم وضوحها وضعف الضوابط التنظيمية.

ومن الطبيعي ان يحدث الخلل في الحزب اذا ما ظهر الخلل في الافراد الذين يعبرون عنه. كما ان جمهرة الناس يحاكمون المبادىء من خلال اقوال او افعال الناس الذين يؤمنون بها.

ان الاقبال على عقيدة معينة يتم عادة من خلال التأثر بشخوص حزبيين او بمسلكهم ومظاهر خلقهم وشجاعتهم.

لذلك نعتبر المناضل البعثي صوت الامة في المستقبل، حيث يتطلب منه الانفصال عن سلبيات الواقع، وان لا يسقط فيه وان يتمثل مجتمع المستقبل وهذا ما نسميه

بالانقلابية.

ان سمات المناضل البعثي هـي : -

(١) العلاقة مع الآخرين من خلال اقامة العلاقة الانسانية الصحيحة مع الجماهير.

(٢) الاخـلاص للعـروبـة : وتعني النضـال لتحقيق وحـدة الامـة من خلال تجـاوز الانعزال والتجزئة . .

(٣) الاشتراكية : فكون الاشتراكية نظاما شاملا للحياة تتطلب ان يعاني البعثي هموم النـاس ويتبنى مطـاليبهـا المشـروعـة وان تتصل حياته الشخصية الخاصة بحياة الجماهير وان يطبق الاشتراكية على النفس اولاً .

(٤) السلوك الاجتـماعي : ان السلوك الاجتـماعي يتمثـل في سلوك مناضلي الحزب وان ينعكس الايـمان بحـريـة المرأة على تعامل البعثي مع زوجته ووالدته مثلا وكذلك فيما يتعلق باحترام الناس وممارسة شروط العيش بطريقة معقولة غير مسرفة .

(٥) الثقافة : الثقافة عنصر اساسي للنضال وذلك لمنع الاخرين من التأثير على جماهير الحـزب ، وفهم الظـروف المحليـة والـدوليـة والقـوميـة لزيادة وعي الناس وتفجير طاقاتهم ، والثقافة مطلوبة لادارة مرافق الدولة عند تسلم الحزب للسلطة .

(٦) المنـاضـل والحـزب : الحـزب هو حيـاة المنـاضل البعثي كلها اذ ان الحياة الداخلية للحزب يجب ان تكون تعبيرا عن عقيدته ولذلك يجب ان يتناسب الموقع الاعلى في الحزب مع الامكانات الثقافية والقدرات التنظيمية والنضالية والاخلاص .

كذلـك فان مسألـة الايمان بالديمقراطية مسألة اساسية والتعايش الديمقراطي واعتبـار الحـزب اسـرة واحـدة وليس تجمعـا لافـراد ، مسألـة مهمـة ومطلوبة هي الاخرى ، لتتحول الرابطة البعثية الى رابطة افراد الامة كلها .

الفصل الثالث

الدور النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي على الصعيد القومي

ان هويـة اي حركـة سيـاسية تتحدد بمواقفها، وبمقدار ما تتوضح بنظريتها. فالموقف النضالي تعبير عن سلامة العقيدة، من جهة، وتوكيد على صدق الايمان بها من جهة اخرى.

ولقـد تحدثنـا في المـوضـوع الاول من هذا الكتـاب عن الضرورات العقائدية والاجتـماعيـة والسيـاسيـة والاقتصـادية، التي حتمت ظهور حركة سياسية اصيلة كحـزب البعث العـربي الاشـتراكي، ترتبـط بتـاريـخ الامة، وتعبر عن استمرار رسـالتهـا، وتعـالج مشكلات حاضرها، وتضع التصورات لمستقبلها ولقد ورد في البيان الاول لحركة البعث (١) مايلـــي :

- «نمثل الروح العربية ضد الشيوعية الماركسية».
- «نمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع».
- «نمثل القومية العربية التامة المعبرة عن حاصل الشخصية».
- «ضد القومية اللفظية التي لا تتعدى اللسان ويناقضها مجموع السلوك».
- «نمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة».
- «نمثل الجيل العربي الجديد».

وفي الفـترة من العـام ٤١ وحتى انعقـاد المـؤتمر الاول للحزب في ٤ نيسان من عام / ١٩٤٧ ركز الحزب على المسائل التاليـــة : ـ

(١) ان للشعب العربي، في جميع اقطاره، مصلحة عربية عليا واحدة.
(٢) الدعوة الى وحدة نضال الشعب العربي في جميع اقطاره.
(٣) اتخاذ موقف عربي موحد ضد الاستعمار في جميع معارك الامة.

---

* كان الحزب يسمى (حركة) قبل انعقاد مؤتمره الاول.

اما بالنسبة لقضية فلسطين، فقد اعتبرها البعث قضية مركزية في نضال الامة العربية، فأدان وعد بلفور وفضح الهجرة اليهودية، وندد بموقف بريطانيا والولايات المتحدة، واعتبر الصهيونية حركة عنصرية عدوانية وطالب باستقلال فلسطين ودعا في مايس /١٩٤٦ الى اضراب عام احتجاجا على السماح لمئة الف يهودي مهاجر بدخول فلسطين.

في ٤ نيسان من عام/ ١٩٤٧، عقد مؤتمر الحزب الاول وصدر بيان المؤتمر في ٧ نيسان واعلن فيه عن اقرار الدستور والنظام الداخلي لحزب البعث العربي الاشتراكي وفي عام / ١٩٥٠ ساند الحزب معركة القطر المصري من اجل الجلاء تحت شعار «الشعب العربي في جميع اقطاره يشارك شعب الوادي في نضاله ضد الاستعمار» كما اكد الحزب في بياناته على ان «استرداد فلسطين لايتم الا بقيام حكم شعبي»، موضحا ان الحكم الاقطاعي يقيد الشعب ويساعد الصهيونية والاستعمار.

وفي عام / ١٩٥١ دعا الحزب الى انتهاج حياد حقيقي بين المعسكرين الشرقي والغربي، وحذر الجامعة العربية من الانضمام الى الكتلة الاستعمارية.

وفي عام ١٩٥٢ واصل الحزب كفاحه من اجل سياسة الحياد وابعاد الوطن العربي عن الاحلاف الاستعمارية، وحدد الحزب اهداف النضال العربي بما يلي: -

(١) التحرر المطلق من الاستعمار.

(٢) الوحدة العربية.

(٣) اقامة نظام اشتراكي.

(٤) الغاء جميع المعاهدات.

(٥) الجلاء عن الارض العربية.

(٦) تأميم النفط.

(٧) الحياد.

وحول هذه الاهداف، واصل الحزب كفاحه في الاعوام التوالي مقاوما حلف بغداد مبديا ملاحظاته على اتفاقية الجلاء المصرية البريطانية، محاربا شركات البترول الاحتكارية مؤيدا ومساندا لكفاح الشعب العربي في تونس ومراكش

والجزائر وجنوبي الجزيرة العربية .

ولقـد كانت الحقبـة الممتـدة من عام / **١٩٥٦** وحتى عام / **١٩٦١** من اغنى حلقـات النضـال لعقـدين من الزمن ، فلقد انحسر النفوذ البريطاني ـ الفرنسي ، وشهـد التـاريـخ اول انتصـار لدولـة في العالم الثالث بوجه الغزو الاستعماري هي القطر المصري . وكانت لوحدة النضال العربي ، التي دعا اليها البعث وقادها الاثر الحاسم في ذلك كله .

واستطاع الحزب ان يدفع بالكفاح العربي لتحقيق اول نموذج للوحدة العربية متمثلة في وحدة مصر وسورية .

لقـد اراد الحـزب ان تكـون الجمهورية العربية المتحدة قاعدة للنضال العربي ونمـوذجـا للحكم المنبثق عن ارادة الجـماهـير ومصـالحهـا ، سواء على صعيـد السيـاسـات الـداخلية ام القومية ام الدولية . كما اراد الحزب لهذه الدولة ان تكون نواة الوحدة الكبرى .

واذا كانت هذه الـوحـدة قد سقطت في ايلول / **١٩٦١** نتيجـة عوامـل داخلية ومـؤامـرات خارجية ، فانها اغنت تجربة الحزب والنضال العربي عموما . واكدت ان الـوحـدة العـربيـة ليست فكـرة طوباوية ، انما هي مسألة يمكن انجازها على صعيد الواقع كما يمكن الحفاظ عليها بتجنب الممارسات الخاطئة التي رافقتها . ومما يبعث على الفخـر حقـا ان الحزب رغم معاناته من تصرف النظام في دولة الوحدة فانـه كان في مقـدمـة الذين تصدوا لحكم الانفصال معتبرا الاخطاء التي مورست زمن الـوحـدة لاتـبرىء ساحـة الانفصـاليين ولاتغفر لهم جريمتهم . ومؤكدا ان معـالجـة السلبيـات التي رافقت قيـام الـوحدة يجب الا يكون بابا لصعود الرجعية مجددا او اعلاء شأن التيارات الاقليمية الضيقة المعادية لقضية الوحدة .

وفي ايلول **١٩٦٢** شارك الحـزب مشـاركـة اسـاسيـة بالاطاحة بالنظام الملكي المتخلف باليمن الشمالي عن طريق المساهمة المباشرة والفاعلة للضباط البعثيين وقد تمكنت ثورة اليمن للمـرة الاولى ان تفتـح ابـواب هذا القطـر العـربي على حيـاة العصر ومتطلباتها وان تجعل هذا الجزء من شعبنا يتفاعل مع نضال الامة . . حيث فرض النظـام الملكي عليـه سيـاجا من العزلة ردحا من الزمن غير يسير . . واعتبر الحـزب ثورة اليمن حلقـة متممـة من حلقات التحرر العربي ونتيجة لازمة لحركته

التقدمية الصاعدة وكما ورد في بيان الحزب بتاريخ ٣٠ ايلول/ ١٩٦٢.

وفي ٨/ اذار/ ١٩٦٣ وبعد شهر من قيام ثورة ٨ شباط المجيدة عام/ ١٩٦٣ في القطر العراقي التي سوف يأتي الحديث عنها في الفصل القادم.. قاد الحزب في القطر السوري ثورة ٨/ اذار ضد حكم الانفصال والرجعية مؤكدا قدرته على الفعل ومبرهنا على التفاعل المصيري بين حركة الجماهير في القطرين. الا ان الرجعية المحلية في سوريا وبالتواطوء مع القوى الاستعمارية والصهيونية قد نفذت في ٢٣/ شباط / ١٩٦٦ ردة مشؤومة ضد حكم الشعب وضد الشرعية الحزبية في ظل شعارات براقة زائفة كان القصد منها امتصاص نقمة الجماهير وتعطيل رد فعلها الفوري. وقد كشفت الاحداث اللاحقة بان زمرة الانقلابيين الذين من اقطابهم حافظ اسد كانت وثيقة الصلة بالمخطط الاستعماري ـ الصهيوني الذي نفذ في ٥/ حزيران/ ١٩٦٧ حيث لعبت الزمرة دورها المعروف في تسليم الجولان وتيسير السبل امام الكيان الصهيوني لاحتلال الاراضي العربية وضم الضفة وغزة الى كيانه.

كذلك ظلت الحالة التي وصلها الوضع العربي ولاسيما الصراع الدموي في لبنان والسماح للكيان الصهيوني باجتياحه ومحاولات تقسيمه وتصفية حركة المقاومة الفلسطينية.. دللت هذه الحالة بان اولئك الذين يتآمرون على حزبنا انما يتآمرون على المصالح العليا للامة ولايترددون في ان يتعاونوا مع اعدائها من صهاينة وفرس.

ان حزبنا الذي يستند الى تاريخ طويل في النضال من اجل الامة واهدافها يخوض اليوم نضاله المشرف في ساحة الوطن العربي ككل ويعلن عن نضاله حسب ظروفه في كل قطر من اقطار العروبة متخذا من ثورته في القطر العراقي مثلا حيا للاستزادة من دوافع الايمان.

[خلاصـــــة]

الدور النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي

عبر ظهور حركة سياسية اصيلة كحزب البعث العربي الاشتراكي عن رسالة الامة من خلال البيـان الاول لحـركـة البعث الـذي اشـار الى تمثل الروح العربية والتاريخ العربي الحي ورسالة العروبة وقد تجلت هذه الاهداف من خلال المواقف النضالية التاليــــة : ـ

اولاً : تركيـز الحـزب في نضـالـه خلال الاعـوام/ **١٩٤٥ ـ ١٩٤٧** على وحدة نضال البعث العربي ووجود مصلحة عربية عليا واحدة .

ثانياً: اعتبار قضية فلسطين القضية المركزية للامة العربية واعتبار الصهيونية حركة عنصرية .

ثالثـاً: عقـد المؤتمـر الاول للحركة في ٤/ نيسان/ من عام **١٩٤٧** بحيث اصبحت حزبا واقرار النظام الداخلي ودستور الحزب .

رابعاً: الدعوة الى الحياد بين المعسكرين الشرقي والغربي عام/ **١٩٥١** .

خامسـاً: تحقيق الـوحـدة بين مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة التي ارادها الحزب ان تكون قاعدة للنضال العربي وان تكون نواة الوحدة الكبرى .

سادسـاً: قيـام ثورة ١٤/ تمـوز / **١٩٥٨** كان اهم حدث ساهم الحزب في تنفيذه ثم نضال الحزب بقيام ثورة ٨/ شباط / **١٩٦٣** وثورة الحزب في سورية .

سابعا: الافادة من دروس نكسة ٥ حزيران/ **١٩٦٧** وفضح الدور التخريبي للنظام السوري .



الفصل الرابع

البعث والثورة

لمحة عن نضال حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي

ان نضال حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي منذ بداياته في عام ١٩٤٨ وحتى قيام ثورة ١٧ تموز المجيدة وبعدها، هو نضال الشعب العراقي ضد التسلط الاجنبي المتمثل في نفوذ بريطانيا ثم الولايات المتحدة..

وهو نضال الشعب العراقي ضد النظم المتسلطة الاستبدادية العميلة، التي توالت على الحكم، خلال هذه الفترة.

وهو نضال شعبنا ضد التيارات الرجعية.

وهو نضال شعبنا ضد التيارات التحريفية في حركة التحرر الوطني.

وهو نضال شعبنا ضد التيارات الشعوبية التي حاولت الطعن في عروبة العراق وسعت الى عزلة عن محيطه القومي. واخيرا هو نضال العراقيين من اجل التحرر السياسي والاقتصادي، وهو كفاحهم من اجل بناء مجتمع اشتراكي يقوم على الرفاهية والعدل، وهو كفاح العراقيين ضد شبكات التجسس العميلة للاستعمار والصهيونية وهو كفاح العراقيين ضد الحركات العنصرية التي ارادت تقسيم البلاد مستغلة الظاهرة العنصرية في التركيب القومي واستنزاف قدرات الشعب.

وعندما نقول ان نضال البعث هو نضال الشعب فاننا لانقصد التلاقي في الاهداف بين الحزب وجماهيره حسب، وانما نقصد التوكيد على ان الحزب تمكن بصورة عملية من قيادة نضال الجماهير وصولاً الى ثورتها الحقيقية في ١٧ ـ ٣٠ تموز /١٩٦٨ اذ بدأت جماهير الشعب. بعد هذه الثورة تحقق انجازاتها التاريخية الكبرى في التحرر والبناء بقيادة الرفيق صدام حسين قائد الحزب في العراق والمهندس لثورته وباني تجربته على مستوى الفكر والتطبيق.

وقد رافق جهاد الحزب الايديولوجي في مطلع الخمسينات جهاد على مستوى التنظيم. فالحركة القومية، من وجهة نظر الحزب، كان عليها ان لا تقتصر على شرائح معينة، وكأن العمل السياسي امتياز لها. انما حري بها ان تتوجه الى جماهير الشعب. ولقد رفض الحزب بشكل حاسم طروحات الاحزاب التقليدية، في الوصاية على الجماهير، باعتبارها خالية الوفاض من كل احساس بمشاكلها، مؤكدا ان الفئات الشعبية، بما تملكه من موروث حضاري وكفاحي ومن حدس فطري رائع، لقادرة على اكتشاف حقائق الوضع السياسي وولوج ساحة النضال. ولذلك استطاع الحزب ان يضم الى تنظيمة شرائح من العمال والفلاحين والكسبة.. والمثقفين والعسكريين الثوريين واذا كان التنظيم يقوم، كما جرت العادة في تلك السنين، على لقاءات كيفية واعطاء الدور للزعامات التقليدية في القيادة والتوجيه، فأن الحزب اسس، للمرة الاولى، تنظيما سياسياً، لكل حزبي فيه دوره ومسؤ ولياته، حيثما كان موقعه في سلم التنظيم ومن خلال النضال العقائدي، والتكوين التنظيمي الجديد استطاع الحزب في مطلع الخمسينات ان يستقطب الجماهير القومية باعتباره الوعاء الطبيعي لحركتها ولا سيما الجماهير الكادحة (العمال والفلاحين والكسبة والطلبة والعسكريين الثوريين)، وان يسم كفاحها الطبقي بميسم النضال القومي والوحدوي.

وفي عام / ١٩٥٤ ظهرت الى السطح سياسة الاحلاف العسكرية، كبديل استعماري للمعاهدات الجائرة، وكمحاولة لربط السياسات المحلية بمواقف القوى الكبرى وكأسلوب في فرض الهيمنة على الجيوش الوطنية ومنعها من القيام بأي دور وطني وقومي وكمحاولة لبناء جدار أمني وعسكري على الحركة الوطنية في الساحة العربية وما حولها.

وفي الوقت الذي وقفت فيه الحركات التقليدية مشدوهة امام ضغط الاحداث وتتابعها اذ اكتفت الاحزاب التقليدية بتقديم مذكرات الاحتجاج ولم يستطع الحزب الشيوعي ان يتلمس مواقع اقدامه، في وضع سياسي مضطرب، ومنعته ازمته الداخلية من ممارسة اي دور فاعل.. فأن حزب البعث العربي الاشتراكي خاض معركة التصدي لما سمي ابتداء بالحلف التركي - الباكستاني، والذي دعي بحلف بغداد لاحقا..

نقول خاض الحزب معركة التصدي، منفردا ومعتمدا على وعي الجماهير الواسع

واستطاع الحزب في عام / ١٩٥٦ ان يقود انتفاضة الشعب العراقي لاسناد مصر في تأميم شركة قناة السويس وفي مواجهة العدوان الثلاثي عليها وعبر النضال الداخلي في هذه المرة، عن سمته القومية الشاملة بشكل واضح.

وكان للحزب دور كبير في ثورة ١٤ تموز التي اطاحت بالنظام الملكي العميل، ومزقت حلف بغداد فالحزب هو الذي وحد جهود المعارضة وهو الذي قام بتصعيد الكفاح الجماهيري ضد السلطة وهو الذي اكد على اهمية الجيش العراقي كفصيلة ثورية وطنية تلتصق بالجماهير وطموحاتها ولذلك فان العمل السياسي بين صفوفه ليس مشروعا حسب، بل هو واجب والحزب هو الذي قدم العون للضباط الاحرار لمواصلة عملهم. وكان من بينهم جمهرة من البعثيين الذين لعبوا دورا رئيسا في الاعداد للثورة وتنفيذها.

لم تكن ثورة ١٤ تموز / ١٩٥٨ حدثاً طارئا او عملية جريئة دونما اسباب ودوافع انما كانت التتويج لنضال الجماهير الذي بدأ منذ عام / ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني وقواعده وصنائعه.

وقد اسهم الحزب في نضاله المنفرد وفي نضاله ضمن جبهة الاتحاد الوطني في تهيئة الاوضاع الجماهيرية للعمل الحاسم. وهكذا كانت الضربة الفنية للجيش في ليلة ١٣ / ١٤ تموز / ١٩٥٨ نتيجة لوضع شعبي معبأ ولوجود سلطة معزولة بغيضة ولم تكن الثورة دون اهداف محددة على الصعيدين السياسي والاجتماعي فلقد تبلور النضال الجماهيري حول اهداف معلومة هي : -

(١) التحرر من النفوذ الاجنبي.
(٢) انجاز الاصلاح الزراعي والقضاء على النظام الاقطاعي.
(٣) اطلاق الحريات الديمقراطية.
(٤) تلبية مطالب الجماهير والقضاء على البطالة.
(٥) الخروج من حلف بغداد.
(٦) ايجاد صيغة وحدوية مع الجمهورية العربية المتحدة.
(٧) التمسك بالحياد الايجابي في الصراعات الدولية.

وكان المفروض ان تتوجه الثورة لتحقيق هذه الاهداف مجتمعة مع الحفاظ على جبهة الاتحاد الوطني كمبادىء وتنظيم وتحقيق مهمات الثورة في الحفاظ على وحدة

الصف الوطني. لكن عاملين حاسمين اديا الى الانحراف بالثورة عن اتجاهها نتج عنهما اخفاق الثورة في تحقيق اهدافها. . هما :

(١) انحراف عبد الكريم قاسم، واستئثاره بالسلطة وانغماسه في نزعة قطرية ضيقة اذ اندفع اخيرا لعزل الضباط الذين اسهموا في الثورة واعتقالهم واعدام البعض منهم كما اندفع لافتعال صراع مع الجمهورية العربية المتحدة مما فوت الفرصة على تكوين جهد عربي قومي موحد. . ومن ثم تجاهل مطالب الجماهير في الديمقراطية وتطوير مستوى معيشتها وتلاشت مبادىء الثورة في ظل انحراف شعوبي وتسلط فردي رجعي واستعادت اجهزة السلطة دورها في محاربة الجماهير وحركتها الطليعية وفي المقدمة منها حزبنا. وشنت حربا شعوبية مكشوفة على الحركة القومية بحيث اصبح اعلان الانتماء للعروبة جريمة يحاسب عليها.

(٢) الموقف الانتهازي للحزب الشيوعي العراقي فقد وجد الشيوعيون في تقريب عبد الكريم قاسم لهم كوسيلة لضرب الحركة القومية وكغطاء للاستئثار بالسلطة.

وتوجيه الشارع وفق شعاراتهم وتخريب جبهة الاتحاد الوطني وممارسة الارهاب ضد حلفاء الامس، بحيث وصل حد سحب الجثث في الشوارع والتعذيب في المعتقلات واغتيال المناضلين القوميين من قبل عصابات منظمة مما يعكس الرغبة في امتهان الانسان. كما عمل الشيوعيون على تمزيق الصف الوطني باثارة النزعات العنصرية لدى بعض الاقليات، وتشجيعها على التمرد بحجة الدفاع عن مصالحها.

ورغم الجهود التي بذلها الحزب في عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩ لتصحيح مسار السلطة بطريق الاقناع ولتصحيح انحرافات الحزب الشيوعي بالحوار البناء الا ان هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح. وقد تجلت افعال الشيوعيين المعادية للديمقراطية بابشع صورها في مجازر كركوك والموصل.

وازاء وضع كهذا، كان على الحزب ان يعود الى اسلوب الكفاح السري الذي مارسة قبل الثورة، وان يتصدى للسلطة باسلوب النضال الجماهيري.

وقد تمكن الحزب في هذه الفترة من قيادة نضال الفلاحين ضد مخلفات

الاقطاع واجهزة السلطة. كما قاد نضال العمال لتحقيق اهداف نقابية محددة، وجماهيرية عامة وتوغل بعيدا في صفوف الطلبة ليقود الحركة الطلابية وفق اتجاهات قومية وتصدى للاحتكارات النفطية وساند كفاح الشعب العربي في الجزائر ووقف مع الشعب العربي في اليمن في الدفاع عن ثورته وقاوم مؤامرة انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة ولم شتات الحركات القومية في جبهة موحدة للنضال ضد قاسم والشيوعيين.

وقد ترافق كل ذلك مع عمل سري دؤوب لتنظيم فصائل مسلحة من الحزب، والجيش لتطيح بالنظام القاسمي المتسلط.

ومثلما كان سقوط نوري سعيد حصيلة لوضع جماهيري يتعارض مع سياسة النظام جاء سقوط قاسم نتيجة لعزلة جماهيرية وسياسية لاتلتقي مع الاهداف الوطنية والقومية.

ان اعظم ميزة في ثورة شباط عام/ ١٩٦٣، أنها ثورة تقوم للمرة الاولى في العالم الثالث على مشاركة شعبية واسعة في الكفاح المسلح، يشكل الجيش احد فصائلها وانها اول ثورة قومية تتفجر في الوطن العربي، ولاتقف عند حدود التغيير السلطوي بل تسعى للتغيير الاجتماعي الشامل وفق منظور قومي على ان هذه الثورة لم تكتب لها الديمومة والاستمرار وذلك بسبب عوامل عدة.

ومع ان الثورة لم يطل عمرها فأنها اكدت قدرة الجماهير على الفعل وشهدت كما هو شأن الازمان التاريخية الحادة ولادة البطولة العربية من جديد متمثلة في الرفيق صدام حسين مناضلا فاعلا على مسرح الاحداث.

لقد استطاعت هذه القيادة التاريخية الجديدة للحزب، ان تلملم مرة اخرى صفوف الحزب وان تحكم بالعزلة على التيارات الانتهازية التي افرزتها الازمة وان تحدد برنامج عمل واضح تمارس النضال الجماهيري على اساسه وان تشق طريقها وسط المفاوز الخطرة. متخذة من عمق التحدي حافزا للدفاع. وكان رائدها في كل عمل نضالي، التمسك بالشرعية الحزبية لان الشرعية ليست قيدا على الحركة لمواجهة المصاعب وانما هي الاسلوب الصحيح في الاندفاع الامثل في هذه الفترة، تعرض مناضلو الحزب ايضا الى ارهاب السلطة وسجونها بشكل لم يألفه الحزب من قبل.

ولقد مثلت حالة انكشاف التنظيم في ثورة ٨/ شباط وفشل تجربتها عموما تحديا لمناضلي الحزب، وقدرتهم على الحركة وازاء ذلك كان لابد من مواجهة حالة كفاح مسلح هو اقرب الى العلنية منه الى السرية. اضافة الى ذلك كان لابد من مواجهة حالة انفراد الحزب في معارضة النظام الرجعي.

فقبل تموز/ ١٩٥٨ ناضل الحزب من خلال جبهة الاتحاد الوطني وناضل ضد قاسم ضمن اطار قومي شامل ولكنه وازاء سقوط الاحزاب القومية والحزب الشيوعي في حضيض الانتهازية وممالئتها للتسلط الرجعي. بقبول صيغة الاتحاد الاشتراكي..

نقول ازاء وضع كهذا وقع الحمل التعبوي والتنظيمي على الحزب وحده وفي اوار الكفاح العتيد الملتهب، بدأت تتجلى عبقرية الرفيق صدام، كمنظر عقائدي وكواضع لنظرية العمل وكمنظم للحزب والجماهير من الطراز الاول.

ان نجاح الحزب في تسلم السلطة وفي قيادة ثورة شاملة بعد سنين خمس من فشل تجربته الاولى ليؤكد مجددا ان حزبنا ليس حدثا عارضا في حياة الامة، وان قيادته التاريخية اثبتت وبشكل واضح قدرتها على مجابهة التحديات وتفجير ثورة ستترك بصماتها على حياة الامة، كأحد ابرز الانجازات في تاريخها وحضارتها..

[خلاصـــة]

موضوع البعث والثورة

بدأ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق منذ عام / ١٩٤٨ ضد التسلط البريطاني ثم نفوذ الولايات المتحدة وتميز هذا النضال بانه نضال ضد الاستبداد وضد التيارات التحريفية كالحزب الشيوعي العراقي والرجعية السلفية وهو نضال العراقيين من اجل بناء مجتمع اشتراكي يحافظ على عروبة العراق وعلى وحدته ضد الحركات الشوفينية الى ان تمكن الحزب من قيادة الجماهير وصولا الى ثورة ١٧ / ٣٠ تموز/ ١٩٦٨ بقيادة الرفيق المناضل صدام حسين قائد الحزب وقد مر نضال الحزب بالمظاهر التالية: -

(١) في عام / ١٩٤٨ ركز الحزب في نضاله على الاشتراكية كهدف مكمل للوحدة كما ركز على الحلول الجذرية الشاملة لمشاكل الامة وبرزت ضمن اطروحاته موضوعة (الحياد) ووحدة النضال لتحرير فلسطين.

(٢) رافق جهاد الحزب الايديولوجي جهاد على مستوى التنظيم وعدم الاقتصار على شرائح المثقفين.

(٣) استقطاب الجماهير القومية كالعمال والفلاحين في الخمسينات.

(٤) في عام/ ١٩٥٤ خاض الحزب معركة التصدي لحلف بغداد منفردا وقاد اضرابات الطلبة.

(٥) في عام / ١٩٥٦ قاد الحزب انتفاضة الشعب العراقي لاسناد مصر في تأميم قناة السويس.

(٦) تابع الحزب نضاله عام/ ١٩٥٧ ضد الارهاب.

(٧) شارك الحزب بثورة ١٤ تموز/ ١٩٥٨.

(٨) ناصل الحزب منفردا او ضمن جبهة الاتحاد الوطني في تهيئة الاوضاع الجماهيرية لقيام ثورة ١٤ تموز لكن الثورة اخفقت بسبب: -

(أ) انحراف المجرم عبد الكريم قاسم ونزعته القطرية.

(ب) موقف الحزب الشيوعي الانتهازي لضرب الحركة القومية والتواطؤ مع قاسم.

(٩) قيادة نضال الشعب (العمال والفلاحين والطلبة) وتأسيس جبهة مشتركة ضد قاسم والشيوعيين.

(١٠) قيام ثورة ١٨ / شباط /١٩٦٣ (ثورة ١٤ رمضان) اعتمادا على المشاركة الشعبية التي غاب الدور البطولي والقيادي عنها.

(١١) تجلت في مرحلة ما بعد ثورة ٨ شباط / ١٩٦٣ عبقرية الرفيق القائد صدام حسين كمنظر عقائدي وواضح نظرية العمل ومنظم للحزب والجماهير حتى قيام ثورة ١٧/ تموز/ ١٩٦٨.



الفصل الخامس

معنى النضال

النضال هو الجهد المصحوب بالتضحية، الذي تبذله امة او شريحة اجتماعية او حزب او فرد لتحقيق هدف او اهداف اجتماعية عامة. . ومعنى ذلك ان سعي الافراد لتحقيق منافع شخصية، وان اقترن بالجهد والتضحية، ليس نضالا بالمعنى المتعارف عليه للكلمة. . فكلمة نضال، اذن، ذات مضمون اجتماعي محدد سواء لمصلحة امة ام لمصلحة شريحة منها وسواء ما كان يمارسه فرد بذاته ام مجموعة افراد وان كان مستحيلا على الفرد الواحد ان يحقق هدفا ذا بعد اجتماعي دون ان يتعاون الاخرون معه بهذه الصيغة او تلك.

وقد يكون النضال طبقيا، بمعنى ان تسعى طبقة اجتماعية معينة لتحقيق اهداف خاصة بها من خلال تنظيم حزبي او نقابي. . كسعي الفلاحين مثلا لامتلاك الارض، او كسعي العمال لامتلاك وسائل الانتاج او لزيادة الاجور او لتحسين ظروف العمل.

وقد يكون النضال فئويا بمعنى ان تمارسه فئة اجتماعية لاتملك صفة الطبقة كنضال الطلبة لتحقيق شروط تعليمية جديدة او نضال المرأة لتحقيق المساواة في التشريع والتعامل الاجتماعي.

وقد يكون النضال وطنيا تحرريا اي ان يمارسه شعب ما للتخلص من هيمنة اجنبية واحتلال خارجي.

وقد يكون النضال قوميا شاملا بمعنى ان يسعى لتحقيق جملة من الاهداف التي تجد امة ما حاجة لتحقيقها. والنضال القومي العربي هو من نوع النضال الشامل الذي يتضمن جملة اهداف ينتظمها سياق واحد ذلك ان النضال القومي يتميز بجملة سمات هي: -

اولاً: انه نضال وحدوي يتجسد في سعي الامة العربية لتحقيق وحدتها القومية مرتفعة فوق التجزئة التي فرضتها عليها القوى الاجنبية. . وهو نضال لتوحيد الشعب

مرتفعا فوق عوامل التجزئة التي خلقتها ظروف التدهور.

ثانياً: انـه نضـال تحرري يتجسـد في سعي الشعب العـربي للتخلص من الاستعـمار بشكليه القديم والجديد وتطهير الارض العربية من الاستعمار الاستيطاني المتمثل في الاحتـلال الصهيوني لفلسطين وتطهير الارض العربية من القواعد العسكرية الاجنبيـة وفـك ارتبـاط الاقتصـاد العـربي من عجلة الاقتصاد الاجنبي، وتحرير الثـروة القـومية من براثن الاحتكارات الاجنبية ثم التحرر من الغزو الثقافي الذي رافق الاستعمار العسكري والسياسي والذي عمل على توكيد التجزئة في الذات العـربيـة واستـلاب ثقـة المـواطن العـربي بنفسه وتشويه تاريخه وتراثه الحضاري واشـاعـة الافكـار الاقليميـة والطـائفيـة والعشائرية والعرقية وزعزعة ثقة المواطن بنفسه وبقدرات امته وجعله مقلدا تقليدا اعمى للثقافات الاخرى ونماذجها الاجتماعية.

ثالثاً: انـه نضـال اشـتراكي يسعى الى ازالـة الفـوارق الطبقية داخل الكيان العربي والقضاء على الاستغلال وتوفير فرصة العمل للمواطن كحق له وواجب عليه مع تحقيق الضمانات الاجتماعية وتنظيم ملكية وسائل الانتاج بما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية.

رابعاً: انه نضال اجتماعي فهو يستهدف في جملة ما يستهدف:

(١) القضـاء على الاطـر الطـائفية والعشـائرية والامراض الاخرى التي تقسم المجتمع وتعيق نموه وتسهل على اعدائه النفاذ من خلالها.

(٢) تحرير المرأة ليس باعتبارها نصف المجتمع حسب بل لانها عماد الاسرة والمسؤولة المباشرة عن صنع جيل جديد واع لحياة امته واثق بقدراتها متطلع الى بناء مجتمع معاصر.

(٣) القضاء على الامية باعتبارها عامل عزل لشرائح اجتماعية واسعة عن اداء اي دور اجتـماعي يفصـح عن امكـانيتهـا نتيجة تدني مستوى الوعي ومستوى الاداء وتتاح مثل هذه الفرصة والامكانية امام الحزب عندما يقود السلطة والمجتمع معا.

(٤) نبـذ التقـاليـد والقيم البـاليـه التي تعـرقل حركة المجتمع باتجاه المستقبل الافضل وغـرس قيم اجتـماعيـة تقـدميـة جديـدة تقـوم على اسـاس توكيد حرية الانسان واحترام تطلعاته المشروعة واسقاط التخلف عن كاهله.

(٥) بنـاء ثقـافـة قوميـة راسخـة متفـاعلة مع الثقافات الانسانية تأثراً وتأثيرا مستلهمة لحضارة الامة وتاريخها العريق مستجيبة لحاجات العصر ودواعيه مسهمة في تحقيق النهضة الشاملة معبرة عن رسالة الامة العربية.

هذه هي باختصـــار ابعـــاد النضـــال القـومي الـذي تبنـاه حزب البعث العـربي الاشـتراكي ونـاضـل هووجماهيره لتحقيقها. . ومن المؤكد أن مثل هذا النضال يستمد كونه نضالا من قدرته على مجابهة تحديات كثيرة. .

فالنضال ليس طموحا سهل التحقيق والا لما اكتسب هذه الصفة انما هوطموح لن يتحقق الا بعمل دؤوب وتضحيات كثيرة وشعور عال بالمسؤولية.

ان المنـاضـل البعثي يضـع تاريخا جديدا لامته. . ولقد امتد هذا النضال ما يقرب من اربعة عقود قدم الحزب والامة فيها الالوف من الشهداء والتضحيات الجسام وما يزال الشوط طويلا.

ان نبل الاهداف كثيرا ما يتجلى في صعوبة الطريق اليها. . ولان اهداف الامة التي يناضل حزبها لتحقيقها هي على درجة من العمق والشمول فانها لن تتحقق الا بنضال يومي شاق ومرير.

ان اهم التحديات التي تواجهها الامة العربية في نضالها اليوم هي: -

اولاً: الصهيـونيـة كتنظيم عالمي وككيـان سيـاسي متمثـل بما يسمى دولـة «اسـرائيل» وتسعى الصهيـونيـة للابقاء على فلسطين قاعدة لها وتوسيع حدود كيانها لتحقيق حلمهـا القـديم في ان تمتـد من النيـل الى الفـرات. . ثم انها تريد من خلال ما يسمى (تطبيـع العـلاقـات) السيطرة على موارد الامة العربية وسياساتها وثقافتها وتتوسل الصهيونية لتحقيق اهدافها بكثير من الوسائل، منها: -

(١) امتلاك الاسلحة النووية والتهديد باستخدامها.

(٢) الغـزو العسكـري المبـاشـر للاقطـار العـربيـة كما حدث في عدوان حزيران عام/ ١٩٦٧ وفي غزو لبنان عام/ ١٩٨٢.

(٣) الهيمنة على رأس المال في العالم والتحكم بحركته لمصلحتها.

(٤) التأثـير في سيـاسـات الـدول الكبرى بالافساد وبتكوين جماعات الضغط للتأثير على سياسات تلك الدول لصالحها وبالضد من مصلحة الامة العربية.

(٥) الهيمنة على وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الكثير من دول العالم بما

يكفل طمس الحق العربي وتشويه النضال من أجله.

(٦) زرع الجواسيس والعملاء في الوطن العربي وتعميق الخلافات القطرية وتكريس عوامل التجزئة ومظاهرها.

ولـذلـك فان النضال ضد الصهيونية هو نضال ذو بعد قومي فالصهيونية تستهدف الوطن العربي كله والصهيونية تستغل عوامل الضعف كالتجزئة والتناحر القطري وغيرها.. والصهيونية بما تملك من وسائل ولانها لا تنحصر في البقعة المحتلة على ارض فلسطين وإنما تنتشر في الكثير من دول العالم فهي اقوى من ان يجابهها قطر عربي لوحده.. فتحرير فلسطين يستلزم طاقات الامة العربية كلها مادية وبشرية اي انه يتطلب نضالا قوميا شاملا وليس قطريا محدودا.

ثانياً: الاستعـمار الـذي يتمثـل بالطـابع العالمي لرأس المال الباحث عن اسواقه ونفوذه والذي تقوه الولايات المتحدة ويشمل الكثير من الدول الغربية والمتحالفة معها (اليابان).

(١) الاستئثار بموارد الوطن العربي واستغلالها بثمن بخس.

(٢) الاستفادة من موقع الوطن العربي في الصراعات العالمية وفي التأثير على حركات التحرر في اسيا وافريقيا.

(٣) جعل الوطن العربي سوقا للسلع والحيلولة دون اعتماده على موارده الذاتية.

(٤) الابقاء على الوطن العربي مجزءا متخلفا.

ومن هنـا تبرز اهميـة النضـال ضد الاستعمار بغية امتلاك الشعب للقرار السياسي بعيـدا عن النفـوذ الاجنبي وتحـريـر الاقتصـاد القـومي من الشركات الاحتكارية الكـبرى وانجـاز مهـمات بنـاء الـوطن العربي والحفاظ على السيادة العربية على الارض والمياه.

ثالثاً: الشعوبية الفارسية

سعت الاقـوام التي استـوطنت هضبـة ايـران منـذ اقدم العصور الى التجاوز على حدود الـوطن العـربي الشـرقيـة مدفوعة بعوامل الطمع في خيراته والتسلط على شعبه وأرضـه ـ وبـدوافـع عنصرية ـ الفرس ضد العرب ـ ومع ان الدين الاسلامي قد دخل فارس الا ان ايمان الفرس بقيم الاسلام يقي مهزوزا ولم تختف معه النزعات العنصرية

والمطامع . بل ان الفرس قد وجدوا في دولة الاسلام الواحدة فرصة للتخريب من الداخل عن طريق التسلل الى الحلقات الرئيسة في السلطة والتأثير الفكري والثقافي من خلال الحركات الشعوبية اومن خلال الغزو المباشر كما حدث في غزو الفرس الساسانيين لبابل وتدميرها وفي غزو البويهيين والصفويين لبغداد وفي محاولات غزو العراق اثر صعود خميني الى السلطة ونشير كذلك الى محاولة احتلال الفرس لليمن والى مصر في محاولات للهيمنة على الارض العربية واستغلال ثرواتها وانه لامر طبيعي ان تجد النظم الايرانية حليفا لها متمثلا في الصهيونية والنظم العميلة التي تشاركها اهدافها في :-

(١) محاولة اقتسام الوطن العربي الى مناطق نفوذ ايرانية - صهيونية .

(٢) اشاعة الفرقة بين ابناء الشعب الواحد بتكريس الطائفية والنفوذ من خلال النظرة الضيقة والانانية لتجزئة مواقف الاقطار العربية .

(٣) المس بسيادة الامة على ارضها ومياهها وتسخير الارض والماء لاغراضها .

(٤) السيطرة على ثروات الامة وفي مقدمتها النفط .

(٥) ايقاف عجلة التقدم في العراق بارغامه على تسخير موارده للحرب .

(٦) حرمان العراق من المشاركة في اي دور قومي .

ولذلك فان جوهر العدوان الفارسي على العراق هوجوهر استعماري عنصري يلتقي مع المطامع الصهيونية ويعينها وهو لا يستهدف العراق بل يستهدف شرق الوطن العربي كله ولا سيما اقطار الخليج العربي .

فالنضال ضد الشعوبية الفارسية الذي خاضه الشعب العراقي وقواته المسلحة الباسلة في قادسية صدام هو نضال حضاري تقدمي تحرري ذو ابعاد قومية .

رابعاً : النظم العميلة

ان احد تحديات النضال القومي العربي هو وجود النظم العميلة فالاستعمار الجديد هو التحكم بمصائر الشعوب بالنيابة من خلال التحالف مع شرائح اجتماعية ذات مصلحة في بقاء الاوضاع على ما هي عليه . وليس بوسعنا ان نتصور نجاح الامة العربية في التحرير وتحقيق الوحدة وبناء الاشتراكية دون ازالة النظم العميلة التي تضع

القيود على حركة نضال الشعب العربي لتحقيق اهدافه.

خامساً: التخلـف

والتخلف هو احد التحديات التي تواجه النضال العربي فهو يشتت امكانات الامة ويعزل من حركتها شرائح هامة ويحول دون وعي حقيقي للجماهير بمشاكلها. لذلك فالنضال ضد التخلف يصب في تيار النضال التحرري كما ان النضال من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية يخرج الامة من التخلف.

وبعد هذا الاستعراض لطبيعة النضال العربي والتحديات التي تواجهه لابد من ان نستعرض بشكل موجز وسائل النضال الجماهيري.

اولاً: الحزب:

ان اهم وسيلة تمتلكها الامة لتحقيق اهداف نضالها هو وجود الطليعة المنظمة اي الحزب.

فنضال الحزب يتضمن جملة من العناصر هي: -

(١) تبصير الجماهير بواقعها وتحريكها لرفض هذا الواقع.

(٢) حشد طاقات الجماهير حول فكرة محددة وحول اساليب نضالية مخططة للحيلولة دون بعثرة هذه الطاقات.

(٣) قدرة الحزب على التعامل مع المتغيرات والاحداث وارشاد الجماهير الى ردود الفعل السليمة ازاءها.

(٤) قدرة الحزب على وضع اهداف مركزية واهداف مرحلية تستقطب نضال الامة.

(٥) قدرة الحزب على توجيه حركة الجماهير لتحقيق افضل النتائج باقل الخسائر.

(٦) قدرة الحزب على ابعاد الحركات السياسية الضارة او غير النافعة عن الهيمنة على حركة الجماهير وحرفها عن اتجاهاتها الصحيحة.

ثانيا: التنظيم النقابي والمهني

ان التنظيم النقابي والمهني وان كان معنيا بشرائح اجتماعية معينة كالعمال والطلبة والشباب.. الا انه ليس بعيدا عن الاهداف العامة للنضال الجماهيري اذا ما قاده الحزب فمعاناة الفئات الاجتماعية العريضة هي معاناة عامة في الغالب وتحقيق مطالبها لاينفصل عن النضال السياسي العام.. ودورها عند تسلم الحزب للسلطة، لاينفصل عن دور الجماهير والحزب عندما تتحقق فهو حاميها وهو باني المجتمع الجديد..

لذلك فالنضال النقابي والمهني في ظل ثورة الحزب هو نضال سياسي شامل من حيث دوره في تبصير المواطنين واثارة هممهم وتنظيم طاقاتهم الخلاقة في اعمال مخطط لها سلفا.

ثالثا: الثقافة

إن الثقافة احدى وسائل النضال المهمة لانها تبني الملاك المقتدر وتزيد الوعي وتحقق التوتر العاطفي وتحوله الى فعل من خلال وسائلها المعروفة كالعمل الادبي بمختلف اشكاله واللوحة والمسرحية والاغنية والنشيد والموسيقى.. وبنظرة عامة لنضال الجماهير في القطر العراقي خلال المعركة ضد العدو الفارسي نعلم كم هي مهمة وفاعلة هذه الوسائل في نضال الجماهير وتعبئتها.

رابعا: الصلة المباشرة

ان احدى وسائل النضال المهمة هي الصلة المباشرة بين المرسل والمتلقي فالحوار الانساني المباشر ينقل الخبرات بين الناس ويشحذ من وعيهم ومن ادراكهم لادوارهم الاجتماعية.

واذا كنا قد تحدثنا عن اساليب النضال فلابد لنا من ان نمر على بعض وسائله،

معـددين ايـاهـا حسب، لان طبيعـة كل منها معروفة من قبل المناضلين في الحزب ومن هذه الوسائل:

(١) الكتاب.
(٢) المنشور او البيان.
(٣) اللافتة او الكتابة على الجدران.
(٤) الصحف والمجلات.
(٥) الاضراب.
(٦) التظاهرات والمسيرات.
(٧) الاجتماعات.
(٨) التجمعـات الجـماهـيرية في المصانع، المقاهي، المنتديات، الجامعات المدارس، محلات العبادة، المناسبات.
(٩) الندوات.
(١٠) حملات العمل الشعبي.
(١١) الدعاية الانتخابية.
(١٢) العمل في صفوف القوات المسلحة.
(١٣) الاعمال المسلحة وفق توجيهات الحزب.

وغيرها كثير ويلاحظ ان معظم هذه الاساليب تستهدف تحقيق الصلة بين المتلقي والمناضل بصورة مباشرة او غير مباشرة وتبقى هذه الصلة مرحلة اولى تمهد لكسب المواطن الى صفوف الحزب ليكون مناضلا حقيقيا.

[خلاصـــة]

موضوع (معنى النضال)

النضـال هو الجهـد المصحـوب بالتضحية والذي تبذله امة او شريحة او حزب او فرد لتحقيق هدف اجتـماعي عام والنضـال القـومي العـربي هو نضال شامل يتضمن جملة

اهداف ينتظمها سياق واحد وهو ذو سمات متميزة هي : ـ

اولاً: انه نضال وحدوي يتجاوز اوضاع التجزئة.

ثانياً: انه نضال تحرري للتخلص من الاستعمار باشكاله كلها ومن الغزو الثقافي.

ثالثاً: انه نضال اشتراكي لازالة الفوارق الطبقية وتنظيم ملكية وسائل الانتاج وتحقيق عدالة التوزيع من خلال خطة تنمية قومية شاملة تحقق التكامل بين موارد الامة وتبني صناعة قومية متقدمة.

رابعاً: انه نضال اجتماعي يستهدف القضاء على الاطر الاقليمية والطائفية والعشائرية وتحرير المرأة والقضاء على الامية ونبذ القيم البالية.

لكن الامة في نضالها تواجه تحديات اهمها: ـ

(١) الصهيونية التي هي تنظيم عالمي وكيان سياسي ممثلاً بـ «اسرائيل» التي تتوسل لتحقيق اهدافها بامتلاك الاسلحة النووية والغزو العسكري والهيمنة على رأس المال في العالم وتكوين جماعات الضغط والسيطرة على وسائل الاعلام.

(٢) الاستعمار ويتمثل بالطابع العالمي لرأس المال بقيادة الولايات المتحدة، ويشمل اقطار السوق الاوربية واليابان ويستهدف الاستئثار بموارد الوطن العربي وجعل الوطن العربي سوقا للسلع مع ابقائه متخلفا مجزءا.

(٣) الشعوبية الفارسية اذ يحاول الفرس غزو العراق بعد صعود خميني الى السلطة وكانت نزعات العدوان والسيطرة ممتدة الى اقدم عصور التاريخ ضد العراق. . وتلتقي هذه النزعة مع المطامع الصهيونية لتعطيل دور العراق القومي.

(٤) النظم العميلة: اذ ان من التحديات التي تواجه النضال العربي وجود نظم عربية عميلة تعيق حركة نضال البعث العربي.

(٥) التخلف: وضرورة مواجهته عن طريق تحريك الجماهير وحشد طاقاتها.

ان وسائل النضال الجماهيري هـــــي : ـ

أ ـ وجود الطليعة المنظمة.

ب ـ التنظيم النقابي والمهني.

جـ ـ الثقافة.

د ـ الصلة المباشرة بين المرسل والمتلقي.



القسم الثاني

التنظيم الحزبي

١- لماذا التنظيم؟

نعرف جميعا ان الجهد الانساني الفردي في الحياة اليومية للمواطن في العائلة او في المجتمع، والذي هدفه السعادة والكرامة له ولاسرته وللمحيطين به، نافع ومفيد، وقد ينجح مثل هذا الجهد في تحقيق قضايا حياتية ترتبط بالعائلة.. ولكن الاهداف الكبيرة، والمهمات الصعبة التي تتعلق بالمجتمع بأسره، وتعبر عن حركة تطوره وتلبي احتياجات ومستلزمات حاضره ومستقبله، تظل بحاجة الى اداة منظمة ومؤثرة بصورة اعمق.. وحالة من هذا النوع لاتتحقق الا بالعمل الجماعي الذي يستقطب كل الطاقات الفردية للافراد، ويصهرها في بودقة واحدة، ويخلقها خلقا جديدا... اي أن العمل الجماعي الثوري المبدئي ليس حالة جمع جهود الكل الاعم والاكبر، وانما هو حالة تفاعل جهود الجميع في اطار العقل الثوري المنظم والجماعي، لخلق طاقة جديدة اكبر وافضل من الطاقة الفردية.. وان حشد الجهد الجماعي، في المكان والزمان والاتجاه، لايحصل الا من خلال عمل منظم وانضباط عال، وهكذا يكون التنظيم ضروريا من أجل تغيير صورة المجتمعات تغييرا عميقا وشموليا الى امام.

ان الاضافة التنظيمية لاتعني اضافة افراد جدد الى من سبقهم في التنظيم، فيكبر العدد، وتتسع الرقعة التنظيمية، من خلال عملية الاضافة هذه، بل هي عملية تربوية من خلال الفعل النضالي، وتحتاج الى قدر كبير من التفاعل والدقة والمتابعة، فتتحول الاضافة الكمية تدريجيا الى طاقة جديدة تقرب التنظيم من امكانية تحقيق الهدف او مجموعة الاهداف، التي يناضل من اجلها. وهنا يقترب المناضل من الهدف، الذي دفعه للأنتماء، كلما ابتعد عن الواقع السلبي الذي كان يعيشه، وهو خارج التنظيم.

ان التنظيم ليس حالة شكلية، المقصود منها تجميع الافراد وتصنيفهم وعزلهم عن غيرهم من غير المنتظمين، بل هو الاداة التي تنتقل الافكار بواسطتها الى ميدان التطبيق، وتتحول الى واقع حياتي متفاعل مع اوسع قاعدة جماهيرية، اذ تنتقل كل فكرة مبدئية الى سلوك وممارسة، يعبر عنها بالحياة اليومية، والمواقف المتصلة بالواقع الملموس.

ان الذين يضعون معارفهم النظرية بعيدا عن الممارسة هم حفظة كلمات، لا اثر لها في الحياة، فان الافكار مهما تكن صادقة ونبيلة وجيدة، غير ذات فائدة، ان لم تنتقل الى الواقع التطبيقي وتتحول الى فعل ثوري منظم يضمن السعادة والتقدم للوطن وللمواطن.

وليس من سبيل الى ذلك سوى التنظيم الذي يضع حدودا واضحة بين تلك المعارف والاراء التي تضيع في زحمة الحياة وتعقيداتها، وبين النظرية التي تنطلق من صميم الواقع، وتستجيب له عبر التطبيق والعمل المبدع.

ان التاريخ الانساني شهد حالات كثيرة جدا من الافكار، التي ظلت نائمة في صفحات الكتب ورفوف المكتبات لأنها لم تهتد ولم يهتد القائمون عليها الى الفعل المنظم.

اما الحالات التي تحولت فيها الافكار الى تجارب انسانية واقعية، واسست حضارات مهمة فقد تمت عن طريق الفعل المنظم، الذي عرف كيف يحول الطاقات الفردية الى تحول اجتماعي فعال ومؤثر صوب الاهداف.

فالتنظيم ليس فعلا تجميعيا مجردا اوممارسة تحفظ الطاقات الفردية من الضياع والتسرب، بل هوممارسة انسانية كاملة ومشروع يقدم صورة المستقبل التي يريدها الفكر المناضل والانسان المناضل وبالقدر الذي يكون هذا المشروع ملبيا لحاجات الواقع وحركة التغيير.

فاذا فشل الانسان، واذا عجز الفكر عن تأسيس تنظيم حي ناضج ومؤثر وقادر على الحركة ومبني على القيم والاخلاق الثورية والعلاقات الانسانية الصحيحة، فمن غير الممكن انجاز مشروع المستقبل، من خلال بناء الدولة الثورية، لان النضال المستمر والحاسم صوب الاهداف الكبيرة والصعبة لايتحقق الا من خلال بناء الدولة فالنضال ليس هواية او رغبة بدون اهداف واساليب محددة.

ان الفشل يعني ضياع ملامح المشروع الذي يقدمه الفكر المناضل للمستقبل وبقاءه حلما مجردا صعب التحقيق.

العلاقة بين اهداف الحزب وحياته الداخلية

ان الافكار تأخذ بعدها الواقعي في سلوك المناضل من خلال التنظيم ففكرة الوحدة، مثلا، يعبر عنها، التنظيم، برفض كل ما يتعارض مع هذه الفكرة، من اقليمية وطائفية، ويساعد التنظيم، في تكوينه العام، على اعطاء صورة الوطن العربي الموحد، لأنه يضم بين صفوفه مواطنين من مختلف الاقطار العربية ولاؤهم للأمة وارتباطهم بأرضهم عميق . .

وفي الهيكل التنظيمي لحزب البعث العربي الاشتراكي نجد على قمة التنظيم الهرمي قيادة قومية تتفرع عنها قيادات رأسية لاقطار الوطن العربي، كل حسب ظروفه ومدى تطور التنظيم الحزبي فيه. ان هذا الهيكل القومي لتنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي يتعامل مع هدف الوحدة كواقع ليس في النظرية البعثية حسب بل في حياة الحزب الداخلية وطبيعة التنظيم.

ويعبر عن الحرية باحترام الرأي الآخر داخل التنظيم، واحترام صيغة العمل الجماعي وتقاليده، والالتزام بمجمل صيغ الانضباط الحزبي، التي يتعلمها البعثي، عبر ممارسة الصيغة التنظيمية، وكذلك احترام رأي وسلوك الآخرين بما لايشكل خطرا على الشعب او الوطن.

وهكذا فان الحرية لم تعد مجرد كلمة جميلة نستعملها مصطلحا سياسيا مفرغا من محتواه العملي او الاجتماعي، وانما هي موقف وسلوك يدخلان في أدق تفاصيل حياتنا اليومية ويرسمان صورة المستقبل، التي حددتها اهدافنا، وسرنا اليها ونسير من خلال نضالنا.

اما الاشتراكية فيعبر عنها بالابتعاد عن كل اشكال الكسب غير المشروع ونبذ روح الاستغلال، واقتناص الفرص والتكالب على ماديات الحياة. والاشتراكية مثلما هي قرارات وقوانين فهي سلوك وايمان. وليس اقدر من التنظيم على غرس الايمان في عقل وضمير الانسان، وعلى تكريس السلوك الاشتراكي لديه.

وهذه هي ميزة التنظيم البعثي . . . انه يضع المناضل في صورة المستقبل، ويقربه

من مشروع الدولة التي يناضل من اجلها. . اي انه لايضعه بعيدا عن الواقع، ويتركه غارقا في سيل الكلمات والمصطلحات.

ان الممارسة التنظيمية لحزب البعث العربي الاشتراكي عبر اندماجها بالعملية الفكرية والتثقيف المتعدد الاوجه والاساليب تتحول الى عملية بناء للأنسان ففي الوقت الذي تخلق الحياة الداخلية للحزب الملامح المشتركة للبعثي في الفكر والسلوك والارادة ليس من الصعب تلمسها حين ننظر اليها من خلال تجربة تنظيمية ناضجة ومتميزة، اذ نجد ان الملامح المشتركة بين بعثي وبعثي تتجاوز في قربها وتشابهها الملامح المشتركة في الفكر والسلوك والارادة بين شقيق وشقيقه حين ينشأ ذلك الشقيق خارج اطار هذا التنظيم.

ان هذا الزخم هو الطريق الى التغيير، وهو المعبر عن ارادة النضال ضد قوى الاستغلال والتخلف والتعسف والدكتاتورية. . وضد قوى القمع والسيطرة والتوسع.

فلنتصور ان نظاما متعسفا يمتلك كل وسائل القمع وادوات القهر، هل بالامكان مواجهته بالارادة الفردية، مهما كانت هذه الارادة مؤمنة وصادقة وشجاعة؟.

ولنتصور مجتمعا متخلفا غارقا بالجهل والمرض والتردد والفقر، هل يمكن ان ننتقل به الى شاطىء التقدم متجاوزين واقع التخلف بالارادة الفردية وحدها؟.

نحن نعرف ان كل حالات التغيير الكبير، التي حققها الانسان في تاريخه جاءت من خلال الزخم العام الذي تصنعه الافكار المقرونة بالارادة المنظمة.

وهنا يجدر بنا ان نشير الى الخبرة التي يقدمها التنظيم للأنسان وللمناضل، ولنأخذ مثلا تجربة حزبنا في العراق، حيث تم بناء انضج تجربة ثورية واكملها في المجالات السياسية والتنموية والثقافية، من بين كل التجارب التي عرفها العالم الثالث، فالملفت للنظر ان الذين كانوا وراء بناء هذه التجربة الثورية الفذة مناضلون لم تكن لهم اية خبرة او تجربة في ادارة الدولة وان كل تجربتهم اكتسبوها من خلال تجربة التنظيم الحزبي.

وتبرز في هذا السياق ظاهرة الرفيق القائد صدام حسين عبر مسيرة تجربة الثورة في العراق، ففي كل المنعطفات التي مرت بها والانجازات الكبيرة التي حققتها كان هو المبادر والمخطط والمتصدي للصعوبات وواضع الحلول.

ان الرفيق القائد صدام حسين قد اكتسب كل خبراته من خلال تجربته التنظيمية في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي. وهو الذي عركته الحياة الحزبية منذ كان فتى

وقـاد الحـزب في اصعب المـراحـل واكثـرها تعقيدا، واوصله بالوعي والار دة والتصميم والانضباط الشديد الى حيث الامان.

ان التحـاق الفـرد بالتنظيم الحـزبي يمثـل بداية المسؤ ولية الكبر ى اذ ينتقل فيه من مرحلة الانسان الاعتيادي الى مرحلة الانسان المسؤ ول، حيث يجد له موقعا في الهدف الكبيـر السـامي لأمتـه. وهـذا يتطلب منـه جهـودا استثنـائيـة في الالتزام والمواصفات الفكرية وفي العطاء المميز والاستعداد للتضحية، لكي يكون جديرا بصفة البعثي التي تميزه في المسؤ وليات والاعباء والوعي والارادة.

لذلك فان التنظيم هو انتقال من حالة الى حالة جديدة وهو وسيلة التغيير، ووسيلة بناء التجربة وشدها اذ يحقق التجانس الفكري بين المناضلين لامن خلال قراءة الفكر المجرد واستيعابه وانما من خلال الممارسة النضالية، من جهة، والحوار والمناقشة من جهة ثانية.

ان التنظيم هو مدرسـة المنـاضـل، ليس في مجال اكتسـاب المعـارف حسب، بل في امتحـانهـا وبـالاضـافـة اليهـا، والتـواصـل معهـا، والخـروج بقنـاعات فكرية محددة ومنضبطـة، دون ان تتحـول الى نصـوص جامـدة تمنـع تطـور المناضل او تحط النظرية وتقطعها عن اسباب الحياة. . فالتنظيم الحزبي، بما يوفره من اجواء ديمقراطية، يطور فكـر المنـاضلين باتجـاه الـوحدة والتجانس، ، ويقرب من الفروق، ويلغى التناقضات الحادة، ويفتح افاقا لتطور هذا الفكر بالاتجاه نفسه وعلى المرتكزات نفسها.

وهو ييسر عملية ايصال المواقف والتعليمات والتوجيهات، التي يريد الحزب ايصالها الى منـاضليـه، وذلـك عن طريق الحـركـة السـريعة التي يوفرها التسلسل الحزبي، اذ يستطيـع المسـؤ ول ان يوصـل المـوقف او التعليـمات او التـوجيـه الى عدد كبـير من المنـاضلين، الـذين هم في المنظمـة المسـؤ ول هو عنهـا، باختصـار شديد في الزمن وفي الحركة، لان الاجتماع يعقد عادة في مكان وزمان معينين.

ان التنظيم يعلمنـا كيف نتعـامـل مع الوقت، ويعلمنا معنى احترام المواعيد وعدم التفريط بها وعدم التساهل في ضبطها.

ان احترام موعد الاجتماع عامل رئيس واساسي في النظرية التنظيمية لحزب البعث العـربي الاشـتراكي، لان احـترام المـواعيـد ودقتهـا، وعـدم التفـريط بالوقت، اثناء الاجتماعات، بطرح امور وقضايا غير اساسية، يؤكد الموقف الاخلاقي لحزبنا من جهة

ويرسم صورة المجتمع الجديد، الذي يناضل حزبنا من اجل اقامته، هذا المجتمع الذي يحترم الوقت ويحافظ عليه، ويلتزم بدقة المواعيد في كل تفاصيل حياته.

ثم ان من مهمات التنظيم وعبر الممارسة اليومية، ومن خلال التشخيص الدقيق، والملاحظة المستمرة التي يبديها مسؤول المنظمة وبقية المسؤولين صعودا في سلم المسؤولية ان يكتشف القدرات الخاصة التي يتميز بها مناضل عن آخر، تنظيمية كانت ام ثقافية أم صدامية، ثم العمل على وضعها في مجالات مناسبة، والعمل على رعايتها ومنحها الفرص التي تجعلها تصل الى مديات واسعة ويتم ذلك عبر نشاطات الحزب، وقد تخرج الى المجتمع حين تتبلور بالرعاية المستمرة.

وداخل الحزب يظل المناضل حريصا كل الحرص على صقل نفسه وروحه وتطهيرهما من كل شائبة سواء في الفكر او التصرف او السلوك، وان تتمثل فيه دوما الاخلاق الحسنه والنزاهة والعفة والامانة والاخلاص والوفاء والشهامة ونكران الذات ليكسب رضا الجماهير وحبها وتقديرها، وبالتالي ليعبر بصدق وبأصالة عن وجه الحزب الناصع، فهو في محيط ومجال عمله قدوة للجماهير، تتعلم منه ويتعلم منها، ويؤثر ويتأثر، وهو ايضا لايستطيع ان يشق طريقه كمناضل طليعي نموذجي في صفوف الحزب من دون ان يحمل في ضميره ووجدانه كل ماهو خير وشريف من عادات وتقاليد الشعب.

ان معظم مثقفي حزبنا خلال مراحل نضاله التي سبقت تسلم السلطة في العراق برزوا من خلال النشاط الثقافي داخل الحزب ومن خلال العمل في وسائل الثقافة فيه، رغم محدوديتها.

ان اكتشاف القدرات الخاصة والمواهب المتميزة لن يقف عند حدود التنظيم الحزبي حسب بل يتجاوز ذلك الى اوسع المجالات الشعبية. وان سعة مساحة التنظيم وانتشار الحزبيين بين اوساط الشعب تؤهلهم لمراقبة وملامسة واكتشاف هذه القدرات واصحابها، وبدلا من ان تضيع في زحمة الحياة يمكن ان تأخذ طريقها الى النضج والتقدم عن طريق التحاقها بالتنظيم لما فيه مصلحة التقدم.

واخيرا نشير الى دور التنظيم في تقدير وصول التعليمات والمواقف الى المنتظمين وحدهم او الى جماهير الشعب ايضا. والخشية هنا كما نعلم ليست من جماهير الشعب فهي وسط الحزب الذي يعيش فيه وينمو ويتطور ويتجدد فيه، ولكن الخشية من ان

تصل الى اعداء الشعب فتستعمل ضد الحزب، وضد حركة التقدم. هذا حين يكون الحزب في السلطة او يكون له قدر من حرية العمل.

اما اذا كان الحزب يخوض النضال ضد سلطة قمعية متسلطة، فان التنظيم السري يحفظ الحزب من ان يتعرض لضربات الاجهزة القمعية، ويحفظ بعض المواقف والتعليمات والتوجيهات في حدود ترسمها القيادة المعنية خشية من ان تستفيد منها اجهزة القمع واعداء الحزب، وتيسر لهم مهمة ضرب الحزب، والحد من نضاله، والتأثير على نشاط مناضليه.

الخلاصـــــــة

ان التنظيم الحزبي حاجة حيوية، تتطلبها الاهداف الكبيرة والمهمات الصعبة، فهو الاداة المنظمة التي تحول مجموع جهود الافراد الى حالة نوعية جديدة، لها قدرة عالية على تحقيق اهداف الحزب. وهو وسيلة لايصال الافكار والمبادىء الى الحزبيين، وتجسيدها في سلوكهم اليومي ومواقفهم، لان اعظم الافكار لاقيمة لها اذا لم تجد من يحولها الى مواقف وممارسات.

ان الوحدة يعبر عنها في سلوك الحزبيين، برفض كل ممارسة تؤدي الى تفكيك الوحدة الوطنية والقومية. والحرية تعبر عن نفسها باحترام اراء الآخرين، واحترام الانسان كقيمة.

والاشتراكية ترفض كل سلوك غير مشروع ولا يرتبط بالجهد ولذلك كانت عملية التنظيم الحزبي هي في الوقت نفسه عملية انضاج وبلورة التجربة الحياتية للحزبي، فالتنظيم هو المدرسة التي نشأ في اطارها قادة الحزب وكوادره، الذين يبنون في العراق اعظم تجربة يشهدها العالم الثالث. والرفيق القائد المناضل صدام حسين. هو ابن هذه المدرسة الحزبية. ومن خلال تجربته التنظيمية في صفوف الحزب، عرك الحياة الحزبية، وقاد الحزب في اصعب المراحل واكثرها تعقيدا، واوصله، بالوعي والارادة والتصميم والانضباط الى حيث الانتصار والاقتدار.

والتنظيم هو مدرسة المناضل، فيه يطور فكره وخبرته ويتجانس مع رفاقه. وهو ايضا القناة التي تربط وبطريقة سريعة ومتحركة بين الحزب ومناضليه، وفيه يتعلم الحزبي

احـترام الـوقت والانضبـاط واحـترام مواعيد الاجتماعات وفيه يتم اكتشاف القابليات وتطويرها والافادة منها .

٢- التنظيم والخلية الحزبية

تعرفنا في الموضوع السابق، على معنى التنظيم واهميته في الحياة الانسانية، وفي النضال الانساني، ودوره في بناء المجتمع والانسان والحزب.

ان التنظيم الحزبي ليس حالة شكلية مجردة او مصطلحا مجردا نستعمله في حياتنا العامة او حياتنا الحزبية.

ان للتنظيم اسسه، ومرتكزاته، وله قاعدته القوية المتينة التي بدونها يفقد التنظيم، كمصطلح او كواقع معناه واثره ومبررات وجوده وقبل ان ندخل في تفاصيل الحالة التنظيمية، يمكن ان نقول عن التنظيم انه المجموع المتفاعل للضوابط التي ترتكز عليها المسيرة النضالية للحزب وترسم مساراتها، وتحدد اتجاهات عملها، ولكن علينا ان نعرف ان هذه الضوابط ليست منفصلة عن فكر الحزب، وانما هي جزء منه، عبر وحدة كاملة بين التنظيم والفكر، ان مرتكز التنظيم هو الخليه الحزبية التي هي اصغر وحدة تنظيمية، تقوم بمهمة العمل النضالي اليومي، في اطار خطته العامة لمجمل التنظيم، وان مجموع نشاط الخلايا التنظيمية يشكل النشاط الكلي للحزب، ليس بمعنى الجمع الكلي والعددي لمجمل نشاط هذه الوحدات وانما هو نشاط خلايا الجسم الحي الواحد، فان نشاط كل خلايا الجسم، حسب تخصصاتها ومواضعها يشكل في النتيجة، الحياة.

ان حياة الحزب يشكلها مجموع نشاطات الخلايا التنظيمية وان موت خلية او مرضها اوعدم قدرتها على التلاؤم مع الحركة العامة للجسم معناه انها اصبحت معيقا لابد من معالجته واصلاحه، بما يتيسر من وسائل الاصلاح والعلاج، او ابعاده عن جسم الحزب، حتى لايؤثر على حركته العامة، وحتى لاتنتقل الاعراض الى بقية الخلايا الصحيحة المعافاة.

ان نشاط الخلايا الحزبية هو بمثابة الشعيرات الدقيقة التي تحقق تماسك جسم الحزب، وهي التي تمنح الحياة للهيكل التنظيمي، وتحقق دور الحزب في الحياة، كما تحقق الترابط بين الحزب والجماهير، بصيغة النسغ الصاعد والنسغ النازل، اي بصيغة التفاعل عبر الاخذ والعطاء.

اذ تستطيع الخلية الحزبية بانتشارها في كل الاوساط الجماهيرية، توصيل افكار الحزب ومواقفه وسياساته، الى جماهير الشعب وهي بدورها تكتشف العناصر الصادقة الامينة الصالحة للعمل الحزبي، فتعمل على ضمها الى الحزب ليس كرقم عددي، وانما كطاقة نضالية جديدة، تضاف الى مجمل طاقات الحزب، فتجدد الدماء الحارة فيه، وكما يستوعب الجسم الحي الحجيرات النشيطة الجديدة، ويبعد الحجيرات الفاسدة الميتة.

ان الخلية الحزبية تضم مجموعة من المناضلين، ويقودها مسؤول من مستوى حزبي اعلى.

يكون الحد الادنى لاعضاء الخلية الحزبية ثلاثة اعضاء الى سبعة ويصل الى (اثنى عشر عضوا) في الاقطار التي يقودها الحزب في ظروف علنية، وهكذا يزداد العدد الاعلى للخلية حسب ظروف التنظيم وعدده، لكن يفضل ان لايكون عدد اعضاء الخلية كبيرا، لكي يستطيع المسؤول الحزبي استيعاب نشاط كل الاعضاء، واكتشاف قدراتهم وطاقاتهم وتطويرها، والتركيز على الطاقات المتميزة ورعايتها، وتوفير اسباب ازدهارها وتقدمها.

اما في العمل السري، فيجب الابتعاد بصورة قاطعة عن توسيع الخلية الحزبية، بحيث ينحصر عدد اعضائها بين ثلاثة الى سبعه اعضاء لاسباب تتعلق بأمن التنظيم وعدم اتاحة الفرصة لاعداء الحزب لاكتشافه ومن ثم ضربه، ذلك ان التجمعات الكبيرة يكون رصدها او اختراقها من قبل الاعداء اكثر سهولة.

ان قلة عدد اعضاء الخليه يتيح للمسؤول الحزبي التركيز على من يقعون ضمن مسؤوليته التنظيمية، ليتابع عملية تطويرهم ثقافيا ونضاليا، وتحصينهم ضد الوسط المضاد، وتأهيلهم للتأثير في الوسط الذي يعيشون فيه.

ان الساحة، التي يقودها الحزب يكون الوسط العام فيها متعاطفا، ولا تقتصر عوامل التأثير البعثي في هذا الوسط على العمل التنظيمي، بل تدعمه كل النشاطات السياسية والثقافية والاعلامية.

ويقسم التنظيم الحزبي بحسب المناطق تسهيلا لحركة العمل اليومي وحفاظا على الوقت، وزيادة في التأثير، اذ ان الانسان يكون اقدر على التأثير في الوسط الذي يعرفه، ويعرف امكانية التحرك فيه ووسائل التأثير الاجدى، والتركيز على العناصر

الجيدة، من اجل تحديد الاوساط المعادية، ومعرفة اسباب ودوافع العداء، من اجل تطويقها، وعدم السماح لها بالانتشار، والتأثير في الاوساط الشعبية التي هي وسط الحزب وهدفه ومادته. . وكذلك من اجل رصد القوى السياسية والاجتماعية، ومعرفة اتجاهاتها والتحرك عليها وفق خطة الحزب، وتوطيد العلاقة مع الاوساط الشعبية القريبة منها، بغية عزلها عنها، ومحاصرتها، وفرض واقع التقوقع والضمور عليها.

والتنظيم قد يكون مهنيا، كالتنظيمات الطلابية والعمالية والفلاحية او تخصصياً مثل تنظيمات الادباء او الفنانين او الصحفيين.

ان مبررات بناء بعض التنظيمات المهنية كثيرة ومتشعبة، منها الاستثمار الجيد لعنصر الزمن، حيث تتواجد قطاعات مهنية معينة لفترات طويلة في مجال عملها، ثم تكثيف النشاط بين هذه القطاعات بما يتناسب مع اهميته وتميزه وخصوصيته، وبالتالي فائدته لعموم عمل الحزب اضافة الى ان بعض القطاعات المهنيه بحكم تركيبتها الاجتماعية بحاجة الى نوع خاص من التعامل التنظيمي المتميز.

ان التنظيمات المهنية والمتخصصة تكون عادة حين تكون تنظيمات الحزب واسعة وممتدة افقيا، وهي تكون تنظيمات منفردة، اي ان علاقة الحزبي بالحزب تأتي من خلالها، وفي بعض الاحيان تكون له علاقة تنظيمية مزدوجة بالاضافة الى التنظيم في منطقة السكن.

ان من اولى مهام الخلية الحزبية ايصال التعليمات والخطط والتوجيهات الحزبية الى مناضلي الحزب، من اجل تطبيقها، في الوقت الذي يقوم فيه مسؤول الخلية بالاجابة على اسئلة اعضائها، وايضاح ما يجد فيه غموضا، كي يكون تنفيذها دقيقا وفق الخطة المرسومة.

ثم تقوم الخلية من خلال اعضائها بايصال مايطلب منها ايصاله الى الجماهير الشعبية، لتأكيد التواصل بين الحزب والجماهير، ونقل اراء المواطنين وانطباعاتهم، ومن ثم تقديم الاراء، واقتراح الحلول، وفي هذا السبيل، يتم التأكيد على الحالات الايجابية، التي تنشأ عن العلاقة العميقة بين الحزب والجماهير، وان ترصد السلبيات، من اجل تجاوزها. . اذ ان الحزب مهما كان قويا ومهما كانت مبادئه صحيحة فان ابتعاده عن الجماهير يعني انه يسير في خط تنازلي يصل به الى الضعف والتدهور والموت.

ان قوة حزبنا تأتي من قوة الحزام الجماهيري الذي يلتف حوله، وان صحة مبادئه

تتأكد وتترسخ بأيمان الشعب بها .

ان المناضـل الحقيقي والجـدير بحمل رسالة الامة الخالدة هو الذي يجعل من حياته كتلة من النشاط المستمر والدائم، من اجل خدمة الحزب واهدافه، وان لايقتصر عمله الحـزبي على حضـور الاجتـماع فقـط، ولا ينحصـر عطـاؤه للحـزب وللشعب داخل المنظمـة الحـزبيـة فقـط، وانما يجب ان يتجاوز ذلك الى العطاء الواسع، فالاجتماع هو مجال لتنسيق العمـل والنشـاط وتلقي التـوجيهـات، ورفـع المقـترحات، وتكون الفترة الزمنيه بين اجتماع واخر هي حصة الحزب والشعب في نشاط المناضل، لتنفيذ التعليمات ومتابعتها، والاضافة اليها، من روح المناضل المبدعة .

ان الاجتـماع الحـزبي ليس عملا مجردا يتسم بالالية والثبات والجمود وانما عو عملية خلق دائمة ومستمرة، ولذلك نجد ان اهمية الاجتماع الحزبي تنبع من كونه الموعد الذي يتوق اليه المناضلون، لكي يمارسوا العمل الجماعي من اجل انتصار المبادىء، التي آمنوا بها، والتي يرون فيها الخير لشعبهم، والقوة والمنعة لامتهم، والمجد والمستقبل السعيد لوطنهم .

انهم يجدون في الاجتـماع الحـزبي المجـال المنـاسب، الـذي يضعـون فيـه حصيلة تجاربهم النضـاليـة، وزبـدة معارفهم في نقاش رفاقي ناضج وعلمي، من اجل المساهمة الجـادة في مسـيرة حزبهم، الذي اختاروا الانضمام اليه، ليعبر وا من خلال هذا الانتماء عن تطلعات ضميرهم الوطني والقومي والانساني، ويتطلعون في الوقت نفسه وبمنتهى المحبة والرغبة الاصيلة الى تعليمات الحزب وتوجيهاته وما تعبر عنه من مواقف .

ان الاجتـماع الحـزبي لقـاء له قدسيتـه، اذ يلتقي فيـه المناضل صاحب الرسالة مع رفـاقـه المنـاضلين، الـذين يحملون روحـا مثـل روحـه، واستعـدادا للتضحيـة مثـل استعداده، والذين يرتبط بهم بالفكر والضمير ووحدة المصير .

لذلـك نجـد ان المناضلين الذين وهبوا انفسهم للامة، ووضعوا كل ماعندهم ومعه الارواح، في سبيلهـا، ومن اجـل تقـدمهـا وعـزتهـا، يتوجهون للاجتماع بشوق غامر، ورغبـة صادقـة وتفتـح ذهني ونفسي، واستعداد عقلي للمشاركة من اجل تطوير العمل الحزبي، وتعميق اثاره الايجابية، في حياة الشعب ومستقبل الوطن .

ان قدسية الاجتماع الحزبي تتطلب جملة من الالتزامات التي تؤدي الى نجاح عمل الحزب وتسير به الى حيث النصر والسؤدد.

واذ ينبغي الحفاظ على موعد الاجتماع، واعتبار ذلك من القضايا التي لايجوز التهاون فيها، فذلك لان احترام الاجتماع، والالتزام به هما احترام للحزب ودليل على الايمان بمبادئه، ومما يراعى في الاجتماع انه يجب احترام الوقت في اثناء الاجتماع والالتزام بآداب الحديث، ومراعاة حق الاخرين في اخذ فرصتهم في ابداء الرأي والمناقشة، وعدم اهدار الوقت في الكلام المطول وطرح القضايا الشخصية التي لاعلاقة لها بالمسيرة النضالية للحزب، وكذلك يجب الدقة في الحديث وفي الحوار، كما ينبغي الالتزام بتوجيهات المسؤول الحزبي واحترامها، لانها ليست توجيهات شخصية.

ان توجيهات المسؤول الحزبي هي توجيهات الحزب وان المسؤول الحزبي هو حلقة الوصل بين الحزب وبين المناضلين في الحلقة الحزبية، وبالتالي فهو حلقة الوصل بين الحزب والجماهير.

وعلى كل بعثي تقع مهمة صيانة اسرار الحزب في مجاله والاحتفاظ بالمعلومات واحترامها، والتزام عدم الثرثرة خارج الاجتماع الحزبي.. كي لاتتعرض خطط وبرامج التنظيم للكشف، فتسهل للاعداء مهمة محاربتها وتعويق تنفيذها، ذلك ان معرفة الاعداء بالخطط والنوايا الحزبية تعوق المناضل كما تعوق المنظمة عن اداء الدور النضالي بصورة جيدة..

[خلاصـــــة]

التنظيم والخلية الحزبية

التنظيم الحزبي هو الاطار الثوري الذي يضم مناضلي الحزب في الحياة الداخلية.

وتعد الخلية الحزبية اصغر وحدة تنظيمية في الحزب، ويشكل مجموع نشاط الحلقات او الخلايا التنظيمية النشاط الكلي للحزب.. لذا كان لزاما ان يكون نشاط الخلايا الحزبية متكاملا ومنسجما مع الاهداف وصولا الى نشاط حزبي منظم قادر على قيادة الجماهير.. وتعتبر الخلية الحزبية :ـ

اولاً: حلقــة الــوصــل بين المستــوى الاعلى والمستــوى الادنى ، وبـين الحـزب والجماهير ، تنقل خطط وبرامج الحزب للمستويات الحزبية الادنى وللوسط الجـماهـيري ، وتنقـل رأي وظـروف المنظـمات الادنى والـوسط الجماهيري للقيادة الاعلى .

ثانيـاً: الـوسـط الـذي يتفاعل فيه مجموعة من المناضلين البعثيين بمستوى حزبي واحد يقـودهم مسـؤول من مستوى حزبي اعلى في الظروف الاعتيادية اومن المستوى نفسـه في الظـروف الاستثنائية ، وبخاصة في العمل السري عندما ينقطع اتصال المنظمـة الحـزبيـة بالمستـوى الاعلى لاي سبب من الاسبـاب اوعنـدمـا يعتقـل المسـؤول الحـزبي ، وليس هنـالـك امكانية في تعيين مسؤول حزبي من مستوى اعلى . . وتـربطهم علاقات نضالية وانسانية متميزة تتيح لمسؤول المنظمة ممارسة دوره في بناء اعضاء المنظمة عقائديا وسياسيا وتنظيميا بما يتلاءم مع اهداف الحزب .

وتـؤخـذ الاعتبارات الجغرافية بنظر الاعتبار في تقسيم الخلايا والمنظمات على المنــاطق في الاحــوال الاعتيـاديـة ، كما تدخـل الاعتبـارات المهنيـة والـوظيفيـة والتخصصية في توزيع الخلايا والمنظمات في بعض الاحيان ، ولاعتبارات خاصة ، ويجب ان لا تقتصر علاقة البعثي بالحزب على صلته بالمنظمة او الخلية الحزبية بل يجب ان تمتد لتشمل القنوات النضالية الاخرى لعلاقة البعثي بحزبه وبالجماهير ، الى جانب هذه القناة المهمة في علاقة البعثي بالتنظيم .

ولنجـاح الاجتـماع الحزبي لابد من توفر بعض المستلزمات الاساسية التي تتحقق القيمة للاجتماع من خلالها ، وهـي :-

(١) انعقاده في مكان وزمان معينين والتزام اعضاء الخلية التام بموعد انعقاد الاجتماع .

(٢) برمجـة فقـرات الاجتـماع الحـزبي ، والتـزام اعضاء الخلية ببرنامج الاجتماع . . . والابتعاد عن الثرثرة وهدر الوقت في موضوعات لا علاقة لها بالاجتماع .

(٣) التفـاعـل مع فقـرات الاجتـماع بروح ايجـابيـة ، وعدم تنفيذها بطريقة الية تفتقر لحرارة النضال والقيم البعثية الاصيلة .

(٤) الحرص على التقاليد النضالية واحترامها واشاعة روح الديمقراطية بحدود الضوابط الحزبية المقررة.

(٥) احترام رأي وتوجيهات المسؤول الحزبي للخلية، كمناضل يمثل الحزب داخل الاجتماع الحزبي.

(٦) الحفاظ على سرية المعلومات الواردة في الاجتماع الحزبي وعدم الثرثرة بها خارج الاجتماعات.



٣ـ التنظيم والانضباط في الحزب

لاتستكمـل شخصيـة المنـاضل البعثي مواصفاتها دون الالتزام والانضباط، فهما من اسس وشروط العمل الثوري المنظم.

وبـدونهمـا يصبـح التنظيم والمنظمـة الحـزبيـة والانسان المنظم مصطلحات مجردة لامعنى لها.

ان الالتـزام هو الايمـان بمبـادىء وافكار وسياسات الحزب نظريا وتطبيقها عمليا، حيث تتحول هذه المبادىء والافكار الى منهج حياتي يدخل في كل تفاصيل الحياة، وتحـل محـل الافكار والتصورات التي كان يحملها الفرد، قبل الانتماء الى الحزب. فحين يريـد الحـزبي ان يكـون بعثيـا حقيقيـا فليس من المعقول ان لايؤمن بأهداف الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية، او ان يؤمن بالوحدة ولايؤمن بالاشتراكية، او يؤمن بهما ولايؤمن بالحرية.

وليس من المعقول ان ينتمي المواطن الى حزب البعث العربي الاشتراكي ويظل محتفظـا بولاءاتـه القـديمة.. الطائفية او العشائرية او القطرية، ويقدمها على الولاء القومي، الذي تضعه النظرية البعثية بديلا عن كل تلك الولاءات منفردة او مجتمعة.

الالتزام هو ان يعيش الانسان المبادىء التي آمن بها في الحياة وليس في الحزب فقط، وان يمارسها لا ان يرددها في الاجتماعات والندوات ثم يتصرف بالضد منها.

فمـا الجـدوى حين تنتمي الى الحـزب تنظيمياً لكنك منقطع عنه عمليا وسلوكيا؟ فالانتمـاء للحـزب ليس مجرد أن يقرأ البعثي ادبيات الحزب اويلتزم بدفع التبرع له، وانما البعثي هو الانسان الذي يعلم الجماهير فكرة البعث من خلال سلوكه اليومي، حيث يجعل الوحدة والحرية والاشتراكية صيغة للحياة، يتمثلها وينقلها الى الجماهير سلوكا حيا ترتضيه وتختاره دون ضغط او اكراه.

ان كل مناضل حين ينضم الى حزب البعث العربي الاشتراكي يؤمن انه صار جزء لايتجـزأ من الثـورة العـربيـة، يحمل صفاتها الايجابية، ويتشرف بالمسؤوليات التي تلقيها عليه، فهو زخم فاعل وقوة مضافة وليس رقما مجردا في سجل رسمي.

ان الذين يحاولون نقل السلبيات الاجتماعية التي نشأت وتكرست في ظروف الحكم الاجنبي والتخلف والرجعية الى داخل الحزب، بسبب عدم تخلصهم منها انما يقفون بذلك موقفا مضادا للحزب وللثورة العربية التي هي الرد على كل تلك السلبيات. فالمناضل المَلتزم هو الذي يؤثر في المجتمع، بنقل رؤية الحزب الجديدة المتفتحة الى الآخرين وليس العكس. . والتأثير انما يبدأ بالمحيط القريب: العائلة والاقرباء والاصدقاء، ثم في مكان العمل ومكان السكن.

صحيح ان انتماءنا للحزب يجب ان لايتأثر بالعلاقات الاجتماعية، مثل القرابة او الصداقة وما الى ذلك. . . والمقصود هنا هو اننا ينبغي ان نضع العلاقة الحزبية في المكان الاول من هذه العلاقات، ولو خيرنا بينها وبين الحزب لاخترنا الحزب بدون تردد، لكن الذي لايستطيع ان يؤثر في محيطه القريب هو غير مؤهل لحمل رسالة النضال الصعبة والتي تهدف التأثير في كل الحياة العربية.

ان الالتزام يتأكد من خلال الانضباط الحزبي. بل ان الانضباط هو تعبير عملي وسلوكي عن الالتزام ولذلك فنحن نعني بالانضباط التقيد بتقاليد الحزب وقيمه التنظيمية.

وسنضرب مثلا يؤكد العلاقة بين الالتزام والانضباط. . فلنفترض ان احد الحزبيين اكتشف حزبيا آخر معه في المنظمة الحزبية او اعلى منه في المستوى الحزبي وهو يمارس سلوكا شخصيا منحرفا عن مبادىء واخلاقية الحزب، فان المطلوب منه في مثل هذه الحالة ان يبلغ الحزب من خلال كتابة تقرير يرفع الى قيادة المنطقة التي يعمل فيها حزبيا، فهو بهذا يعبر عن التزامه بمبادىء وقيم الحزب، فالسلوك المنحرف الذي شاهده، من خلال تصرفات حزبي آخر، قد استفزه فلم يقدر على ان يسكت عنه، اذ انه في حالة سكوته سيكون قد خرج عن مبدأ الالتزام في الحزب. لكنه بكتابة التقرير او طرح الموضوع خلال اجتماع حزبي يكون قد عبر عن مبدأ الانضباط الحزبي. فاذا افترضنا ان رد فعله على هذا السلوك المنحرف كان بأن هجم عليه وضربه ضربا مبرحا، او ذهب الى اقرب تجمع او مقهى وصار يشهر بسلوك ذلك الحزبي فأنه يكون قد خرج على مبدأ الانضباط في الحزب.

ان حزبنا يؤكد باستمرار حق ابدأ الرأي داخل المنظمة ولذلك فليس من المبرر طرح امور تخص الحزب خارج التنظيم.

ولنضرب مثلا آخر، ولنفترض ان احد الحزبيين شاهد واحدا من العملاء او المخربين من اعداء الحزب يقدم على عمل تخريبي يستهدف احدى مؤسسات الحزب او الدولة فلا شك في ان هذا العمل يستفز مشاعر الحزبي الوطنية وقيمه النضالية التي تعمقت في ضميره وعقله من خلال التزامه المبدئي.

لكن الرد المنضبط في مثل هذه الحالة يجب أن يتسم بالسرعة والمبادرة واذا اقتضى الآمر الاشتباك مع الخصم فلا بد من الاشتباك وتضييع الفرصة عليه.

ان الشجاعة والسلوك الشجاع بقدر ما هما تعبيران عن الالتزام فهما تعبيران متقدمان جدا عن الانضباط العالي لدى المناضل فحين تسمح للخصم ان ينفذ عملية تخريبية، فما جدوى التقرير او نقل ماحدث امامك للحزب، وانت تقف وقفة المتفرج، وبعد ان حققت العملية التخريبية اهدافها؟!

واذ يؤكد حزبنا بأستمرار على الانضباط الصارم الذي يشبه انضباط الجيش فذلك لأن المطلوب من المناضل المنضبط ان يمتلك حيوية المقاتل الشجاع الذي يعرف كيف يتصرف ازاء كل حدث او مفاجأة او طارىء بشكل يجعل من عوامل الضبط ممارسات تخدم الالتزام والمبدئية العالية.

فحزبنا لم ينظر الى الضبط او مجموع الممارسات التي يعبر بها عنه على انها طقوس شكلية يمكن عزلها عن حياة الحزب او الاكتفاء بها. بل هي اغناء لحياة الحزب وهي وسائل لحمايته من كل القوى والممارسات المعادية. ان التأكيد على منع الحديث عن امور الحزب الداخلية خارج التنظيم له اسبابه ومبرراته ومن هذه الاسباب والمبررات انه حديث غير فعال، وبقدر ما يسيء للحزب فأنه غير قادر على تصحيح خطأ، او المساهمة في تطوير العملية النضالية، بل انه سيضعف هيبة الحزب في الاوساط غير الحزبية التي تنظر الينا فيما لو سلكنا مثل هذا السلوك على اننا ثرثارون مصابون بامراض حب الظهور والمباهاة وغير قادرين على حفظ خصوصيات تنظيمنا.

كما اننا سنعطي فرصة للاعداء للاستفادة من المعلومات التي يحصل عليها من خلال الحديث خارج التنظيم والتخطيط في ضوء هذه المعلومات لاضعاف الحزب وعرقلة مسيرته والتقليل من فرص نجاحه.

فلو افترضنا ان حزبيا في تنظيمنا يعاني من نقطة ضعف في جانب من جوانب تكوينه الانساني او ان منظمة من تنظيمنا تعاني من خلل معين في هذا الجانب من نشاطها او

ذاك . . . . فأن توفر مثل هذه المعلومات لدى الاوساط المعادية لحزبنا سيجعلها تركز على عوامل الضعف من اجل زيادة تأثيرها واعاقة محاولات اصلاحها وتجاوزها من قبل حزبنا .

ثم ان حالة الانضباط في مجال عدم الحديث عن شؤون الحزب الخاصة خارج التنظيم هو اكثر الاسلحة جدوى للدفاع عن التنظيم وعن النفس ويكتسب هذا المبدأ اهمية خاصة في ظروف العمل السري فقوى القمع تستطيع بكل يسر ان تتابع كلمة تقال بطريقة تفتقر الى المسؤولية لتصل من خلال متابعتها الى معلومات من شأنها ان تؤدي الى اختراق التنظيم وبالتالي ضربه وشل فاعليته . . . . . وتتسقط الدوائر المشبوهة أخبار الحزب بنفس الطريقة .

واذا كانت الفرصة متاحة للمناضل ان يقول كلمته داخل منظمته وفي الندوات وامام المسؤولين الحزبيين فلماذا يلجأ للاحاديث الجانبية ، فهذا ان دل على شيء فأنما يدل على ضعف في الشخصية وفي الوعي وفي الانتماء للحزب .

اما مبدأ التنفيذ ثم المناقشة (نفذ ثم ناقش) الذي هو اساسي في حياة حزب البعث العربي كما هو لدى كل الحركات الثورية الحقيقية . . فهو من جهة دليل ثقة القواعد بالقيادة لكنه في الوقت نفسه وسيلة لحماية الحزب من الاخطار، وهو عامل حاسم في تنفيذ خطط الحزب وقراراته ، فلو ان قرارا معينا جاء من قيادة الحزب وكان المطلوب تنفيذه ، ولنفترض ان القرار المذكور يتطلب مراقبة مكان معين . . فأذا لم ينفذ القرار بسرعة وبدأ الحزبيون بمناقشته ومعرفة اسبابه ودوافعه فأن الوقت سيمر لصالح العدو الذي قد ينجز مهمته المعادية ، ويبتعد عن مسرح المراقبة ، في وقت نكون فيه مشغولين بالنقاش . . لكن المطلوب من المناضل ، في مثل هذه الحالة ان ينفذ التعليمات ، وان يسرع باتجاه المكان المحدد ، فاذا اكتشف ان ليس هناك من دليل على وجود نشاط معاد ، فيمكنه ان يعود لمناقشة الامر مع مسؤوله ومع اعضاء منظمته واكتشاف اسباب خطأ المعلومات التي بني في ضوئها قرار المراقبة للعمل على منع تكرار الخطأ ورسم خطة تقلل احتمالات رفع المعلومات غير الدقيقة . . . وهكذا هو شأن عدم التنفيذ في الوقت والمكان المحددين لنشاطنا الحزبي ، في ظروف العمل السري ، وفي غير ذلك من الحالات .

في ضوء ما تقدم ، نكتشف ان الانضباط عمود من اعمدة التنظيم الاساسية ،

وبـدونـه يتحـول الحـزب الى حالـة غير منضبطـة والى مجمـوعـة من المـواقف الفردية والتصرفات التي لا رابط لها، حيث يستطيع كل فرد ان يفعل ما يحلو له اوما يرغب فيه.

وهكـذا نتبـين انـه بغيـاب الانضباط يضيع الالتزام بالمبادىء والمنطلقات الاساسية لحزبنـا، وتتحـول الى كلمات نرددهـا بدون وعي او ادراك اوربما بدون ايمان صميم بها وتنام مفرداتها في صفحات الكتب والنشرات الحزبية مما يؤدي الى فقدان الدور الثوري لحزبنا الذي يعمل على تغيير الواقع المتخلف فبدون الالتزام وبدون السلوك المنضبط لايمكن ان ننجز عملا كبيرا كالذي نذرنا انفسنا له وهو بناء مجتمع العروبة المتقدم الموحد.

ان الكيانات المنظمة المسلحة بالفكر الصائب، والتي تقدر ان تصنع حالة التجانس السلوكي الحي لدى قواعدها والمنتمين اليها هي الوحيدة التي بامكانها ان تتحمل اعباء كبـيرة وهي التي تستطيـع ان تحقق تجارب انسـانيـة وحضارية مهمة، لانها تستطيع ان تفجـر الطـاقـات الابـداعيـة داخـل الانسان، وتحافظ عليها وتضعها في المجرى العام للتحولات الكبرى، وتبعدها عن الضياع والتشتت في المسارب الفردية والانانية.

وكلما كان المناضل البعثي ملتزما ومنضبطا في حياته الحزبية كان تأثيره اكبر في حياة الحـزب وفي مستقبـل الوطن وفي رسالة امته الخالدة، اذ يتحول المناضل الملتزم الى رمز والى حالة تربوية تحتذى من قبل الآخرين، ويزداد تأثيره في وسطه، سواء الذي يسكن فيه ام الوسط الذي يعمل فيه ام في وسط رفاقه، وبهذا يكون عنصر استقطاب للعناصر التي تستهويها الصفات الحميدة وتجد فيها النموذج الذي تريد.

انه صورة للحزب وصورة للمجتمع الذي يناضل حزبنا من أجل بنائه.

[خلاصـــــة]

ان التعبير عن الانضباط والالتزام الحزبي يستلزم الايمان بأهداف الحزب ونظريته. والـولاء للعقيـدة البعثيـة عن طريق الانتـماء الثـوري هوبديل عن الولاء لقيم المجتمع المتخلف (الطائفية، العشائرية). والانتماء الثوري هو الذي يمنح البعثي القدرة على التأثـير في الـوسـط الاجتـماعي (العائلي، الوظيفي، المهني. . .)ومن ثم تغييره الى ما ينسجم واهداف الحزب وتطلعاته. وهذا لن يتحقق الا من خلال القدرة على تكييف السلوك العام بما ينسجم وقيم الحزب ومبادئه وهناك علاقة وثيقة بين الالتزام والانضباط الحـزبي تجعـل كلا منهـما مكملا للآخر ويكون التعبير عن الالتزام والانضباط الحزبي بالمواقف والضوابط التاليـة: ـ

(١) الامتنـاع عن طرح المشـاكل التنظيمية الخاصة في خارج التنظيم والالتزام بالصيغ التنظيمية الصحيحة في النقد وكشف الاخطاء (في الاجتماعات الحزبية، الندوات التنظيمية، اوعن طريق كتابة التقارير. . .).

(٢) الشجاعة والجرأة في التصدي للعناصر والحركات التي تستهدف وجود الحزب وهيبته.

(٣) حماية الحزب من اساليب التخريب الداخلية والخارجية.

(٤) تفويت الفرصة على اعداء الحزب الذين يسعون الى النيل منه او اعاقة مسيرته.

(٥) الالتزام الدقيق والواعي بمبدأ (نفذ ثم ناقش) تحقيقا لمبادىء الحزب وخططه واهدافه.

٤ ـ القيم والاخلاق في المنظور البعثي

لم يفصل حزب البعث العربي الاشتراكي القيم عن الحياة، ولم ينظر الى الاخلاق الا في التحامها مع حركة النضال.

ان القيم، التي يحملها المناضلون، مثل الايمان والشجاعة والتجرد والتضحية والاستشهاد، تحمل معانيها الذاتية، التي هي قريبة من النفس الانسانية، لكنها تأخذ معناها الحقيقي حين تأتي الى ميدان العمل العام، لتغني اهداف النضال، وارادة الامة من اجل الاستقلال والتقدم والحرية.

اما الموقف الاخلاقي لحزب البعث العربي الاشتراكي فيأتي ضمن منظور نضالي يرفض الاوضاع الفاسدة والحالة الشاذة، التي تعيشها الامة العربية، بسبب امراض التجزئة والكبت والاستغلال والتخلف.

ان عملية الرفض هذه تعني العمل الدؤوب الجاد وتتطلب تقديم التضحيات الكبيرة والمستمرة، وبذل الجهود الكبيرة، من اجل انهاء الحالة الشاذة، وتغيير الاوضاع الفاسدة.

ان ثقل السلبيات المتوارثة وتراكمها وتعدد القوى التي تقف وراءها يجعل من القضاء عليها. بجهد فردي او بعمل اصلاحي او بقرارات سياسية فحسب امرا عسيرا، فهي بحاجة الى ثورة جذرية شاملة، ذات حجم كبير ليس للقضاء عليها فحسب، وانما لاعطاء البديل الثوري في شتى الميادين، وهذا يتطلب نوعا فذا من المناضلين المسلحين بالاستعداد للتضحية والبذل والعطاء وهذا ما يحدد سمات النضال البعثي ويمنحه خصوصيته وتميزه، ويعمق معنى الموقف الاخلاقي للحزب.

ان الالتحاق بصفوف حزب البعث العربي الاشتراكي، ليس في الحالة الشكلية وانما في الحالة الاصيلة يتطلب من المناضل الجديد، الذي اختار حزب البعث العربي الاشتراكي، الالتزام الجاد، والتعبير عن هذا الالتزام بانضباط حزبي، لابد منه وكمقدمة ضرورية والاستعداد الكامل للعطاء والتضحية، انها عملية خلق جديدة للانسان. . وهكذا يصبح المناضل الجديد ليس فلانا نفسه الذي كان بعيدا عن تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي.

ان البعثي الحقيقي نموذج وهو صورة المستقبل، صورة الحزب، صورة المجتمع العربي، حين تستكمل الثورة شروطها في وطننا العربي، ولذلك يجب ان لاننظر الى الحزب على انه مجموعة افراد بمعنى العدد او الرقم بل هو اداة لقوة الفعل الثوري يجد فيه البعثي نفسه ويجد محيطه الثوري، الذي يؤمن به، ويعمل من اجل نشره وتعميمه.

انك حين تكون بعثيا حقيقيا، وقادرا على الارتفاع الى اخلاقية الحزب والتعبير عن القيم التي آمن بها ودعا اليها، فانك تتحول الى حالة بعثية، اي ستكون صورة الحزب ممثلة في مناضل، وان مجمل سلوكك الحياتي المعبر عنه بالصدق والصراحة والشجاعة والاقدام والدأب على العمل والنزاهة ورفض الاستغلال والقهر والقمع سيدفع الاخرين من غير الحزبيين الى القول عنك (هذا انسان جيد ومواطن صالح) وسيقول رفاقك عنك (هذا بعثي).

ان صورة المجتمع الجديد، الذي نطمح اليه، ونناضل ونضحي من اجله، لابد ان نراها مجسدة في المناضل البعثي، ونراها بصورة اكبر واكثر وضوحا في حزبنا.

ان صدق ما ندعو اليه من مبادىء لايتبين من خلال ما نكتبه في صحافتنا ونشراتنا الحزبية، من برامج ومناهج واساليب التنظيم بالاساس، بل في الممارسة اليومية، التي تتكشف عن عقلية جديدة وروح جديدة وخلق جديد، لاتجمعه بالواقع الفاسد المدان الذي ثرنا عليه أية رابطة، وهذا يظهر جليا وواضحا في اخلاق واسلوب عمل البعثيين، وفي طريقتهم لتحقيق الاهداف، في ان تتحقق في ممارساتهم كل الفضائل التي يريدونها في المجتمع الجديد.

اما الذي يلتحق بتنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي بجسمه فقط، اي الذي قد نجده في الاجتماع الحزبي، وفي الندوة الحزبية او التظاهرة الجماهيرية.. وقد نراه يرفع صوتة بترديد الشعارات التي يرفعها الحزب، بصوت اعلى من اصوات بقية رفاقة فانه حالة مرفوضة اصلا.

ان مثل هذا الحزبي يأتي الى الاجتماع او الندوة او التظاهرة وهو يحمل سلبيات الماضي، التي فرضها عليه المجتمع القديم، او الهوامش السلبية في مجتمع اليوم، حيث تكمن في شخصيته القديمة من التسلط والحكم الاجنبي والثقافة المشبوهة المتخلفة والظروف السوداء، دون ان يبذل جهدا من اجل التخلص منها او تغيير صورة الماضي الذي عاشه وفرض عليه بكل سلبياته واخطائه وعوامل الضعف فيه، وهو بهذا السلوك

لايقترب من صورة البعثي، بل يعبر عن الصورة التي يعمل الحزب من اجل تغييرها.

ان الحزب حين يكون صورة مشابهة للواقع الفاسد الذي يعمل من اجل تغييره، ويحمل في داخلة كل سلبيات المجتمع، لايستطيع ان ينجز عملية التغيير لان اليد الملوثة لاتستطيع ان تعالج الجسد المريض بل انها تزيد من مضاعفات الحالة المرضية بما تنقله اليها من جراثيم جديدة.

وفي ضوء هذا المسار يؤكد الحزب على دور التربية الحزبية في بناء شخصية المناضل بناء (ثوريا حقيقيا) وكلما نجحت التربية الحزبية في ابعاد صورة المجتمع المقهور المتخلف عن عقل وضمير وسلوك المناضل اقترب من صورة البعث، ومن صورة الحزب، ومن صورة المجتمع العربي الثوري الجديد، مجتمع الوحدة والحرية والاشتراكية.

وكلما نضج البناء الاخلاقي للحزب، وتكرست القيم الاصيله فيه، زال خطر تأثير المجتمع القديم عليه، وضعفت امكانية القيم المتخلفة في التأثير بمناضليه، بل تأتي الصورة على غير هذا المنوال فتزداد قدرة الحزب على التغيير، وتكبر فرص تأثيره في المجتمع القديم والاوساط المتأثرة به، ذلك ان القيم البعثية تتفاعل ايجابيا في نفس المواطن لانها تمثل جزء من تاريخه، ومن تاريخ امته، وما علينا الا اكتشافها، والانتقال بها من واقع المقولات المحفوظة حفظا حرفيا، ومن التعامل الشكلي الحماسي، الى عمق الحياة الجديدة، وهي بهذا ستتحول الى مقياس عام، تتحدد على اساسه، جدارة المواطن بالحياة الجديدة، ومدى قوة ارتباطه بوطنه وبشعبه.

ولذلك يجب علينا ان لانبتئس اذ نرى فردا او مجموعة افراد، في الحزب او في مجتمع دولة الحزب، حين يتسلم حزبنا السلطة في قطر عربي، يحملون قيما متخلفة لاتمت الى قيم حزبنا، وقيم مجتمعه الجديد بصلة او نرى فردا او مجموعة افراد غير قادرين على الارتفاع الى مستوى ثورة حزبنا، حتى في حالة انتمائهم الى الحزب، او ان تظهر هذه الاعراض فيما بعد، حين ينجح البعض في اخفائها وتغليفها لفترة من الزمن.

ان عدم الابتئاس، الذي ندعوكم اليه حين تواجهكم مثل هذه الظاهرة انما ندعو اليه لاسباب منطقية ندركها باحساسنا الثوري وبوعينا المتقدم، فقيم المجتمع المتخلف والتي تكرست عبر قرون عديدة يجب ان لاننتظر ان تزول تماما، في فترة يسيره اذ لابد ان تظهر في هذا الموقع او ذاك، وفي هذا الشخص او ذاك، ولكنها حتى في حالة ظهورها

ستكون ضعيفة التأثير امام انتشار القيم الجديدة، انها قد تزعجنا لظهورها وقد تعرقل جانبا من عملنا ونشاطنا، ولكنها لن توقف مسيرتنا ومنجزاتنا وحماسنا.

ثم ان ظهور مثل هذه الحالات الفردية او حتى التي تتجاوز الحالة الفردية، انما يمثل امتحانا للجدارة البعثية ولأصالة المناضلين، الذين يحولون مثل هذه الحالات الى مناسبة لتأكيد نضالينهم وايمانهم وتفاؤلهم، ذلك ان البعثي الحقيقي تتصاعد شجاعته ويقوى ايمانه وعزمه في الظروف الخاصة اكثر مما يحصل في الظروف الاعتيادية.

ان ظهور هذه الحالات في حياة حزبنا دليل على حيوية الحزب، وان معالجتها بالطرد خارج جسم الحزب بعد ان يكون هذا الطرد الوسيلة التي لابد منها، دليل على ان حزبنا جسم حي يطرد الاجسام الغريبة والحجيرات الميتة.

وهنا يجدر بنا ان نشير الى تعامل حزبنا مع الانسان كقيمة عليا وليس كرقم، فالاحزاب التي يهمها الجانب الكمي في عملها لاتولي اهتماما للتربية الحزبية ولاتبذل جهدا ثقافيا من اجل تطوير الحزبي في صفوفها ولا تجد نقصا يستوجب معالجته حين يبقى حاملا سلبيات المجتمع القديم، ولا تجد مبررا لابعاده عن تنظيماتها، مادام يشكل رقما مضافا في مجموع اعضاء الحزب، وهذا هو الفرق بين الحزب صاحب الرسالة التاريخية وبين الاحزاب التي تتعامل مع الواقع، عبر ممارسات سياسية سطحية قد تصل من خلالها الى السلطة، لكنها تظل غير قادرة على التغيير الجذري، وبناء الانسان الجديد وتأسيس حضارة مهمة.

ان المناضل البعثي يختلف عن اولئك الذين ينظرون الى الانتماء الحزبي على انه ضرب من ضروب العمل السياسي الموسمي الذي يتعلق بالمزاج وينفصل فيه الفكر عن السلوك، كما ينفصل الحاضر عن الماضي، ويعجز فيه الحاضر عن فتح باب المستقبل، فاذا كان هذا النمط من الاحزاب ومن الحزبيين الذين ينتمون اليها تحركهم الشعارات السطحية وتلعب بهم العواطف البعيدة عن الصدق، فيظهرون في لحظات الانفراج وساعة تقسيم المغانم، ولا تراهم حين تحتدم الامور ويحتاج الوطن الى ابنائه الشجعان المضحين، فان البعثي هو الذي يقول لوطنه ولامته ولحزبه ها أنذا، حين يشعر ان وطنه وامته وحزبه يدعوانه للتضحية.

وفي كل معارك شعبنا، وفي كل جزء من اجزاء وطننا الكبير كان المناضلون البعثيون يتقدمون الصفوف، ويضحون بالغالي والنفيس، من اجل قضايا وطنهم وامتهم.

وفي تجربـة حزبنـا في معـركـة العـروبة المقدسة قادسية صدام المجيدة، حيث وقف العـراق العظيم بقيـادة حزب البعث العـربي الاشتراكي، ليدفع الشر والاذى ونزعات التوسع الشريرة التي عبرت عنها العنصرية الفارسية عن وطننا الكبير، كان البعثيون في مقـدمـة المضحـين بارواحهم ودمائهم الزكية، ومعهم كل العراقيين الشجعان، الذين قدموا اعظم التضحيات وضربوا اكرم مثل في الصمود، من اجل رفعة الوطن وكرامته.

ان الايـمان المعـبر عن هدف وعن قضيـة له اكـبر الاثـر في استنهـاض قيم الشهامة والبطولة والتضحية في نفس الفرد، وان الايمان حين يتحول الى حالة عامة بسبب قضية مركـزيـة وذلـك حين يتعـرض الوطن والامة الى خطر يهدد كيانها ومستقبلها لقادر على استنهاض القيم العامة النبيلة كالصمود والابداع والصبر والمطاولة.

ان تاريـخ امتنـا علمنـا بأن ما انجزته الامة حضاريا قد تم بفعل القيم الكريمة التي تفجـرت في نفـوس ابنـائهـا، بفعـل الـدفقة الاخلاقية الكبيرة التي كانت تقدمها امتنا لابنائها في حالات النهوض الكبرى.

وان حزبنـا حامـل رسـالـة امتنا الخالدة الذي يفجر الان طاقات الانسان في وطننا، ويضعهـا على طريق الثـورة والمجـد والنهوض، يحقق بنضاله الدائب وفكره الاصيل، ثورة الامـة في اطـار الاخـلاقيـة الثـوريـة، ويبعث طاقـة الفعـل الايجـابي لقيم امتنـا الاصيلة، لتتحول الى سلاح قوي في يد الثورة العربية ضد عوامل السيطرة والتشويه والردة.

ان ضعف الانســان في المجتمـع مهـما بلغ من تطـور وتقـدم، بسبب عدم تماسـك العـوامـل المحركة لذلك المجتمع وضمور القيم الدافعة وضعف الاطار الاخلاقي فيه، سيجـر هذا المجتمـع باتجـاه الضعف والتـدهور، وعلينا ان نراقب ما يحدث في العالمين الـرأسـمالي والشيـوعي من تدهور وضعف في الانسان رغم قوة القاعدة الاقتصادية، ولو بحثنا عن السبب لوجدناه في ضمور الجانب الاخلاقي وتدهور القيم الاعتبارية.

ولـذلـك فأن حزبنـا ينظـر للاخـلاق وللقيم الاعتبارية (غير المادية) على انها سياج يحمي الثورة وروح تدفعها دائما الى امام.

القيم والاخلاق في المنظور البعثي

تحتـل القيم والاخـلاق موقعـا متميـزا في منظـور حزب البعث العربي الاشتراكي، القـائم على رفض قيم الـواقـع الفاسد، قيم التخلف والتجزئة والاستغلال، والسعي لاحلال قيم ثورية واخلاقية جديدة، تناسب المجتمع الثوري الجديد.

ان هذا لن يتحقق الا من خلال عمل جماعي ثوري مبدئي منظم يعتمد استقطاب العنـاصـر التي سيتـوفـر لها عمق الايـمان بالامة ورسالتها التاريخية، ضمن اطار العمل التنظيمي، والـتركيـز على تربيتها حزبيا، بما يؤدي الى تحقيق حالة من الانسجام بين الفكـر والممارسـة، يعـبر عنهـا بالسلوك اليـومي للمنـاضـل، بعيـدا عن قيم المجتمـع المتخلفة، ليصبح بحق حالة متقدمة على الواقع، تجسد صورة المستقبل المشرقة، دون الابتعاد عن هذا الواقع بل النضال الدؤوب لتغييره، واحلال القيم الثورية الجديدة فيه.

ان تحقيق القيم الثـوريـة الجـديـدة يحتاج الى فترة زمنية ترتبط بعمق الثورة وقدرتها على التغيير ومن الطبيعي ان هذه الفترة تقصر كلما قدمت الثورة من خلال مناضليها فعـلا مضـافـا، امـا اذا كان المنتسبون الى الحزب اعدادا مجردة لا علاقة لها بقيم الثورة واخلاقيتها، فان الثورة ستفقد قيمتها التاريخية، وتتحول الى انقلاب للاستحواذ على السلطـة السيـاسيـة ومن هنـا فان الحفاظ على الثورة وضمان ديمومتها يرتبطان الى حد بعيد بقيمها واخلاقها الثورية.

٥ - النضال السياسي والنضال المهني

النضـال السيـاسي هو نضـال شامـل، يخوضه حزب منظم، يمتلك نظرية ثورية، يعمـل من اجـل استقطـاب القـوى الفعالة في المجتمع، ويعدها اعدادا خاصا، على صعيد الوعي والممارسة لتكون الاداة الرئيسة في ايصال افكاره وبرامجه وخططه السياسية الى جماهير الشعب، من اجل بناء مجتمع جديد وفق رؤية الحزب للحياة.

امـا النضـال المهني، فهو العمل المنظم في صفوف الجماهير، عبر واقعها المهني، من خلال الـنـقـابـات والاتحـادات والجـمـعـيـات، ويـسـتـهـدف هذا الـنـوع من النضـال الـوصـول الى جماهـير الشعب، من خلال تنظيم وعمـل محددين بقطـاع معـين، تلعب المطلبيـة (اي الاهداف والمطاليب النقابية المرتبطة بالمهنة وحياة العاملين فيهـا فحسب، بصـرف النظـر عن حيـاة جماهير الشعب ككل). تلعب فيه دورا غير قليـل، في تصعيـد الـوعي الاجتـماعي الـذي يحول الجـماهير الشعبية الى محيط ثوري مناسب للتحرك الحزبي، وتصعيد النضال المهني الى مستوى النضال السياسي ليصب في المجرى العام للنضال الشامل من اجل التغيير الجذري.

فالنضـال السيـاسي هو الاشمل والاكثر اثرا والنضال المهني جزء منه، والذين يرون امكـانيـة فصـل النضـال المهني الخـاص عن النضـال السياسي العام انما ينطلقون من فرضيـة ان تراكم المكـاسب المطلبيـة يؤدي الى تغيـير في طبيعة النظام لصالح الشرائح الاجتـماعيـة التي تطـالب بالمكـاسب المهنيـة، وهم بذلـك يراهنون على قضية خاسرة بالتأكيد، والذي يفوت هؤلاء، ان النهج المطلبي، مهما حقق من نجاحات، لايستطيع ان يؤثر على طبيعة النظام ومناهجه، وليس بمقدوره ان يمس عناصر النظام الرئيسة، لانـه لايستطيـع ان يغـير الحيـاة ككل تغييرا شاملا وجذريا، وانما يغير بعض الشيء، رافدا معينا فيها.

وقـد اثبتت التجـارب ان هذا النـوع من النضـال يخسـر قيـاداته باستمرار، لصالح السلطة غير الثورية من خلال الاحتكاك الدائم وتمييع القضايا واشتباك المصالح، فاذا تجاوز النضـال المهني حدوده النقـابيـة، فان النظـام، بما يمتلك من اجهـزة وخـبرات قمعية، قادر على ضرب توجهاته السياسية، وفي حالة استمرار عزلة النضال المهني عن

تيار النضال الوطني العام، فان فرصة ضربه او احتوائه او حرفه عن مساره ستكون اكثر سهولة مما لو كان في حالة التوحد الطبيعي، بل ان بعض الانظمة تشجع النضال المهني وتقدم له بعض التنازلات، لتعزله عن مجرى النضال الشعبي الشامل، كوسيلة لتحجيم النضال السياسي، وقطع روافد شعبية مهمة عنه بقصد احتوائه، لذلك فان التركيز على المطلبية النقابية، بدون افق سياسي، يمثل انحرافا في النضال، بسبب ما يخلقه من تربية نفعية، تضعف الشعور الوطني والاحساس بالمسؤولية المباشرة عن قضايا الوطن والشعب.

ان ذلك ولاشك سلوك اناني يضعف الكثافة النضالية التي تستطيع تغيير الانظمة المستغلة، وتغيير الركائز الاساسية لتلك السلطة، انه سلوك يؤدي الى ابتعاد عن افكار الثورة التي تتجاوز الحلول السطحية والاصلاحات الشكلية الى الحل العام والشامل.

ان النضال السياسي، في ظل الحكومات الرجعية وشبه الرأسمالية، وقبل ان يحقق الحزب الثوري سلطته، لابد من ان يعمل لحشد كل العوامل الضاغطة على السلطة الرجعية في محاولة لتصعيد عمليات التصدي التي تؤدي الى اضعافها ومن ثم الاجهاز عليها.

لذلك فان النضال المطلبي، حين يأتي ضمن اطار النضال الوطني الشامل، يتحول الى وسيلة لانتشار الوعي في صفوف الجماهير، وذلك حين يتبنى الحزب الثوري المطاليب المهنية، ويمدها بزخم نضالي واسع، ويحولها الى قضية عامة. . وعلى وجه الخصوص في حالة ارتباط المطلبية النقابية بالنضال الوطني، حين تكون المؤسسات والادارات، اجنبية تابعة لقوى استعمارية.

ان الانظمة الرجعية الدكتاتورية تضيق بالمطلبية، ليس في حدود ما تمثله من مطاليب مادية فحسب، وانما بما تحمله من معاني التمرد والشجاعة، فتقدم على اجراءات قمعية منفعلة، يعرف الحزب الثوري كيف يوظفها لفتح معركة واسعة يهز بها اركان السلطة الرجعية، ويستقطب اوسع الجماهير.

ان شمولية النضال السياسي وقدرات قياداته في ادارة الصراع تجعله دقيقا في حسابات العمل النضالي، بحيث يأخذ في الحساب الاوضاع المحيطة به، وطبيعة الانظمة التي يناضل ضدها. . فقد يكون النضال السياسي: -

اولاً: نضالا سريا حين يكون بمواجهة انظمة دكتاتورية قمعية.

ثانياً: وقد يكون علنيا او شبه علني حين يكون في ساحة تسمح بقدر من ذلك.
ثالثاً: وقد يكون مباشرا، اي من خلال المواجهة بين منظمات الحزب وقواعده وبين السلطة واجهزتها وقاعدتها.
رابعاً: وقد يكون غير مباشر ومن خلال المنظمات الواجهية مثل منظمات العمال، الطلبة، المرأة، الفلاحين، المعلمين المحامين.. الخ، اذ يحرك هذه المنظمات الواجهية من خلال تخطيط مركزي، وفي اطار سياسات الحزب وفلسفته.

ان النضال من خلال الواجهات حين يكون بقيادة حزب ثوري يغني النضال المهني ويطوره باستمرار ويستفيد من معطياته الاساسية، بل ان كوادر الحزب هي التي تقود هذا النضال سواء بطريقة مباشرة ام غير مباشرة.

ويستفيد الحزب من هذه الوسيلة في نقطتين:

الاولى: يستطيع تحريك قطاعات واسعة ذات امكانيات نضالية فعالة، قد لا يستطيع ان يحركها من خلال الحزب مباشرة، وكما ينبغي.
الثانية: ان هذا العمل الواجهي يعطي خبرة للمناضلين في اكتشاف المحركات الاساسية في حياة الجماهير، وفي مختلف الشرائح الاجتماعية، ويتيح فرصا واسعة للكادر، ولمناضلي الحزب بصورة عامة لممارسة عملية الكسب الحزبي، وتوسيع القاعدة الجماهيرية للحزب.

ثم ان النضال السياسي، وعبر الوعي القيادي فيه، هو الذي يقود عملية الموازنة بين الاهداف التي يطمح لتحقيقها وبين الظروف الموضوعية، التي يعيش في اطارها، اذ ان التحرك باتجاه الاهداف الكبيرة يتطلب اعدادا جيدا يتضمن سعة في القاعدة، وتميزا في النوع، واختيارا في طبيعة المواجهة وفي توقيتها، والا فان اي خلل في الموازنة بين الاهداف المراد تحقيقها والامكانيات والادوات المعدة من اجل القيام بالفعل النضالي قد يجر الحركات الثورية التي عواقب وخيمة تعرضها للتصفية وخسارة معظم المواقع التي وصلت اليها عبر مسيرتها النضالية.

وهذا هو الفرق بين العمل الثوري المنظم والمدروس، والمحسوب في ضوء حسابات واقعية، وبين الطيش والمغامرة.

وفي ظل السلطة الثورية، اي بعد ان يحقق الحزب ثورته ويتسلم السلطة الثورية، فان مهام النضال السياسي، ومعه النضال المهني، تتوحد على طريق تعبئة الجماهير،

وخلق التفاف واسع حول السلطة الجديدة، من اجل تنفيذ برامجها وسياساتها المختلفة في جميع المجالات والعمل من اجل تطويق نشاطات القوى المضادة وعزلها عن مجالات التأثير اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، ومن ثم تصفيتها لمنع احتمال قيام ردات معادية للشعب وللحزب على طريق الثورة المضادة التي تعمل من اجل العودة الى اوضاع ما قبل الثورة.

ان السمة التخصصية للنضال المهني، في ظل سلطة الثورة، لاتضعف صفته الاساسية في عمق الجانب السياسي، وضمور الجانب النقابي، وان المظهر التخصصي يتحول الى جملة خبرات وفعاليات ومعارف، تعمل من اجل دعم الخطط الاقتصادية والاجتماعية والبرامج المختلفة للثورة اي ان التخصص هنا يتحول الى اداة فعالة بقدر كبير من المعرفة التفصيلية، وتدفع باتجاه انجاز مهمات الثورة وتصبح هذه المهمة هي اساس مهماتها في هذه المرحلة.

ان التخصص المهني يعطي فرصة كبيرة للقائد النقابي البعثي للاحتكاك باوساط جماهيرية واسعة، ليتعرف على طبيعة عملها ومشاكلها الاجتماعية والاقتصادية وليرى عن قرب وبوضوح معوقات العمل في المجال الذي يعمل فيه، وليطلع ايضا على عوامل النجاح، ويقدم للثورة خبرات كبيرة، لكي تنجز مهماتها وسياساتها وبرامجها على الوجه الاكمل، وليكشف طاقات انسانية خيرة ونبيلة ومخلصة، ويعمل من اجل كسبها للمسيرة الثورية واستقطابها في التنظيم الحزبي كي تمارس كامل دورها في عملية التغيير الثوري، الذي يقوده الحزب من خلال سلطته.

ان المنظمات الجماهيرية والمهنيه والنقابات تضم في صفوفها خامات نضالية جيدة وواعية ومتمرسة، لكن اغفالها وتركها بعيدة عن العمل السياسي يشكل خسارة كبيرة للثورة، اذ لابد من وضع الوعي الفردي او المهني في اطار اشمل واوسع من الوعي النقابي يتجاوز الفرد والنقابة، من خلال الحزب الى المجتمع والى الوطن.

ان هذا الوعي الشامل يبعد الانسان عن الانانية والاثرة والهدف الخاص والطموح الضيق وينتقل به الى افاق الثورة وابعادها القومية والانسانية واذا كنا قد اشرنا الى ان من مهام النضال المهني قبل الثورة وقبل تسلم السلطة، من قبل الحزب الثوري الربط بين المطلبية النقابية والنضال الشامل، عبر عملية الضغط على السلطة الرجعية، فان من اولى مهام القيادات المهنية في ظل الثورة وسلطة الحزب، ان لاتقع في هوة السلوك

المطلبي المعزول عن السياقات العامة للتحولات الاجتماعية والتقدم.

ان السلوك المطلبي في اطار نقابي ضيق يعبر عن روح انانية لاتلتقي مع روح الثورة الاصيلة التي تريد الخير والتقدم للجميع. . وتعمل من اجل مستقبل مشرق أمين لكل ابناء الشعب، فليس من الجائز ان تتقدم شريحة اجتماعية على حساب شريحة اخرى لاتتقاطع مع الثورة ولاتقف بالضد منها، كما ليس من الجائز ان تتقدم منطقة على حساب مناطق اخرى من التي تقع تحت سلطة الثورة.

ان السلطة الثورية تعبر اساسا عن اهداف الجماهير وطموحاتها وبضمنها الجماهير النقابية والمهنية، ولذلك فان تحقيق الاهداف النقابية (المطلبية) يرتبط بتطور قدرات وامكانات الثورة.

وكلما اتيحت للسلطة الثورية ظروف اقتصادية جيدة كانت المجالات مفتوحة امامها لاتخاذ اجراءات وقرارات لصالح مجموع الشعب، وعلى وجه التخصيص لصالح الشرائح الاجتماعية الواسعة. لان هذه السلطة لاتتعامل مع الحياة من موقع استغلالي، او من منظور ربحي معزول عن صورة المجتمع الذي تسعى لخلقه لدى السلطات غير الشعبية وغير الثورية التي لاتقف بوجه الاستغلال والمستغلين بل تكون طرفا فيه لانه يعبر عن مصلحة الحكام او عن عقليتهم او عنهما معا.

ان الصورة التي رأيناها في مجال العلاقة بين النضال المهني والنضال السياسي سواء قبل الثورة او بعدها، تؤكد ان الاساس في النضال هو النضال السياسي الثوري لانه الاشمل والاعم وبغيره لايمكن تحقيق مشروع الثورة في بناء مجتمع متقدم. .

[خلاصـــــة]

النضال السياسي والنضال المهنـــــي

النضال السياسي هو نضال شامل، ذو طابع تنظيمي، والحزب يمتلك نظرية ثورية ويعمل على استقطاب القوى الفعالة في المجتمع، لأعدادها اعدادا خاصا، لتكون اداته الثورية على طريق تحقيق الاهداف. اما النضال المهني فهو العمل المنظم في صفوف الجماهير في اطار واقعها المهني. ويعتبر النضال المهني جزء من النضال

السياسي . ولا يمكن الفصل بين النضال المهني والنضال السياسي ، حيث ان النضال المهني الـذي يقتصـر في سعيـه على تحقيق المكـاسب المطلبيـة سرعـان ما يفقـد قياداته لصالح السلطة غير الثورية ، ومبر رات وجوده بأنعزاله عن تيار النضال الوطني موجودة ، في حين يمكن للنضـال السيـاسي استثـمار النضال المهني بشكل فاعل في مرحلة ما قبل تسلم الحـزب الثـوري للسلطـة وفي المـرحلة التـاليـة لتسلمه السلطة ، وبوسائل ترتبط بالظروف الموضوعية لكل مرحلة منهما.

ففي مرحلة ما قبــل الثــورة ، يمكن للنضـال السيـاسي ان يجعـل النضـال المهني والمكـاسب المطلبيـة شكـلا من اشكـال الضغط على السلطة الرجعية ، وبما يمكنه من فتح معارك ناجحة معها ، يحشد فيها قطاعات واسعة من الجماهير لايستطيع ان يحركها من خلال الحزب مباشرة وتعطيه الخبرة الكافية لأكتشاف المحركات الاساسية في حياة الجماهير على طريق كسبها الى صفوف الحزب وتوسيع قاعدته التنظيمية .

اما في ظل السلطة الثورية ، فأن مهام النضال السياسي تتوحد مع النضال المهني ، لتحقيق اوسـع تعبئـة جماهـير ية حول السلطة الثورية الجديدة ، ودعمها في تنفيذ برامج الثورة وسياساتها ، وتطويق نشاطات القوى المضادة وعزلها واضعاف قدرتها على التأثير اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا .

ويأخـذ ضمـور الجـانب النقـابي والمطلبي لصـالـح النضـال السياسي احد مظاهر التـوحـد بين النضـالـين السيـاسي والمهني ، حيث ان التخصص المهني لايعود اكثر من فرصـة تمنـح القائد النقابي القدرة على دراسة الاوساط الجماهير ية ، وتأشير نقاط القوة والضعف فيها ، والسعي لأشاعة المفاهيم الثورية الجديدة ، التي تعتمد اسلوب الموازنة في تحقيق المكـاسب لكـل الشـرائح الاجتماعية ، وبفرص متساوية . وعدم تقديم شريحة على اخـرى ، او منطقـة على منطقة اخرى ، والحرص على تقديم الخدمات الاساسية للجميـع ، وضمن التـوازن المشـار اليـه . واخـير ا يبقى النضـال السيـاسي هو النضال الثوري الاشمل والاعم ، وبغيره لايمكن تحقيق مشروع الثورة في بناء مجتمع متقدم .

القسم الثالث

فكر الحزب



أهداف البَعث



إن الاهـداف السـامية التي يسعى لتحقيقهـا الافـراد، وتعمل على الوصول اليها الجـماعـات، وتنـاضـل من اجلهـا الجماهير، لابد أن تكون لتحقيق مكسب، او انجاز مهمة، أو إسعاد شعب.

ولقد كان الوطن العربي، في الفترة التي سبقت ورافقت نشأة حزب البعث العربي الاشـتراكي، يعـاني من مشكـلات معقـدة كثيرة، نتيجـة وقوعه تحت نير الاستعمار، وتسلط الاستعباد والاستغلال. وغياب الحريات وتفشي مظاهر التخلف في كل نواحي الحياة.

ظل الـوطن العـربي، ولقـرون طويلة، يرزخ تحت ظل السيطـرة الاستعـمارية العثـمانيـة. غير أنـه ما ان تخلص منهـا حتى وقـع تحت هيمنـة شكـل آخـر من انـواع الاستعـمار، هو الاستعـمار الغـربي، عانى شعبنـا، تحت نيره، من تهديدات مصيرية خطرة، وشهد على يد ركائزه واعوانه أشكالا من الاضطهاد والقهر.

واذا كانت بعض الاقطـار العـربيـة قد حصلت على استقـلالها الشكلي، بعد هذه الفـترة، فان هذه المـرحلة التـاريخيـة من حيـاة امتنـا العـربيـة شهـدت مأساة التجزئة والتخلف والسيطـرة الاستعـماريـة وصنـوف الاضطهاد الطبقي والسياسي.. وعاشت خلالها الجماهير واقعا مؤلما من التمزق والمعاناة.

ومن الطبيعي، في ظل هذه الظـروف القـاسيـة، أن تنشأ تيارات ونزعات وحركات واحـزاب سيـاسيـة واجتـماعيـة، يكـون من ضمن أهدافها العمل على اصلاح الواقع الفاسد، الذي كان عليه الوطن العربي في تلك الفترة.

ولقد سادت الساحة العربية، فعلا، تيارات ونزعات فكرية واحزاب سياسية، كان ضمن أهـدافهـا وبـرامجهـا، العمل على معالجة معضلات الواقع العربي ومشكلاته، وتحقيق حياة افضل لجماهيره.

واذا لم يكن من اليسـير القـول بان وجـود هذه التيـارات والاحـزاب لم يعـزز مسيرة النضـال العـربي، فان دراسـة مجموعة هذه التيارات والنزعات والاحزاب تكشـف عن طبيعـة القصـور والنقص في اهدافها وبرامج عملها وحلولها، لقصورها عن فهم الواقع العربي، وعن تشخيص مشكلاته، لغياب الرؤية الصحيحة لديها، أو لاعتمادها على آراء وافكار مستعارة مقلدة للغرب أو للشرق، أو بسبب طبيعة ولاءاتها لتيارات غربية.

او لوقوعها اسيرة النظرات الاصلاحية الجزئية، وتسلط الزعامات ذات الميول الفردية عليها.

ويمكن تصنيف هذه الاحزاب والاتجاهات، التي عملت، في اثناء هذه الفترة، على اختلاف اطرها السياسية والاجتماعية، الى التيارات التالية:

- التيار القومي اللااشتراكي
- التيار الاشتراكي اللاقومي
- التيار القطري الاقليمي
- التيار الاممي باتجاهيه الماركسي والديني

وقد عبر عن كل تيار أكثر من حزب أو جمعية أو تجمع، وكان كل من هذه التيارات يمثل استجابة لنزعة أو ميل او تأثر أو واقع.

وفي الواقع ان ايا من هذه التيارات والنزعات لم يستطع ان يترك، من خلال عمله ونشاطه، أي أثر فاعل في تغيير أوضاع الوطن العربي، باتجاه تحقيق التقدم الملموس في الحياة العربية المختلفة.

ومعنى ذلك، ان الشعارات، التي رفعتها هذه التيارات والاحزاب، لم تكن مستوعبة لاماني الجماهير العربية وتطلعاتها، ولم تكن الاهداف الاساسية لها مستشرفة عبر فهم صحيح للواقع.

ولقد نتج عن اخفاقات هذه التيارات والاحزاب والحركات في تحديد التناقض الرئيس في الواقع العربي، عدم قدرتها على تحديد اهداف المرحلة التاريخية التي يمر بها هذا الواقع، ومن ثم فقد عجزت عن التعبير عن مطامح الجماهير وتطلعاتها في سياق ما يفرضه الواقع. وهكذا ظلت تعاني من العزلة والتقوقع او العمل غير المجدي.

وظلت الجماهير، في الجانب الاخر، تعاني في انتظار الحل لمعضلاتها وتناقضات مجتمعها.

في خضم هذا الواقع المتخلف، نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي، فكانت نظرته للمشكلات الوطنية والقومية ومعالجاته لها تجاوزا للنقص والقصور في معالجات كل هذه التيارات والنزعات الفكرية والاحزاب السياسية التي سبقته ورافقته.

كانت طبيعة تحديات المرحلة تفرض وجود فكر يستوعب واقع الامة العربية، ويلبي طموحها، في الحياة الحرة الكريمة، لتحقق ذاتها وتتمكن من أن تؤدي دورها

الحضاري، وتسهم، جنبا الى جنب مع بقية الامم، في بناء الحياة الكريمة للانسان في كل مكان.

وهكذا كانت ساحة العمل العربي مهيأة لأستقبال ظاهرة فكرية جديدة تعبر عن موقف حضاري أصيل ازاء مشكلات الواقع العربي وآفاق مستقبله. وكانت هذه الظاهرة حصيلة للنضال العربي الذي عبر عنه هذا الاطار الفكري والتطبيقي للنظرية القومية التي استوعبت اهداف الامة وامانيها الكبرى.

كان فكر البعث تجاوزاً واضحا وجريئا لكل السلبيات، ولكل مظاهر النقص في هذه النزعات والتيارات والاحزاب... ذلك انه استطاع ان يكتشف الاهداف الحقيقية، التي تكفل للعرب حياتهم المنشودة، عن طريق وعيه للمرحلة التاريخية، وعبر تحليله الموضوعي الواعي للمجتمع العربي، ومن خلال منهج علمي صحيح.

ومن خلال تحديده لنوعية الصراعات الاساسية في حياة الامة العربية، وادراكه للقوانين الحقيقية التي تحكم الواقع العربي، وتحكم الصراع المصيري بين جماهيره وكل اعداء هذه الجماهير، اكتشف الفكر البعثي الحل القومي الثوري، الذي يجسد أماني الامة ويستقطب جهودها وامكاناتها النضالية للمسيرة المطلوبة.

لقد كان اكتشاف البعث لمعنى النضال القومي، وادراكه لدوره في تحقيق اهداف الامة، بوصفه عامل انطلاق في مسيرة الحركة التاريخية، وفي توفير الفرصة الحضارية لنهضة الامة، لبناء حياتها بعيداً عن الاستغلال والعبودية، يمثل انطلاقته السليمة الاولى في طريق نضاله الشاق الطويل.

وباكتشاف البعث لمعنى النضال القومي تمكن من تحديد كل التناقضات الاخرى المرتبطة به، اذ اكتشف الفهم الصحيح للصراع الطبقي من خلال النضال القومي، وحدد أن هذا الصراع هو وجه آخر للنضال القومي، ولقد اصبح واضحا من خلال مقولة الصراع القومي ان للطبقات المستغلة موقفا مناقضا لمصلحة الجماهير الكادحة واهدافها، بل هو بالضرورة موقف معاد للقومية وللتحرر من الاستعمار ومن التجزئة وللحرية وللثورة.. كما اصبح واضحاً ان المعركة ضد الاستعمار ستقود قطعا الى المعركة ضد كل القوى الممالئة له والمرتبطة به مصلحيا.

ومن هنا تحددت الاهداف التي تضمن الحل لاشكلات ومعضلات المجتمع العربي (بالنظرية القومية) المعبرة عن وحدة الاهداف الثورية.. الوحدة والحرية والاشتراكية

وتفاعلها وتضافرها . .

لم يكن الوصول الى تحديد هذه الاهداف يسيرا، بل جاء عن طريق تبني الاتجاه العلمي العام الذي تلعب فيه ارادة الانسان دورا اساسيا في تحقيق نتائجه العلمية التي يتبناها التفكير الماركسي والتي على اساسها يعتبر النتائج حالة لابد منها، بغض النظر عن ارادة الانسان، والتنبه الى مخاطر التفكير المجرد، ورفض الاراء الاصلاحية والانتهازية.

جاء تحديد الاهداف وولادة (النظرية القومية) صحيحا ودقيقا لانه قام على مرتكزات فكرية ومنهجية اصيلة . . يجيء في مقدمتها :-

اولا :- استلهام تاريخ الامة ومعطياتها الايجابية، والاعتماد على غنى تجاربها وتاريخها الطويل.

ثانيا :- رفض التقليد للنظريات الاجنبية الجاهزة.

ثالثا :- التفتح على العالم وعلى التجارب الثورية العالمية والرغبة في الاستفادة من كل فكر اصيل مع الحرص على الخصوصية الفكرية لفكر الامة وتراثها وروحها.

رابعا :- امتلاك قدرة الرد على المخططات المعادية.

ومثلما كانت مرتكزات النظرية القومية اصيلة، فان اهداف البعث صارت مقنعة وصحيحة وموضوعية، فهناك المبررات القومية التي تعزز هدف الوحدة، فالعرب تاريخيا وموضوعيا أمة واحدة، وبكل مقومات الامة، وهناك ايضا المبررات الحضارية التي تعزز هدفي الاشتراكية والحرية، فالعرب لابد ان يسعوا لهذين الهدفين لينهضوا بدورهم الحضاري على صعيد العالم، والظروف والمبررات التي يطرحها الظرف الدولي تعزز هذا، فالعصر الراهن الذي يشهد نمو الكتل الكبيرة هو عصر الشعوب وعصر النضال ضد الاستغلال وعصر النضال من اجل الحرية.

واذا عرفنا ان اهداف البعث بهذه المكانة من الاهمية والعمق والشمول، من حيث صلتها بحياة الامة العربية ومستقبلها، تبينا كم كانت ولادة البعث ضرورة لحسم المشكلات الاساسية التي تعاني منها الامة، لتطل على مستقبلها بصورة صحيحة ولتواصل السير باتجاهه.

لقد كانت ولادة البعث ثورة شاملة على كل مظاهر التخلف والفساد في الواقع العربي، كما كانت ايذانا بالنهاية المحتومة للطبقات المشبوهة الحاكمة والمستغلة فيه،

وبمعنى اخر كانت هذه الولادة بداية لثورة الشعب العربي لتحقيق حلم الاجيال العربية في بناء مجتمعها الاشتراكي الحر الموحد.

وفضلا عما تمثله وحدة هذه الاهداف من رد على الواقع المتخلف الذي يعيشه العرب، فان هذه الاهداف تمثل بداية لمرحلة نهوض شاملة وتؤشر خط الشروع للانطلاق الى مستقبل زاهر للامة العربية. مستقبل تحقق فيه ذاتها، وتجد نفسها في صف امم الارض، تصنع المجد والحضارة والخير للبشرية... وتحقق رسالتها الخالدة.

فعبر معالجة معضلات الواقع المتخلف، من خلال اهداف البعث، تتحقق الشروط الموضوعية لانبعاث الامة من جديد، بل لخلق امة جديدة، وفي حالة حضارية جديدة. انها حالة النهوض التي تتهيأ للامة الحية من خلال اهدافها المتجددة.

ان اهداف البعث تقود الى طريق النهضة، حيث تسترجع الامة هويتها، وتحقق ذاتها، وتتخلص من حالة الضياع، وتجدد ثقتها بنفسها، وتعتمد على قواها الذاتية في رسم مستقبلها.

اما وحدة هذه الاهداف الثلاثة. الوحدة والحرية والاشتراكية فتنبع من طبيعة علاقة التضافر والتفاعل الموجودة فيما بينها. فوحدة هذه الاهداف تجيء في مقابل وحدة عوامل التخلف. التجزئة والاستغلال والتسلط.

ان النهضة المطلوبة للامة العربية متعذرة بل مستحيلة، من خلال تحقيق هدف واحد من الاهداف الثلاثة. لذلك ربط البعث ربطا عضويا بين النضال القومي والنضال التحرري والنضال الطبقي... والوحدة في حالة غياب دور الجماهير لا يمكن ان تقوم صحيحة وايجابية. وعلى فرض قيامها فانه ليس هناك من يحميها من اعدائها. ان الوحدة الحقيقية هي الوحدة ذات المحتوى الجماهيري الذي يستمد من جهود الجماهير وحماسها الديمومة والبقاء.

ان الوحدة هي مطلب الكادحين العرب من العمال والفلاحين والكسبة، والعسكريين والمثقفين، ومن ثم فقد اصبح طريقها هو طريق العرب نحو الاشتراكية. ان ذلك هو السبيل الوحيد لكي تصبح الوحدة في حياة الجماهير حقيقة حية وحافزا دائما لنضالها ضد قوى التخلف والاستعمار والاستغلال. ان بلوغ المستوى الذي يؤهل العرب لحمل رسالتهم الانسانية لن يتم قطعا بتحقيق الوحدة لوحدها، فلابد لتحقيق

هذا المستوى من نظام يهيىء لتكافؤ الفرص، ويتيح لطاقات الجماهير ان تتفتح لتغني الرسالة. ولابد ان تكون الامة محررة قادرة على مواصلة العطاء والابداع. وستكون الاشتراكية حين تغيب الوحدة قاصرة إذا لم تأخذ بالاعتبار الافق القومي والهدف القومي. ولا يمكن ان ترقى الاشتراكية، في قطر واحد الى المستوى المطلوب منها ان لم تأخذ بالاعتبار كل طاقات الامة العربية وان لم تبق راية النضال القومي مرفوعة.

ان الاشتراكية تأخذ كل مداها النظري والتطبيقي عندما يكون مجالها الوطن العربي كوحدة اقتصادية وكوحدة شعبية نضالية[1].

فالاشتراكية التي يعمل لها حزب قطري هي غير الاشتراكية التي تحتاجها وتقدر على تحقيقها الامة العربية كأمة ذات تراث حضاري واستعدادات وامكانيات لنهضة جدية اصيلة[2].

ومعنى ذلك (انه لا يمكن تطبيق الاشتراكية بمداها الواسع في أي من الاقطار العربية بمفرده خارج اطار النضال القومي[3]. ولكن اذا ما تسلم حزب البعث السلطة في قطر ما واراد بناء الاشتراكية وفق عقيدته ومنظوره فانه بالامكان اقامة الاشتراكية في قطر عربي واحد مع ابقاء راية النضال العربي مرفوعة)[4].

والوحدة، لا يمكن ان تؤول الى شيء أيجابي في حياة الجماهير، بدون الحرية التي تطلق لهذه الجماهير طاقاتها وتتيح لها ان تعبر عن آرائها ومطامحها.

ان الوحدة العربية تعبير عن حاجة الجماهير الى الحرية، وعن رغبتها في ان تعبىء قواها وامكاناتها لمقاومة كل ما يقف في سبيل تقدمها وتطور حياتها.

ولا يمكن ان يغني التحرر من الاستعمار دون قاعدة جماهيرية محررة من الاستغلال والاضطهاد تنعم بتكافؤ الفرص لكي تدعم النضال ضد التسلط الخارجي.

فالحرية، في ظل التفاوت الطبقي والاستغلال، لا يمكن ان تعود على الجماهير بشيء ذي بال..

والحرية لقطر صغير محروم من نعمة الوحدة تعني الوقوع لقمة سائغة للطامعين.. وهي لا يمكن ان تأخذ قطعا مداها العميق والشامل والايجابي الذي تبلغه في ظل الوحدة.

---

(١) الرفيق القائد المؤسس ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد، ثورية الوحدة العربية.

(٢) معركة المصير الواحد، ثورية الوحدة العربية.

(٣) الرفيق القائد صدام حسين، حول اقامة الاشتراكية في قطر عربي واحد.

(٤) المصدر نفسه.

- ١ -

وَحدة الامة العَربية



تنطلق مقولة الوحدة العربية من مسلمات بسيطة واضحة، وحقائق موضوعية ملموسة، والوحدة العربية نظرية لا تحتاج الى براهين، لانها حقيقة حية تحرك اعماق الجماهير العربية، وهي واقع شاخص وملموس، فالوطن العربي يمثل وحدة، وشعبه يمثل امة واحدة، تؤكد ذلك وحدة اللغة والتاريخ والارض والدور الحضاري المشترك.

ان لغة الشعب العربي في كل اقطار الوطن العربي واحدة. . وتاريخ هذا الشعب واحد، في احداثه الكبرى، التي كان يستجيب لها في مختلف مواطنه بموقف موحد وشعور موحد. . وفي دوله التي قامت عبر اكثر من حقبة تاريخية طويلة، وامتدت رقعتها على مساحات شاسعة من اراضيه، على ضعف مقومات قيام الدولة الواسعة والكبيرة في القرون الماضية. . وارض الشعب العربي واحدة تتكامل في محاصيلها وخيراتها وثرواتها ومعادنها.

ومنذ القديم. . وقبل مجيء الاسلام بحقب ليست قصيرة، كان العرب يشعرون انهم شعب واحد، واخبارهم ومآثرهم وآدابهم شاهد على ذلك. . وعلى الرغم مما كانت تفرضه ظروف الحياة آنذاك على اغلبهم، من تنقل وعدم استقرار ونزاع، في بعض الاحيان، على مواضع الرعي والماء، فانهم كانوا يحسون بنزوع دائم الى التجمع والتوحد فيما بينهم، وظلت هذه النوازع تلازمهم، وتعبر عن نفسها في اكثر من صورة، حتى انها اتخذت شكل الدولة الاقليمية، اكثر من مرة وفي اكثر من مكان من الوطن العربي الكبير قبل الاسلام، كدولة أكد وآشور وبابل واليمن. . وكان اروع تجسيد لها ميلاد الدولة القومية، الدولة العربية الاسلامية، بقيادة الرسول العربي الكريم محمد.

وكان هذا النزوع يعبر عن نفسه حتى في حالات الضعف والانحطاط. . ففي الفترة المظلمة التي تلت سقوط بغداد، على يد هولاكو، كان العربي يشعر بأن الوطن العربي كله وطنه، ويتنقل بين أقطاره، ويتاجر ويستقر في قطر غير قطره في احايين كثيرة. . ولم تكن للحدود اعتبارات ومعان عندهم غير انها مصنوعة ومفروضة.

ولِما يحسه اعداء العرب، قديما وحديثا، من نزوع العرب للوحدة، وميلهم اليها، نجدهم يناصبونها العداء. . ويضعون المخططات لتكريس عوامل الفرقة والتجزئة. .

وذلك لأيمانهم ان العرب ينهضون بالوحدة، ويحققون ما يصبون اليه، بحيث لا يتمكن منهم اعداؤهم.

والظروف الموضوعية للواقع السياسي الراهن تفرض الوحدة كحل لاشكالات العرب الراهنة، لأن التجزئة تمثل اخطر مشكلات الوطن العربي، والمنفذ الذي يستغله المستعمر والعدو والطامع لفرض هيمنته وتسلطه على اقطار الامة العرية..

ان التجزئة تمثل المرض الاول. ولولا التجزئة لما تمكن الصهيانية من اغتصاب فلسطين، ولما اقتطعت اراض من جسد الوطن العربي، ولما شهدت الامة العربية حالة التداعي والوهن والهزيمة في غير بقعة من اقطارها.

ان طبيعة المرحلة المعاصرة، ووجود القوى الدولية، وخشيتها من الوحدة العربية.. كل ذلك يستقطب مخططات الاعداء بأتجاه تكريس واقع التجزئة، واحباط اي مشروع وجدوي سليم، والتخطيط الدائم لتشويه فكرة الوحدة، والعمل على هدم مقوماتها.. مما يفرض، بالضرورة، وجوب التصدي لهذه المخططات والمشاريع، ومما يجعل الوحدة بالمقابل هدفا حتميا، لتحقيق القوة والسيادة والتقدم. فالوحدة قوة جبارة بوجه المستعمر والطامع، لانها تستنهض كل جهود الأمة العربية وطاقاتها وامكاناتها، لتجعلها في مواجهة الاعداء.

ان التجزئة والتخلف يهيئان الجو الملائم الذي ينشط فيه العدو والمستعمر والطامع، ولا يمكن أن تتم معالجة حالة التخلف بشكل صحيح، ومواجهة روح التداعي والهزيمة في الواقع العربي، الّا من خلال الوحدة، بوصفها الحالة الوحيدة القادرة على توفير شروط التجاوز للظروف القطرية الصعبة، والاحاطة بالابعاد الشاملة لمشكلات الأمة العربية، وتخطي مخاطر القطرية التي تكرس واقع الهزيمة والمحنة، وتعطل أية امكانية لتجاوزه.

فبالوحدة تتوفر فرص العودة الى الجماهير، التي تشكل الضمانة الاكيدة للوحدة، وتهيىء فرص النظر الى الامكانات العربية مجتمعة والتعامل معها بما يُمكِّن من حسن استغلالها لصالحهم.

تتميز المرحلة المعاصرة من الحياة الدولية، بسمتين اساسيتين، هما الانتاج الكبير، الذي يتعذر بدونه بناء مشاريع انتاجية كبيرة ثم عامل الكتل الدولية الكبرى، التي تجعل الطاقة المنفردة لكل قطر من اقطار الوطن العربي المجزأ، لا تقوى على مزاحمة

حجم السوق في اي من اقطار الدول المتقدمة مهما يكن صغيراً.

تجيء هذه السمات في الحياة الدولية المعاصرة لتعزز من عامل الرابطة القومية في حياة العرب، وتجعل من اختيار الوحدة حلا جذريا لمشكلات حياتهم.

ومن هنا تصبح الوحدة حلا ضروريا لمجابهة الاخطار الجديدة، التي تفرضها الحياة المعاصرة. بالاضافة الى كونها القاعدة الاساسية التي يتعذر بدونها على العرب تحقيق التطور العلمي والتكنولوجي المطلوب للحاق بركب العالم المتقدم في هذا المجال. فلم تعد الفرصة مواتية امام الاقطار الصغيرة للصعود في طريق بناء حياتها المتطورة بمفردها.

لاشك في ان الوحدة، التي يسعى الى تحقيقها حزب البعث العربي الاشتراكي والتي تمثل احد اهدافه، هي الوحدة العربية الشاملة، التي تنتظم كل الاقطار التي يعيش فيها الشعب العربي. فالدولة التي يناضل من اجلها العرب تمتد على ساحة الوطن العربي كله. هذه الرقعة الواسعة التي حددها دستور الحزب بأنها «البقعة التي تسكنها الامة العربية والتي تمتد ما بين جبال طوروس وجبال بشتكويه وخليج البصرة والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط».

ومن المعقول طبعا أن القول بالوحدة الشاملة، وبدولة العرب الكبرى، لا يعني قطعا أن الوحدة تتحقق دفعة واحدة بين كل اقطار الوطن العربي، بل لابد من اسلوب الخطوات لتحقيقها، فقد تتحقق على مراحل بين قطرين أو اكثر، وينضم اليهما قطر آخر حين تسنح الظروف، وهكذا.

ولابد من الاشارة هنا، انه بالاضافة الى العمل الوحدوي المباشر، وقيام وحدة بين قطرين أو اكثر، فأن هناك عملا وحدويا يأخذ صيغا غير مباشرة، هدفها تعزيز الاسس الموضوعية للوحدة، عبر اساليب وقنوات مختلفة، كالتضامن العربي، والوحدة الاقتصادية، والوحدة الثقافية، والوحدة العسكرية، والمنظمات العربية، وما الى ذلك من مشاريع للعمل العربي المشترك.

إن العرب أمة ذات رسالة وذات حضارة، واذا كانت الأمة العربية قد قدمت للتراث الفكري العالمي وللعالم، ما أسهم بفاعلية في اغناء مسيرة التطور في العالم، في مضمار اداء رسالتها الانسانية، فأنها، وهي مجزأة، غير قادرة على الاسهام بشيء.

لكنها ستعود حتما الى العطاء، واداء الرسالة بكفاية، اذا ما تحققت الوحدة. وهنا نجد ان الوحدة عامل خير وعطاء للانسانية جمعاء، وليس للعرب وحدهم.

نظر حزب البعث العربي الاشتراكي الى الوحدة، من خلال رؤ ية شاملة، تنطلق من علاقة العامل القومي بالعوامل الاقتصادية والسياسية، التي يفرضها واقع الحياة المعاصرة، وطبيعة التكتلات الدولية، حتى قرر: «ان كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية، لا تصدر عن مسلمة الوحدة العربية هي نظرة خاطئة ومعالجة ضارة.»[1]

ان الوحدة من هذا المنظور لم تعد حلا قوميا حسب، بل هي حل حضاري لكل اشكالات حياة العرب المعاصرة..

انها في فكر الحزب، بمستوى الرسالة، لذا فهي مقرونة بالرسالة في شعاره «امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.»[2]

عبر الحزب عن فهمه ونظريته الى الوحدة، بكيانه التنظيمي، اذ جعل هذا التنظيم قوميا، اي على مستوى الوطن العربي كله، متجاوزا حدود الافكار المجزأة والحدود التي صنعها الأستعمار، وحافظت عليها المصالح المحلية، دون اهمال يتجاوز الاعتبارات والمعطيات القطرية، من خلال ادراك سابق ومتقدم، يقرر ان الوحدة لا تتعارض ولا تلغي الخصوصيات الموجودة في كل قطر من اقطارها.

وعلى الرغم من ان اهداف البعث «الوحدة والحرية والاشتراكية» متساوية في اهميتها، الا ان الحزب، ومن مستوى تقديره للوحدة، اكد ومنذ نشأته، اولوية الوحدة، واعطاها تقدما ورجحانا معنويا على هدفي الحرية والاشتراكية».[3]

وينطلق الحزب في هذا الموقف، من ادراكه لأهمية دور الوحدة في تحقيق مصالح الجماهير، والتعبير عن طموحها في صنع الحياة الحرة الكريمة.

ان الوحدة، في مستواها ومعناها، تحتل مكانة الثورة في فكر البعث ونضاله من حيث هي عملية تفاعل وصهر والتحام، لا عملية ضم وتجميع اقطار مجزأة من الوطن العربي الى بعضها. ذلك ان عملية الوحدة تستلزم التصدي والمواجهة الحاسمة لأجتثاث كل الامراض القطرية، بالاضافة الى كونها عملية مجابهة للطبقات التي تهدد الوحدة مكانتها ومصالحها وامتيازاتها.

---

(١) الرفيق القائد المؤسس ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد، ثورية الوحدة العربية.

(٢) ـ المصدر السابق.

(٣) معركة المصير الواحد ـ ثورية الوحدة العربية.

ولأن طريق الوحدة شاق، ومعوقاته واخطاره ليست يسيرة، فلابد اذن ان تتوافر لأية وحدة بين قطرين عربيين، شروط البقاء والاستمرار. . ولن يتم ذلك قطعا الا اذا كان اساس الوحدة متينا وقادرا على الثبات بوجه الهزات والمؤامرات، والا اذا كان طريقها سليما، بحيث تجري فيه عملية النمو والتكامل، بما يمكن من الوصول الى الوحدة الشاملة.

وليس هناك خطر يتهدد الوحدة، اشد عليها من خطر ادعيائها ومزيفيها، وفي اطار العمل الرسمي بخاصة، لذا فأن الجماهير المنظمة صاحبة المصلحة بالوحدة، واداتها النضالية، هي الضمانة الاكيدة، لحمايتها من شرور الأدعياء والمزيفين. . وهي التي ينبغي ان تتولى قضية الوحدة لتصنعها، ولتصونها بعد ذلك من التآمر والتزييف.

ولأن الوحدة هدف ثوري، فان الجماهير الشعبية المنظمة هي القادرة، اكثر من سواها، على تحقيقها. . وهي، في الوقت نفسه، اقدر على حمايتها وترسيخها. . ومعنى ذلك، ان الضمانة الأكيدة لنجاح الوحدة، وتطورها وبقائها واستمرارها، هي ان تأتي ثمرة لنضال الجماهير الواعية المنظمة.

واذا كانت الوحدة على هذا المستوى من الأهمية، وبهذه الدرجة من الخطورة، واذا كانت عملية بنائها، والحفاظ عليها، تستلزم هذا الجهد الشاق والعمل المنظم، فلابد اذن من اعتماد العوامل الموضوعية لتحقيقها وتحديد طبيعتها بين اي قطرين من الاقطار العربية.

ان بناء وحدة قادرة على مجابهة الاستعمار في الخارج، والتصدي لاعدائها في الداخل، بين اقطار، ورثت من التجزئة ما ورثت من رواسب القطرية وسلبياتها، هو عمل كبير وعظيم، يتطلب ان يكون الوعي بمستواه والتضحيات بنفس المستوى. .

ولان الوحدة لا تقوم ولا تستمر الا بجهود الجماهير الثورية المنظمة، وبمشاركتها الايجابية الفاعلة، فان ذلك يستلزم تعميق الطابع الاشتراكي الديمقراطي لأسس الوحدة، ضمانا لرسوخ بنيانها، عن طريق استقطاب جهود الجماهير وطاقاتها وامكاناتها. .

ولما كانت الوحدة لا تقوم ولا تستمر الابجهود الجماهير الثورية المنظمة، وبمشاركتها الايجابية الفاعلة، فان بناءها على اسس متينة وعميقة من العلاقات والروابط والممارسات الاشتراكية الديمقراطية، ضمان لرسوخها وديمومتها ونمائها، ذلك ان

الجماهير الشعبية هي القادرة وفق ضمانات مسبقة على تجاوز الرواسب الاقليمية وظروفها والمصالح النابعة منها . . ومن ثم فهي جديرة بالاضطلاع بثورة الوحدة.

ان الوحدة ثورة، وهي تحتاج الى نضال شديد وطويل والى تضحيات، والى عمل متواصل ودؤوب لا يمكن ان يضطلع به غير الجماهير القادرة على التضحية والعطاء. ومن هنا تكون الوحدة القوية والصحيحة والقادرة على البقاء والتطور والاشعاع هي الوحدة التي تقوم على ارادة الجماهير وجهودها وهي الوحدة التي تحميها وتطورها امكانات الجماهير وطاقاتها التي لا تنتهي، ذلك ان الجماهير هي صاحبة المصلحة الحقيقية في الوحدة.

ومن هنا تكون الثورة التي تمثل ارادة الجماهير هي القادرة على صنع الوحدة، ويكون الحزب الذي يمثل تطلعات الجماهير وامانيها وارادتها هو القادر على صنع الوحدة وحمايتها . . ومعنى ذلك ان القطر الذي يقود فيه الحزب السلطة هو اقدر من غيره على تحقيق الوحدة، واقرب من سواه من الاقطار على صنع ثورتها .

ولئن كانت الجماهير تمثل اداة تحقيق الوحدة، فذلك لا يعني قطعا انفراد اسلوب واحد لتحقيقها، فهي في العمل تتطلب استخدام اساليب شتى لتحقيقها، وحسب الظروف.

واذا كان المتنفذون واصحاب المصالح هم وحدهم الذين يفقدون مواقعهم، ويُهددون بمصالحهم، بزوال الحدود وبقيام الوحدة، فان ابناء الشعب الباقين لن يفقدوا شيئا جراء ذلك، بل على العكس سيجدون في ذلك فرصتهم التاريخية لتحقيق مصالحهم. ان التمسك بالاقليمية من قبل دعاتها هو ضرب من التشبث بمصالحهم غير المشروعة الموجودة ضمن حدودها، فالوحدة، من هذا المنطلق، تعني الثورة القومية والاشتراكية في آن معا.

وليست الوحدة عملا آليا تتحقق لوحدها تلقائيا . بل هي عمل نضالي خلاق يقوم على التنظيم. وهذا التنظيم يجب ان يكون محكما وواسعا، ليكون قادرا على التطور والنمو، فيتمكن بذلك من احكام السيطرة على الظروف، ويقوى على مغالبة الاوضاع وتجاوز المعوقات ومسابقة الزمن.

- ٢ -

الحـــــرية



تعني الحرية اتاحة الفرص امام المواطنين للتعبير عن آرائهم والتصرف خارج ضغط القيود المفروضة فيما يتعلق بشؤون مجتمعهم ومشكلات حياتهم وتمكينهم من صنع مجتمعهم.

وتمثل الحرية أحد الاهداف الكبرى لحزب البعث العربي الاشتراكي، وركنا مهما من اركان نظريته القومية في بناء المجتمع المتطور القادر على توفير الحياة الكريمة للانسان العربي، واغناء مسيرة الحياة الانسانية بالعطاء في كل مكان.

كانت معظم الاقطار العربية، في الفترة التي نشأ فيها حزب البعث العربي الاشتراكي، خاضعة للاستعمار. وكانت الجماهير، في هذه الاقطار، تعاني من الاضطهاد والظلم. وكان الاستعمار يصادر حرياتها ويزيف ارادتها، ليحكم سيطرته عليها، ويضمن استمرار استغلالها.

اما في الاقطار التي نالت استقلالها الشكلي آنذاك، فقد ورثت الرجعية، بعض مراكز الاستعمار، واضطهدت الجماهير وحرمتها من ثمرات نضالها، واستغلتها ومارست ضدها الارهاب، وتحالفت مع المستعمر لتحمي مصالحها.

وكان من الطبيعي ان يواجه حزب البعث هذه الظروف القاسية، بموقف ثوري ومبدئي، فرفع شعار الحرية، وجعلها مع الوحدة والاشتراكية الاساس العقائدي الذي يناضل من أجل تحقيقه.

ومن هنا، نجد ان الحرية تعني التحرر الكامل من كل اشكال السيطرة الاستعمارية، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. واذا ما توافرت ظروف التحرر هذه، فانه ستتاح للمواطن وللشعب، ظروف الممارسة الديمقراطية لحقوقه وحرياته، وسيتمكن من التعبير عن آرائه، وستتفجر طاقاته التي كان يكبلها القهر والاضطهاد، ليبني حياته الكريمة ومجتمعه المتقدم، ويحقق شخصيته.

وبهذا تكون الحرية تعبيرا عن احترام ارادة الشعب الحقيقية، واحترام قيمة الانسان.

وحزب البعث اذ يناضل لاتاحة فرص الممارسة الديمقراطية امام الجماهير، انما ينطلق من ايمانه العميق بالجماهير، وبدورها الفاعل في بناء الحياة، ومن ايمانه بعقيدته التي تقوم على (ان الانسان قيمة عليا).

اذا كان للحريـة، هذه المكـانة الكبيرة في صنع حياة الانسان، وفي تقدم مجتمعه، واذا كان غيـابهـا يمثل غيابا للطاقات والامكانات، التي تسهم في بناء حياته السعيدة، فان مكانها كبير واساسي ايضا في حياة الحزب الداخلية كلها.

فالـديمقـراطيـة تشكل ركنا مهما من الاركان التي يقوم عليها التنظيم الحزبي. وهي شرط جوهري واساسي في تكوين الحزب، وفي كل ممارسة حزبية حية.

ان اعتـماد الـديمقراطية، كمبدأ من مبادىء تنظيم العلاقة في الجهاز الحزبي، يعبر عن مدى اهتـمام حزبنـا بها وبـدورهـا الفـاعـل في حياته، فهذه الصيغة هي التي تحدد العـلاقـات وتنظمهـا داخـل الجهـاز الحـزبي، اذ هي تتيـح الفرص امام الحزبيين لان يطرحوا ما لديهم من آراء وملاحظات، ويشاركوا في مناقشة سياسات الحزب وليشاركوا ومن مستويات محددة في رسم خطط الحزب كذلك وتنفيذ برامجه في سبيل تحقيق اهدافه.

وبهذا المعنى، تعتبر الديمقراطية القاعدة التي تستند اليها نظرية الحزب التنظيمية.

فالحـزب الثـوري بمثـابـة كيـان حي، تنظم هيكله خلايـا متماسكة حية متحركة، وتنظم حركتها وتوجهها صيغ محددة من العلاقات، وتمكنها من اداء دورها على صعيد العمـل داخـل الحـزب، وفي وسط الجماهير. ولا يمكن لحركة الحزب ان تنتظم وتستمر بغياب هذه الصيغ او ضعفها.. فبذلك يفقد الحزب فاعليته وحيويته.

وكما ان الحياة لا تستقيم ولا تتطور كما ينبغي بغياب الممارسة الديمقراطية، فكذلك الحـزب الثـوري لا يمكن لحركته ان تستقيم وتستمر بأتجاه تحقيق اهدافه، دون اعتماده على الصيغ الديمقراطية. ومن هنا نجد صواب المقولة التي تؤكد (ان الديمقراطية لا يمكن ان تتحقق في حياة الشعب الا عندما تتحقق في حياة الحركة الثورية بشكل سليم).

وفي المقابل، سيكون لتوفير العلاقات الديمقراطية داخل التنظيم الحزبي، ومقدرته على ممارستهـا بشكـل جيـد، أثر فاعل على تواصله مع الجماهير، وتطوير علاقته بها، ودفعها بأتجاه العمل الايجابي البناء.

ومن اهم مظاهر الممارسة الديمقراطية في حياة الحزب، نجد الصيغ التالية:ـ

ـ الانتخابات

ـ التقارير

ـ المؤتمرات الحزبية
ـ الندوات والاجتماعات الموسعة
ـ النقد

اولا ـ الانتخابات :

ويقصد به انتخاب القيادات الحزبية من مستويات عددها الحزب حتى اعلى درجة في سلم الحزب بطريقة الاقتراع السري ، كانتخاب قيادات الفرق من قبل الفرقة الحزبية ، وانتخاب قيادات الشعب من قبل مؤتمر الشعْب وهكذا . . الى انتخاب القيادة القطرية من قبل المؤتمر القطري ، والقيادة القومية من قبل المؤتمر القومي .

ويكتسب الانتخاب صفته الديمقراطية من خلال كونه يتيح للحزبيين حرية التعبير عن آرائهم وقناعاتهم يمثلهم من يمتلكون الكفاءة الاعلى والنضالية الاعمق من بين المشاركين في عملية الانتخاب المضمون الديمقراطي للعلاقة بين الاعلى والادنى . . هذه العلاقة القائمة على الانضباط والالتزام ، بأعتبار ان القائد الحزبي ، قد اصبح في موقعه القيادي بأرادة الحزبيين واختيارهم الحر لاشغال هذا الموقع ، وهكذا يزيد هذا التفاعل من عمق الصلة بين المستويات الحزبية المختلفة .

ثانيا ـ التقارير :

تشكل التقارير الحزبية ، احدى الصيغ او الوسائل الديمقراطية المعتمدة داخل الحزب ، وفي مجال تحديد العلاقة وتنظيمها بين مختلف مفاصله .

وتلعب التقارير دورا مهما في تأمين التواصل وشد العلاقة بين مفاصل الحزب ، وبين قواعده وقياداته بشكل خاص .

فالحزبي يمتلك الحق في كتابة تقرير ، يرفعه الى مسؤوله ، او الى اي مستوى في القيادة ، عبر مسؤوله او سلسلة مسؤوليه ، يضمنه آراءه ومعلوماته وملاحظاته في شأن من الشؤون الحزبية او العامة المهمة .

وبذلك يشارك الحزبي في اقتراح الحلول للمشكلات المستجدة في التنظيم اوفي المجتمع ، اوينبه الى أمر يعني الحزب ، وقد يتعلق بأمنه اوبمصالح الجماهير ، او يكتشف عن خلل او خطأ في عمل او مرفق ما .

ومن هنـا تكـون التقارير الحزبية وسيلة مهمة تتأكد من خلالها الروح الديمقراطية، فضلا عن دورها في تمتين الصلة العضوية والتواصل المفتوح والدائم بين الحزبي وقيادته.

ثالثا ـ المؤتمرات الحزبية:

والمؤتمرات الحزبية هي الاخرى صيغة تنظيمية معتمدة، لتحديد وتنظيم العلاقة في حيـاة الحـزب الداخلية. ويعقد الحزب المؤتمرات على مستويات مختلفة كاجتماع الفرقة ومؤتمر الشعبة والفرع.. بحسب طبيعة هدف المؤتمر ومهمته.

والمـؤتمـرات ذات اهميـة كبـيرة بالنسبـة للحـزب، وعلى مستوى التنظيم، وتطبيق قواعد العمل فيه، وممارسة الديمقراطية داخل صفوفه.

فالمـؤتمـرات اجتـماعـات ذات طبيعة خاصة، تكرس لاجتماع ممثلي الجهاز الحزبي، للانتخابات، او لمناقشة حدث مهم، او لوضع خطة عمل او مراجعتها... وهنا تتاح الفرصة للحزبي لممارسة حقه ان يطرح آراءه ويقرر، بحسب المستوى الحزبي الذي هو فيـه، سيـاسـة الحـزب، ويـنـاقش ويخطط وينقد ويستفسر. ومن هنا تكون المؤتمرات الحزبية صيغة مهمة وفاعلة لممارسة الديمقراطية داخل صفوف الحزب.

ان قرارات وتـوصيـات ونتـائـج اي مؤتمـر هي حصيلة تفاعل آراء الحزبيين، الذين حضـروا المـؤتمـر، واذا عرفنا اهمية قرارات ونتائج المؤتمرات، مهما كان مستواها، أدركنا مدى ما تتيحه صيغة المؤتمرات من ديمقراطية، لكي يقرر المؤتمرون بارادتهم جميعا كل ما يهم الحزب ويتعلق بعمله ونضاله من اجل تحقيق اهدافه.

رابعا ـ الندوات والاجتماعات الموسعة:

النـدوة، في حقيقتهـا وشكلهـا ايضـا، اجتـماع حزبي موسع يعقد لغاية تنظيمية او ثقافية، او لشرح موقف سياسي، او لتوضيح الموقف تجاه حدث طارىء.

واذا كان الاجتماع يضمن للحزبي ان يعبر عن آرائه وانطباعاته، ويقدم مقترحاته، في داخـل الاجتـماع، بكـل حرية، وضمن الاساليب الحزبية الصحيحة، فان الندوة، بطبيعتهـا، كاجتـماع موسـع، تتيـح لهذا الحـزبي قدرا اوسـع من الحـريـة، لبيان آرائه وملاحظاته من خلال الحوار الموسع لمثل هذه الاجتماعات.

ان عدد الحزبيين الذين يحضرون الندوة اكبر، بطبيعة الحال، من الذين يحضرون الاجتماع الحزبي الدوري، والمسؤول الذي سيدير الندوة هو بالضرورة في مستوى حزبي اعلى من مستوى مسؤولي المنظمات الحزبية التي سيحضر اعضاؤها الندوة. . ويعني ذلك أن آراء ومقترحات الحزبي التي يود عرضها سيتاح لها من المستمعين والمناقشين عدد اكبر وفي مستوى حزبي اعلى. . واذا كانت هذه الاراء مهمة وصائبة، فستجد التأييد والقبول من المشاركين في الندوة. وبهذا تكون الندوة كالاجتماع مجالا لممارسة الديمقراطية، وصيغة للتعبير عنها.

خامسا ـ النقد:

يعتبر مبدأ النقد ركنا اساسيا ومهما من اركان الممارسة الديمقراطية في حزبنا، حزب البعث العربي الاشتراكي.

والنقد عملية، يوجه من خلالها الحزبي الملاحظات والآراء والانتقاد حول سلوك الآخرين من الحزبيين، الذين هم اعضاء في منظمته او الى مسؤوله، اذا ما وجد ان هؤلاء اخطأوا في تصرفاتهم، او اساءوا عن عمد او من دون عمد في موقف ماداخل التنظيم او في المجتمع.

وعملية النقد هذه لا تكون مقبولة قطعا الا اذا كان الهدف منها التقويم والارشاد والاصلاح، ولمصلحة الحزب وتطوير العمل فيه والمحافظة على تقاليده النضالية، والا اذا تمت بصيغ نظامية، وبنفس صبور ومتزن وبعيدا عن روح الانفعال.

وبخلاف ذلك يفقد النقد دلالته الديمقراطية ويصبح وسيلة للمهاترة والاساءة وتعويق عمل الحزب، مما لا يمكن أن تجد لها مكاناً في صفوف الحزب الثوري.

ان النقد واجب نضالي كبير وممارسة بناءة وخلاقة. من حيث كونه يعطي للحزبي حق مراقبة سلوك الحزبيين مراقبة ايجابية، وحق ملاحظة عمل المنظمات الحزبية بنفس نضالي بناء.

ان النقد القويم والصحيح يؤول حتما الى تمتين وحدة العمل الحزبي، بما يتيحه من مشاركة في عمل المنظمات الحزبية عن طريق المراقبة، وبما يوفره من فرص اصلاح الخلل، وضمان صحة العمل، لكي تستمر مسيرة الحزب صحية وقوية.

واذا كان النقد بهذه الاهمية في حياة الحزب الثوري، فان واجب الامانة النضالية

والتقاليد الاخلاقية الاصيلة يحتم على الحزبيين التعود الدائم على ممارسة النقد باصوله النضالية النزيهة، دون تردد او خشية يعتقدون معها انها ستؤثر سلبا على اوضاعهم او مكانهم في الحزب. وبخلاف ذلك يكونون قد تخلوا عن واجب نضالي مهم.

وتأخذ الصيغة التطبيقية للتعبير عن الحرية وممارسة الديمقراطية اشكالا متنوعة، تحددها ظروف النظام والسلطة، وطبيعة التحديات الداخلية والخارجية التي يمر بها القطر.

وبالنسبة لتجربة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق نجد الصيغ التطبيقية التالية:

أولاً: العمل النقابي والمهني

لكي تتمكن الجماهير الشعبية، من ممارسة حقوقها الديمقراطية، بوعي ومسؤولية، ينبغي ان تتاح لها فرص العمل في مؤسسات نقابية ومهنية، كنقابات العمال والمعلمين والمهندسين وسواها.

ان العمل النقابي والمهني صيغة مهمة واساسية للتعبير عن آراء النقابيين والمهنيين المنضوين تحت ألوية العمل في هذه المؤسسات. وهو، في الوقت نفسه، مجال لتوظيف طاقات وامكانات هؤلاء ووضعها في خدمة منتسبي المهنة، وفي خدمة المجتمع، من اجل صنع الحياة الجديدة المتقدمة، فضلا عما لهذه المنظمات من دور في اداء خدمات مهنية وأجتماعية لمنتسبيها والمشاركة في زيادة وعيهم وخبراتهم.

وللتدليل على ما يمكن ان يتيحه العمل النقابي والمهني من فرص للعمل والابداع وخدمة المجتمع، نجد أن العمل النقابي والمهني في العراق قد تطور بعد ثورة ١٧-٣٠ تموز بشكل كبير، بحيث حقق انعطافا نوعيا في مسيرة الحركة النقابية وواقع العمل في هذا المجال.

فقد مارس العمال والفلاحون والمهنيون الاخرون، عبر التفافهم حول نقاباتهم واتحاداتهم، ومن خلال التوجيه المركزي لقيادة الحزب والثورة في العراق، انشطة اقتصادية واجتماعية وسياسية واسعة، عبرت عن الربط الواعي بين النضال النقابي والمهني، والنضال في مجال بناء الاشتراكية.

ولقد بدا واضحا ان الهدف المركزي لنضال العمال والمهنيين والنقابيين، وعبر تلاحمهم مع التجربة الثورية في القطر، قد تبلور في العمل على ترسيخ القاعدة الاقتصادية، لانجاز مهمات بناء الاشتراكية فيه.

ان زيادة الانتاج والمشاركة الجادة والدؤوبة في بناء المجتمع الجديد اصبحت هدف النضال الايجابي الذي يخوضه العمال والمهنيون والنقابيون في هذه المرحلة الحاسمة من عمر الثورة.

ومن هنا نجد المردودات الايجابية على كل الاصعدة لممارسة النقابات والمنظمات دورها في المجتمع.

ثانيا ـ الصحافة:

تعد الصحافة اهم المظاهر الاساسية لممارسة الديمقراطية، ووجودها يمثل ركنا من اركان الحياة الديمقراطية، وغياب الصحافة في بلد ما يعني غياب اهم مظهر حضاري فيه، وحجبها اشارة صريحة وواضحة للاضطهاد والقهر وسلب الحريات.

فللصحافة دور فعال ومهم جدا في التعبير عن آراء الافراد والمواطنين، في كل القضايا التي تهم حياتهم. . وفي عرض المقترحات والحلول لكل ما يتعلق بشؤون مجتمعهم الى السلطة والى الجماهير ايضا.

وغياب دور الصحافة يعني حرمان الجماهير من ايصال آرائها الى السلطات، والتعبير عن افكارها ومعتقداتها ومطامحها.

لقد لعبت الصحافة دورا وطنيا مهما في كثير من بلدان العالم، في مقارعة الاستعمار والوقوف بوجه الطغيان والاستبداد. وكان لها في كل اقطار الوطن العربي دور نضالي ومهم، في مقاومة سياسة المستعمرين والتشهير باذنابهم من الحكام المأجورين، وفي فضح المشاريع والمخططات المعادية لطموحات الامة العربية، وفي الترويج للآراء الوطنية والقومية، وتبصير الشعب بحقوقه وتعريفه باساليب اعدائه.

وفي العراق كان للصحافة دور ايجابي كبير في التنديد بسياسة المستعمرين، وفضح عملائهم ومأجوريهم في عهود ما قبل ثورة ١٧ـ٣٠ تموز، كما كان لها موقف المعلم والمرشد للجماهير، اذ كانت في الوقت الذي تبصرها فيه وسائل اعدائها، تبشرها بغد العروبة والحرية من خلال النضال.

وبعد ثورة ١٧ـ٣٠ تموز عبرت الصحافة اروع تعبير عن ايمان بالحرية وبالجماهير، فكانت صحافتنا صوتا للشعب، تعبر عن آماله وتطرح همومه وتفتح صدرها لشكاواه ومشكلاته.

ثالثا ـ قنوات الاتصال المباشر:

يعمد كل المسؤولين المخلصين والمؤمنين بالشعب، الى تفقد احوال المواطنين، وتلبية طلباتهم المشروعة، والاستماع الى شكاواهم وايجاد الحلول لمشكلاتهم. ذلك لان ابتعاد المسؤولين عن الجماهير يمنعهم من معرفة مشاكلهم، ويعزلهم بالتالي عن الجماهير نفسها. فالمسؤول الحقيقي هو ابن الجماهير وهو منها، وتوليه المسؤولية الحقيقية انما يجيء عن طريق ثقتها ورضاها وتأييدها.

وفي العراق، وبعد تسلم الحزب للسلطة في ١٧ـ٣٠ تموز، واناطة مراكز المسؤولية المهمة بالمخلصين من ابناء الشعب، نجد المسؤولين يعمدون الى متابعة شؤون المواطنين بحرص وامانة، ويقابلونهم ويتلقون شكاواهم برحابة صدر، بل نجد قسما منهم يخصص يوما لمقابلة المواطنين وسماع شكاواهم وايجاد الحلول لها. ولقد اصبحت هذه الظاهرة عامة ومألوفة وفي مكاتب الوزراء بخاصة. ولا عجب فربما يكون ذلك في بعض بواعثه احياء لممارسة كانت مألوفة في دواوين الخلفاء العرب، اذ كانوا يجعلون بعض ايام الاسبوع مكرسا لمثل هذا الغرض وكانوا يدعون هذا اليوم «بيوم الديوان».

وتتجلى هذه الممارسة، باروع صورها، وأعمق دلالاتها، في صلة الرفيق القائد صدام حسين بالمواطنين، من خلال اتصاله الدائم بهم، عبر زياراته لمحلاتهم ومساكنهم، وتفقده لاحتياجاتهم، واطلاعه على احوالهم المعيشية، وسماعه لأخص شكاواهم. انها حالة فريدة من التلاحم بين الجماهير والقائد، تجسد نوعا جديدا وخاصا من الممارسة الديمقراطية، التي يكشف فيها المواطنون عن آرائهم وملاحظاتهم وطلباتهم بشكل مباشر.

ولقد عبرت عن هذه الصلة بين القائد والجماهير اكثر من صيغة، صار يألفها الناس، ويمارسونها، وكان اوضحها واهمها واكثرها تأثيرا مباشرا، الاتصال الهاتفي الذي يلجأ اليه المواطنون يوميا، فيستمع الرفيق القائد الى شكاواهم وطلباتهم بالهاتف ويتابع حلها، حتى اصبح هناك يقين مشترك بين المواطنين، بانه ليست هناك من ظلامة اومشكلة معقدة ليس وراءها حل، مادام هناك القائد صدام.

والى جانب الاتصال الهاتفي المباشر، نجد جملة من الممارسات التي تعبر عن هذه الصلة الحميمة بين القائد والجماهير، فقد كانت هناك مقابلات القائد للمواطنين واستقباله لهم في مكتبه، وسماع قضاياهم.

وهناك ايضا الرسائل الموجهة اليه بالبريد. هذا فضلا عما يتيحه اللقاء المباشر بينه وبين الجماهير، في زياراته الميدانية الى دور المواطنين، والى المدارس والكليات والمعامل والمزارع، حيث تتاح للمواطنين في هذه اللقاءات، عرض مظالمهم وشكاواهم وطلباتهم المشروعة، فتتحقق بهذه الصلة اروع صيغ الممارسة الديمقراطية واصدقها.

ولقد كان نهج الرفيق القائد صدام حسين نبراسا لرفاقه وللمسؤولين في تعاملهم مع المواطنين وتلمس حاجاتهم الاساسية والسعي لحل معضلاتهم وقضاياهم المهمة، ومما لاشك فيه ان المواطن يندفع في عمله ويخلص في اداء واجباته، حين يجد مشكلاته الاساسية تحل عن هذا الطريق المباشر.

واذا كانت هذه الصلة الحميمة قد تركت طابعها الانساني العميق على الممارسات الديمقراطية، فانها اتاحت، في الوقت ذاته، للقيادة فرصة التعرف المباشر على مشكلات كثيرة ما كانت لتعرف وتعالج بيسر وسهولة من خلال القنوات التقليدية ولا حتى عن طريق الاجهزة الرسمية والمؤسسات الحزبية.

رابعا ـ مجالس الشعب:

مجلس الشعب نوع من التنظيم يضم مجموعة محددة من مواطني المدينة أو القرية أو المحلة، من المعروفين بأهليتهم ومكانتهم بين الجماهير، ومن القادرين على التحرك لتلبية حاجات الناس عبر المجلس، وعبر صيغ متفق عليها في هذا المجال.

فالمهمة الاساسية لمجلس الشعب هي استشراف حاجات المواطنين، ومعرفة طلباتهم المشتركة، ومقترحاتهم، ودراسة كل ما من شأنه تطوير الخدمات وتحسينها للمواطنين.

ويعتمد مجلس الشعب لتحقيق مقترحات المواطنين وتلبية حاجات المجتمع الذي ينشط فيه اساليب كثيرة مثل مراجعة الموظفين الاداريين والمسؤولين الحكوميين عن الخدمات الاساسية ورفع طلبات المواطنين الى السلطة بكل الوسائل المتاحة.

وينتظم مجالس الشعب نوع من التنظيم بدءً من مستوى المحلات ووصولا الى مجالس المدن الصغيرة والكبيرة.

وقد شهدت القرى والمحلات والمدن العراقية، بعد ثورة ١٧ـ٣٠ تموز، نشاطا واضحا لمجالس الشعب، تمثل بهذا النوع من الخدمات، بل تجاوزها الى انشطة وطنية

وقومية، والى المشاركة في حملات العمل الشعبي بأوجهه المختلفة. وقد برز دور مجالس الشعب في توعية المواطنين باهمية المشاركة في الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي. اما في معركة قادسية صدام فقد نجحت هيئات مجالس الشعب في عقد الندوات الواسعة للتعبئة الوطنية والقومية وشرح ابعاد العدوان الفارسي على العراق والامة العربية، وتعبئة الطاقات الشعبية من اجل المعركة المقدسة.

خامسا ـ المجلس الوطني:

يعتبر المجلس الوطني او المجلس النيابي من اهم المؤسسات الديمقراطية، ومن اكثرها شيوعا في العالم. بل هو الصيغة الكبيرة التي يتجلى فيها بشكل واضح التعبير عن رأي الشعب وارادته. وتناضل الاحزاب ويتنافس المواطنون من اجل الوصول الى المقعد النيابي لا لشيء سوى ان الوصول الى هذا المكان يعني ثقة الجماهير بالشخص من جانب وتمكن الشخص من ايصال آراء منتخبيه الى السلطة والى التطبيق احيانا، من جانب آخر.

وبالنسبة للاحزاب والكتل يعد الوصول الى المجالس الوطنية وصولا الى السلطة اي تولي رئاسة الوزراء وتشكيلها.

ولان الديمقراطية هي احد اركان النظرية القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، لذا فانه يناضل لتطبيقها بكل مظاهرها، ليبني المجتمع المتطور، الذي ينعم ابناؤه بالسعادة والحرية.

ومن الطبيعي ان يكون وجود المجلس الوطني الذي يضم ممثلي الشعب، حلقة مهمة في الممارسة الديمقراطية.

ومن هذا المنطلق شرعت قيادة الحزب والثورة في العراق باستقبال تجربة انتخابات ممثلي الشعب، وهيأت لولادة المجلس الوطني، حين توافرت الفرصة امامها لوضع مبادىء الحزب وافكاره موضع التطبيق بعد فترة مناسبة من قيام ثورة ١٧ـ٣٠ تموز، واستلهاما لعقيدة الحزب الاصيلة، وانطلاقا من التقاليد الديمقراطية التي تحكم حياته الداخلية.

ان ضرورات الممارسة الديمقراطية تتعاظم على صعيد علاقة الحزب بالجماهير بخاصة، ويصبح وجود تمثيل شعبي بمستوى المجلس الوطني مسألة ملحة في مثل هذه

المرحلة التي يباشر فيها الحزب تجربة بناء الاشتراكية في العراق، في الوقت الذي يقود فيه نضالا حازما ومريرا ضد مختلف التحديات، وعلى كل الاصعدة القطرية والقومية.

لقد كانت تجربة المجلس الوطني الذي انبثق في حزيران عام ١٩٨٠ تعبيرا عن عمق الممارسة الديمقراطية، كما كانت حلقة مهمة في تطور هذه الممارسة. وكان انبثاق المجلس تجسيدا لايمان الحزب الصادق والعميق بالجماهير ولثقته العالية بها.

لقد عبر اروع تعبير عن نجاح هذه التجربة حماس الجماهير واقبالها الحاشد على ممارسة الانتخاب بفرح وتفاؤل.

ولقد اكتسبت هذه الممارسة الديمقراطية، من خلال ايمان الجماهير بها وحرصهم على نجاحها، وحماسهم لجني ثمارها، ومن خلال الاساس المبدئي الذي استندت اليه، ومن حيث كونها لم تقم على اسس تقليدية او مصطنعة، جملة سمات مهمة، نجد في مقدمتها:

- تكافؤ الفرص امام كل ابناء الشعب المؤمنين بالثورة واهدافها والراغبين في الترشيح لعضوية المجلس بصفتهم الفردية، وعدم التمييز بينهم بسبب عدم انتمائهم للحزب. اي انه لم يكن هناك مرشحون عن الحزب.

- توفير الفرص المتكافئة والمتساوية امام كل المرشحين للدعاية الانتخابية، سواء على صعيد استخدام اجهزة الاعلام أم على صعيد النشاط الفردي في اوساط الجماهير لغرض الدعاية.

ولقد دفعت لجميع المرشحين اجور للدعاية الانتخابية والاعلان عن الترشيح.

ولتأكيد توافر الفرص المتكافئة امام المرشحين، منعت المنظمات الحزبية من التدخل، بأي شكل من الاشكال، في شؤون الترشيح والانتخاب.

- مشاركة المرأة ناخبةً ومُرشَّحةً. لقد اكد اشتراك المرأة في الانتخابات الفهم العميق لروح الديمقراطية والايمان بقدرات المواطنين وثورية نظرة الحزب الى المرأة.

لقد كانت انتخابات المجلس بكل مراحله فرصة تأكدت من خلالها قيم البعث الديمقراطية الاصيلة، وايمانه بالانسان كقيمة عليا، واحترامه لادارته، وثقته بدوره في بناء المجتمع، وتقديره لدور الشعب في اغناء مسيرة الثورة.

وتجربة انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي جاءت هي الاخرى تأكيدا لمعطيات تجربة المجلس الوطني، لما اتسمت به من تكافؤ في الفرص وحرية،

ومن اقبـال وحمـاس جماهـيري ، ولما تمخضت عنه من نتائج تؤكد ان الانتخابات كانت استفتاء للصلة الحميمة بين جماهير المنطقة والحزب والثورة.

الاشتراكية



تعني الاشتراكية، من حيث المبدأ، اقامة نظام ينتفي فيه الاستغلال ولا يتحقق هذا من دون تحويل الثقل الأساسي من ملكية وسائل الانتاج، اي المعامل والمصانع والمزارع الكبرى وبعض نشاط ومؤسسات الخدمات الى ملكية عامة للشعب، وجعل دخل الافراد مرتبطا باعمالهم وكفاءاتهم، واتاحة الفرص المتساوية لجميع افراد المجتمع للتعبير عن طاقاتهم وابداعاتهم.

ومن هنا نتبين ان هدف الاشتراكية الاساسي من خلق هذا النظام الاجتماعي، هو توفير ظروف موضوعية اقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية وسياسية جديدة، تحرر الأنسان من كل انواع الاستغلال والتسلط والجمود، وتتيح له الفرص، التي تحقق حريته وسعادته، وتطلق طاقاته وامكاناته، وتمكنه من العطاء والابداع.

ونلاحظ انه مهما اختلفت التطبيقيات الاشتراكية في اقطار العالم، فأن هناك جوهراً واحدا تلتقي عنده هو القضاء على الاستغلال بكل صوره واشكاله، المادية وغير المادية، وتوفير الفرص الموضوعية الملائمة للانسانية لتنطلق الى رحابها الأفضل واذا كانت الاشتراكية تعني غياب الاستغلال والتسلط ووجود الفرص المتكافئة في حياة الشعب، فمعنى ذلك ان النظام الاشتراكي هو النظام الوحيد القادر على توظيف امكانات الشعب، وطاقاته، المادية والبشرية، لتحقيق التقدم، والعدالة والازدهار في المجتمع من دون تسلط او استغلال.

وفي ظل واقعنا العربي الراهن، يجب ان تلبي الاشتراكية، بالاضافة الى محو الاستغلال، جملة اهداف مركزية، يجي في مقدمتها، القضاء عل كل مظاهر التخلف الموروث لبناء مجتمع متطور تتكافأ فيه الفرص امام المواطنين ويجد فيه الانسان السعادة والخير، ليفجر امكاناته، من اجل العطاء لأمته وللبشرية جمعاء.

وبهذا يتيح النظام الاشتراكي افضل الظروف الاقتصادية والاجتماعية، التي تؤمن التكون الحر لشخصية الانسان، وتتيح لها الازدهار والتفتح. فتتفجر طاقاته وابداعاته، وتثرى حياته بالقيم الانسانية النبيلة.

ولاشك في ان الانسان حين تتوافر له اسباب السعادة في الحياة، وحين يطمئن على مستقبله، يتمكن من الاسهام الفاعل في خدمة مجتمعه الانساني.

ان الاشتراكية اذا لم تؤد الى نمو شخصية الفرد والى ازدهارها، واذا لم تضمن له

السعادة والاطمئنان، تتحول الى مجرد توزيع للثروات المادية، على حساب البعد الانساني في حياة الفرد، وبذلك تختل حالة التوازن في المجتمع بين بعديه الانساني والمادي.

واذا كان جوهر الاشتراكية واحدا بقدر صلته بمحو الاستغلال وتحرير الانسان فان هذا لايعني أنها، في التطبيق والصيغ وحتى في الفكر، واحدة في العالم.

واذا كان تفجير الثورة الأشتراكية، والشروع ببناء النظام الأجتماعي الجديد، مرهونا بتداخل عوامل متعددة ذات فعل مشترك من اجل اقامة النظام الاشتراكي، فأن التسليم بذلك لا يعني ان هذه العوامل هي قوانين ثابتة وموحدة تطبق على كل المجتمعات. فلكل امة خصائص وسمات قومية وحضارية، ولها تراث وشخصية متميزة. وليست هذه الخصائص والسمات بسيطة اوهامشية اوبعيدة عن التكوين النفسي والروحي للشعوب، حتى يكون بالأمكان تخطيها واستخدام قوانين ثابتة وموحدة تصلح للتحول الاشتراكي في كل مجتمع[1].

واذا كان التمسك بهذه الخصائص والسمات امرا مبدئيا يتعلق بشخصية الأمة، ويعبر عن رؤية علمية سليمة لمشكلات واقعها، فانه من جانب آخر، يفصح عن استقلالية الفكر، بوصفها شرطا لا غنى عنه لتبيان المرشد النظري الأصيل، الذي يحدد القوانين الواقعية للتحول والبناء الاشتراكى.[2].

من هذه المنطلقات، نجد أن لاشتراكية حزب البعث العربي الاشتراكي التي تمثل احد اهدافه المركزية الثلاثة خصوصيتها، على صعيد الفكر والنظرية، واذ اتيح للحزب ان يضع مبادئه موضع التطبيق، بعد ثورته في السابع عشر من تموز ١٩٦٨، اكد، من خلال التطبيق، خصوصية تجربته الأشتراكية، في التطبيق ايضا.

وتعبر الاشتراكية، في القطر العراقي الآن، عن جانبها التطبيقي المتميز المرتبط بالبرنامج الشامل لحركة التغيير الثوري، لبناء تجربة البعث الكبرى. وهي في اثناء ذلك تتبلور وتغتني بمضامين ومنطلقات مضافة ترفد التطبيق اليومي[2].

على انه من الجدير بالملاحظة، ان منطلقات الحزب وادبياته قد اكدت، قبل تسلمه السلطة، اعتماد الطريق العربي الخاص، بما يمليه الواقع، وتفرضه الظروف، لبناء

---

(١) معالم التطبيق الاشتراكي في القطر العراقي، دراسة لمجموعة من الرفاق.

(٢) المصدر نفسه.

الاشتراكية الذاتية والمتميزة بخصوصيتها فكرا وتطبيقا. . اي ان لأشتراكية البعث من السمات الخاصة، ما يجعلها عربية، لا من حيث الطريق الى تحقيق الاشتراكية حسب، بل من حيث الخصائص الفكرية والمنطلقات النظرية كذلك.

وفي هذا المجال يؤكد الرفيق القائد صدام حسين. . ان طريقنا الخاص، في بناء الأشتراكية، ينطلق من خصوصيتنا الوطنية، ومن اهدافنا القومية، ويرتبط بها[٣].

وحين نجيء، لنرى مظاهر خصوصية الاشتراكية، على صعيد الفكر، نجد في المقدمة ارتباطها بهدفي الوحدة القومية والحرية، فنظرية البعث تقوم على الترابط العضوي بين هذه الأهداف المركزية الثلاثة، بوصفها، اهدافا متداخلة مترابطة، ومن ثم اتصال هذه الأهداف الكبرى مجتمعة بخصائص الامة وارتباطها بشخصيتها وتراثها.

القوى التي تحكم مسيرة الواقع العربي لا تنحصر في فعل الصراع الطبقي، على اهمية هذا الفعل، وانما ـ بتداخل ـ هذا الفعل مع فعل النضال القومي، ذلك لأن وحدة النضال القومي والنضال الطبقي هي ميزة اساسية من مميزات حركة الثورة العربية. . فالفكرة الاشتراكية في مبادىء البعث هي نتيجة التحسس العميق والصادق لمعطيات واقع الامة العربية، وضرورات بعثها الجديد. وبهذا ادرك البعث، انطلاقا من الواقع العربي المجزأ والمستعبد والمستغل، الخصائص القومية للصراع الطبقي في وطننا[٤].

وعلى هذا، تكون اشتراكية البعث اشتراكية قومية، بمعنى انها وحدودية تستهدف ازالة التجزئة، من اجل اقامة قاعدة اقتصادية موحدة لجمع كل الامكانات والطاقات العربية وتوحيدها. . وأنها لا تحقق كل اهدافها، الّا حين تأخذ كامل مداها على ساحة الوطن العربي الكبير، لتتكامل امكاناتها، وتتسع ثرواته ومواردها الزراعية والصناعية والبشرية، وليتسع محيط سوقها ايضا.

وعلى هذا الاساس فان الثورة التي يقودها الحزب في اي قطر عربي ويقود من خلالها السلطة ينبغي ان تكون من حيث الجوهر والغاية ثورة اشتراكية كما هي ثورة وحدوية وديمقراطية[٥]. وعليه ان يسعى وفقا لظروف المرحلة وضروراتها الاساسية الى

---

(٣) حديث الرفيق القائد صدام حسين في ندوة المؤسسة العامة لتجارة السلع الاستهلاكية.

(٤) معالم التطبيق الاشتراكي في القطر العراقي، الثورة العربية عدد، ٨، آب. ١٩٨٠، ص٢٦.

(٥) معالم التطبيق الاشتراكي في القطر العراقي، دراسة لمجموعة من الرفاق.

تطبيق برنامج تحول اشتراكي في ذلك القطر.

وهكذا نجد ان الصراع الطبقي . حسب مفهوم البعث للاشتراكية، يتمثل في انه ذو طبيعة قومية، بالاضافة الى طبيعته الطبقية، فهو لا يقتصر على الصراع بين المستغِلين والمستغَلين، اي بين الذين يملكون وسائل الانتاج والذين لا يملكونها، وانما يأخذ صفة اكثر شمولاً من هذه الدائرة.

ان ظروف مجتمعنا العربي تختلف عن ظروف مجتمعات اخرى، سبقتنا في بناء تجربتها الاشتراكية، ففي مجتمعنا يكون الشعب بغالبيته مستغَلا من قبل طبقة من الاثرياء تتكون من كبار التجار، واصحاب الصناعات والاقطاعيين والمتنفذين في اجهزة الدولة، والمتواطئين مع القوى الاجنبية على استغلال الشعب بكل طبقاته وشرائحه، كالعمال والفلاحين والكسبة والمثقفين الثوريين وغيرهم.

يكتسب الصراع الطبقي، في مثل هذه الحالة التي يعيشها شعبنا العربي بعدا قوميا، اضافة الى بعده الاجتماعي، ولذلك فهو لا يضع ضمن اهدافه، النضال ضد طبقات المستغلين من الاقطاعيين وكبار التجار والصناعيين وبيروقراطي اجهزة الدولة حسب، بل يضع النضال ضد القوى الاستعمارية، التي تساند وتدعم هذه الطبقات، والنضال ضد التجزئة، لان التجزئة تقوّي المستغلين، في كل قطر، والنضال ايضا ضد الكيان الصهيوني، الذي يعمل على ابقاء التجزئة الاستغلال والتخلف في المجتمع العربي لاضعافه.

لكل ذلك كان الصراع الطبقي بالنسبة للبعث مفهوما اجتماعيا وقوميا في وقت واحد، بخلاف مفهوم الصراع الطبقي لدى الفكر الماركسي، الذي ولد في الدول المتقدمة. ففي هذه الدول كان التناقض الرئيسي في مجتمعاتها هو التناقض الطبقي، لانها دول لم تكن تخضع للسيطرة الاجنبية وليست هي مجزأة او متخلفة. وقد كانت مشكلة شعوبها تنحصر، بالدرجة الاولى، في وجود ظاهرة الاستغلال وانقسام المجتمع الى مالكي وسائل الانتاج، الذين بيدهم كل شيء، والمنتجين الذين لا يملكون الا اجورهم. . لذلك فقد كان من الطبيعي ان ينحصر مفهوم الصراع الطبقي لدى الاحزاب الاشتراكية لهذه الدول بطابعه الطبقي اي الاجتماعي فقط. من هذا العرض يتضح جانب مهم من جوانب الفكر الاشتراكي لدى البعث.

والجانب الآخر الذي تجدر الأشارة اليه، في مجال خصوصية الفكر الاشتراكي لدى

البعث، يتمثل في مراعاة اشتراكية البعث للنشاط الخاص، وحساب دور الحوافز الفردية في عملية بناء المجتمع، ومن ثم فأنها لا تلغى الدور المشروع للنشاط الفردي الخاص شريطة ان يظل محكوما بقوانين التطور الأشتراكي، ومستجيبا لضروراته. وهي لا تلغي الملكية الخاصة، غير المستغِلة، وانما تترك لها قطاعا تعمل فيه وتنشط، شريطة ضمان عدم استغلاليتها. ولاسيما استغلال الأنسان، وشريطة بقائها ضمن خطط التنمية الأشتراكية في القطر المعني.. وبهذا تعطي عملية التحويل الاشتراكي للقطاع الخاص دورا محددا في عملية التنمية الأقتصادية. على أن هذا الدور يبقى خاضعا للتغيير من حيث الكم والنوع، على ضوء نمو التجربة الاشتراكية وابعاد خطة التنمية، وشريطة ان لا ينمو بالاتجاه الذي يحوله الى مركز استقطاب معاد للثورة وان لا يمارس دورا تخريبيا في الأقتصاد الأشتراكي[6].

ان تأكيد الحزب على الملكية الأشتراكية لوسائل الأنتاج لا يعني رفضه الكامل والمطلق لكل اشكال الملكية الخاصة، ففضلا عن تأكيده على دور النشاط الخاص في عملية التحويل الأشتراكي. فهو يقرر ان الملكية الشخصية غير المستغِلة للآخرين هي حق مشروع لكل ابناء الامة العربية، وان الدولة الاشتراكية التي يناضل الحزب من اجلها هي الضمان الأكيد لأقرار هذا الحق وصيانته لأنها تمنع الأستغلال وتعيد توزيع الثروة القوميه توزيعا عادلاً يكفل العيش الكريم لكل أبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد[7].

ان منطلق الحزب في هذا الموقف لا يهدف الى توفير المستلزمات المادية للتطبيق الأشتراكي حسب، بل يهدف ايضا الى توافر الشروط الأنسانية لهذا التطبيق، ذلك ان الاشتراكية، في نظرة الحزب، فلسفة متكاملة للحياة بكل عناصرها الرئيسة والفرعية وليست معالجات وحلولا اقتصادية[8].

هذا على صعيد الفكر، اما في مجال التطبيق، فان تجربة بناء الاشتراكية في القطر العراقي تستلهم فيه الواقع، وتستهدي بمعطياته، اخذة بالاعتبار امكانات التطبيق

---

(٦) الثورة العربية، العدد الخامس، السنة الثانية عشرة آيار ١٩٨٠، ص٣٨، الثورة العربية العدد ٨، آب ١٩٨٠، ص٣٢.

(٧) الثورة العربية، العدد الخامس السنة الثانية عشرة، آيار ١٩٨٠، ص٣٨.

(٨) الرفيق القائد صدام حسين، الملكية الخاصة ومسؤولية الدولة (كراس).

المتوافرة في هذا الواقع . وهذا سر علميتها وغناها ، فهي تبقى تضيف الى النظرية والفكر ما تمليه الممارسة ، فتغتني كل واحدة منهما بعطاء الاخرى . . وهذا ما يحقق صفة الخصوصية في اشتراكية البعث على صعيد التطبيق ايضا .

ان هدف الاشتراكية الاساسي هو الانسان ومن هنا ينطلق التطبيق الاشتراكي في العراق ، وما لم يوفر هذا التطبيق للانسان السعادة والخير ، فان ذلك يعني وجود الخلل ، ويستدعي المراجعة لايجاد السبيل الصحيح للوصول الى الهدف .

ومن هذا المنطلق ، فان قوانين الاشتراكية وخططها لا يمكن ان تكون ، في المنظور البعثي ، على هيئة احكام جاهزة ثابتة معزولة عن رؤ ية الواقع وتحسس مشاكله ، بل يتحتم ان تستلهم الاشتراكية في التطبيق حركة المجتمع ، وطبيعة ظروفه ، لتصوغ في ضوء ذلك قوانينها وخططها مراعية المراحل الزمنية المتعاقبة ، وعلى اساس من التجربة ، وما يترتب على ذلك من معطيات ونتائج .

كما تجدر الاشارة الى أن من السلبيات التي واجهتها التجارب الاشتراكية التي سبقتنا ، انها عانت من بروز ظاهرة البيروقراطية ، وتحولها الى حالة معيقة ومعطلة للبناء الاشتراكي ، من ذلك انها جعلت فئات البير وقراطيين تهيمن على حركة المجتمع وتمارس على الجماهير صيغا متعددة للاستغلال ، وتغلق الابواب امام الممارسات والعلاقات الديمقراطية .

لذلك فأن مواجهة ظاهرة البيروقراطية لا تتم الا بالتوكيد على تعميق الممارسة الديمقراطية ، عبر كل مراحل البناء الاشتراكي وفي عموم المجتمع . وهذا ما انتبهت اليه تجربة الحزب في القطر العراقي ، اذ اكد التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن على ضرورة تعميق العلائق والممارسات الديمقراطية في هذا المجال .

ومن هنا يجدر التنبه الى ضرورة محاربة البيروقراطية ودورها الاستغلالي والاضطهادي للجماهير في مرحلة بناء الاشتراكية .

ومن الضرورة بمكان ان نلاحظ ان هناك فرقا بين الخصوصية والانغلاق عن التراث الاشتراكي العالمي ، الذي كان يدعو الحزب دائما الى الانفتاح عليه والتفاعل معه ، والاغتناء منه واغنائه . فهذا التراث هو حصيلة لتطور الفكر الانساني عبر حقب طويلة من تاريخ الانسان بدأت منذ اقدم العصور ولا تزال تتطور لصالح الانسان وسعادته .

وفي سياقات التطبيق على الطريق الخاص، في القطر العراقي، تجيء النتائج والمعطيات، لتجعل من التجربة العملية مصداقا لاصالة نظرية البعث وصحة منطلقاته المبدئية.

وهكذا نخلص الى ان اهم خصائص اشتراكية البعث ترتبط ارتباطا وثيقا بنظريته القائمة على الترابط بين اهدافه، ثم بالطريق الخاص الذي سلكه التطبيق الاشتراكي في القطر في هدي هذه الاهداف، وما تبلور حول هذا التطبيق من آراء وافكار وملاحظات تندرج حول مقولة اقامة الاشتراكية في قطر عربي واحد.

ومن الواضح طبعا، ان منشأ هذه المقولة كان بعد قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي للدولة وللمجتمع في القطر العراقي في ١٧ تموز عام ١٩٦٨، أذ كان عليه أن يواجه انجاز سلسلة من المهمات المركزية يأتي في مقدمتها الشروع ببناء الاشتراكية، وفق منظور قومي شمولي يرتبط بأصل نظريته القومية الاشتراكية القائمة على اساس الترابط والتفاعل والتأثير المتبادل بين أهدافه. او بمعنى آخر بناء تجربة ثورية اشتراكية بافق قومي، تتلازم وتترابط فيه المهمات الوطنية والقومية.

ان ما تم انجازه، في القطر العراقي، على صعيد بناء المجتمع الاشتراكي، يمثل عملا كبيرا وصورة حية مشرقة يظلان رمزا لأصالة فكر الحزب وعبقرية قيادة الثورة التي صنعت هذه التجربة العملاقة ومازال ترعاها، بقيادة الرفيق القائد صدام حسين.

والسؤال الذي يرد هنا، هو اذا كان البعث يؤمن بان بناء الاشتراكية بمداها الواسع في أي من الاقطار العربية بمفرده، مع الالتقاء بحدود امكانات ذلك القطر، سيظل بناء قاصرا عن بلوغ غايته في المدى، فهل ينتظر اتساع الرقعة لكي يشرع بعد ذلك في بناء الاشتراكية؟

وهل ثمة من عوائق في سبيل تطبيق الاشتراكية في قطر عربي واحد تتأتى من خصيصة الترابط او من جراء التصور القومي لاقامة الاشتراكية؟

وهل تعني المعوقات التردد في الشروع بالبناء الاشتراكي حيثما توافرت الفرصة؟.

وهل يصح القول بعدم امكانية اقامة الاشتراكية في بلد عربي واحد، وانه، لكي تتحقق الاشتراكية، يجب ان تتحقق الوحدة؟.

هذه الاسئلة تجد اجوبتها في كراس (حول اقامة الاشتراكية في قطر عربي واحد) للرفيق القائد صدام حسين.

ونجد ملخص الاجوبة على هذا النحو:

انه من غير المعقول انتظار تحقيق الوحدة لكي يباشر الحزب، في القطر الذي يقود فيه السلطة، بالتطبيق الاشتراكي، بسبب الأوضاع العربية الراهنة التي تمعن في تجزئة الوطن العربي.

على ان التصور القومي للاشتراكية سيفرض حتما جملة شروط لابد من توافرها عند وضع مبادىء الحزب الاشتراكية في موضع التطبيق.

ان قومية الاشتراكية تفرض على الحزب الذي يقود السلطة في القطر المحرر التصميم على بناء تنمية اشتراكية قومية، تمتد آثارها الى الوطن العربي كله، والعمل على جعل الصناعة الاساسية ذات بعد قومي، والموازنة بين متطلبات التنمية ومتطلبات التحرير والوحدة.

ومن خلال اعتماد هذه المقولة سيكون الجواب مؤكدا على ان اقامة الاشتراكية ممكنة وضرورية، مع بقائها قاصرة عن اعطاء صورة الطموح التي يريدها الحزب في الوطن العربي الكبير. اذ لا تغطي كل الامكانات المادية التي يريد الحزب توافرها في قطر عربي واحد لبناء دولة عصرية مقتدرة ومتمكنة من العيش والاستقلالية الكاملة والشاملة في مجتمع التكتلات الدولية الكبيرة.

ومن هذا المنطلق، فقد سار الحزب في بناء الاشتراكية في القطر العراقي، وكان في اثناء ذلك مستمرا في نضاله على طريق الوحدة العربية.

اي ان الاجابة تتحدد بأنه بالامكان اقامة الاشتراكية في قطر عربي واحد يقود فيه حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة والمجتمع مع ابقاء راية النضال العربي مرفوعة، وعلى ان يبقى الكثير من حلقات النمو والتطور مفتوحا لاستقبال واستيعاب التطورات الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي على ان الاشتراكية في هذا الفهم، وبقيادة البعث، ليست بديلا عن الطموح الذي يسعى اليه الحزب في تحقيق الاشتراكية في كل ساحة الوطن العربي الكبير.

وان بناء الاشتراكية في قطر عربي واحد وفقا لهذا المنظور القومي هو التعبير العملي عن ايمان الحزب بترابط اهدافه، لان الاشتراكية بأفقها القومي ستكون عاملا انسانيا لتحقيق الوحدة العربية.

وعلى سبيل المثال، حول امكان بناء الاشتراكية في قطر عربي واحد يقود الحزب فيه السلطة، نجد ان بناءها في العراق لا يعني تصميم البناء فيه، كما لو ان العراق لا تربطه رابطة قومية ببقية الاقطار العربية، وانما الامر على الضد من ذلك، فبناء الصناعات الرئيسية في العراق يجرى في الوقت الذي يجري فيه العمل على اقامة مشاريع صناعية مشتركة بين العراق واقطار عربية اخرى. . كذلك نجد ان صناعات معينة تبنى في العراق تتوافر لها المواد الاولية فيه، في وقت ينسق فيه مع قطر آخر حول الصناعات التي لا تتوافر موادها الاولية في العراق. . ومن جانب اخر نجد ان تحقيق العدالة الاجتماعية والغاء الاستغلال في العراق ياخذان بنظر الاعتبار ظروف الاقطار العربية الاخرى في هذا الميدان.

اما عن ابقاء راية النضال العربي مرفوعة في هذا القطر، كشرط لصحة بناء الاشتراكية فيه، فيعني النضال لاقامة الوحدة بكل الوسائل، والتمهيد لها وانضاج ظروف قيامها، باقامة قوات مسلحة ذات اهداف ومهمات قومية، وبالاضطلاع بمسؤوليات التعاون الاقتصادي مع الاقطار العربية الاقل نموا عن طريق المساعدات وسواها، وبتخطيط الخدمات على اساس عربي على كل الاصعدة التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

هذا اذا كان القطر الذي تبنى فيه الاشتراكية بقيادة الحزب وتوجيهاته اما عن أمكان بناء الاشتراكية في اقطار لم يتسلم فيها الحزب السلطة بعد، وبمجرد توفر الارادة السياسية لبنائها، فانه يتضح من السياق استحالة بناء الاشتراكية بالاتجاه والطريق الصحيحين في هذه الأقطار لأن «فهمنا وبرنامجنا للتطبيق الاشتراكي وبناء دولة العرب المقتدرة يتجاوز مجرد رفض الاستغلال والغاء مجتمع الطبقات ولأن «سياستنا المركزية قائمة على التمسك بالاستقلال الكامل رافضة للقبول بالتأثيرات والتيارات السياسية والاقتصادية للدول بطريقة الاقتحام او التسلل الذي يؤدي الى حد القبول بالقوانين الاساسية العامة لدور الدول الكبرى وحساباتها في التبعية والنفوذ، ويضعف دورنا الانساني في التأثير في المجتمع الدولي وبناء الحضارة العربية الشامخة».



٤ـ الثــورة

تعني الثــورة عمليـة التغيـير الجـذري والشمـولي والحـاسم للاوضـاع السيـاسيـة والاقتصـاديـة والاجتـاعيـة والفكرية في قطر معين. ويأتي هذا التغيير من قوى شعبية خارج السلطة في ذلك القطر، وباساليب غير مقررة في دستور الدولة وقوانينها[1].

وكأمثلة على الثـورات التي شهـدهـا التاريخ، نذكر الثورة الفرنسية التي قامت عام ١٧٨٩، وثورة ١٤ تموز، التي فجرها الشعب العراقي عام ١٩٥٨، والتي انهت النظام الملكي، واعلنت قيـام الجمهـوريـة لاول مرة في العراق، وثورة ١٤ رمضان او ٨ شباط ١٩٦٣، التي فجرها حزب البعث العربي الاشتراكي، لينهي عهد الشعوبية، ويضع حداً للانحـراف. ويجتث مظـاهـر الفوضوية والارهاب التي احدثها المجرم عبدالكريم قاسم والشيوعيون والشعوبيون.

وتـقـف ثورة ١٧ـ٣٠ تموز عام ١٩٦٨، الـتي فجـرهـا حزب الـبـعـث العــربي الاشتراكي، والتي نعيش في ظل مكاسبها وفي اعراس انتصاراتها بقيادة الرفيق المناضل صدام حسين. . . . تقف هذه الثورة نموذجا فذا للثورات في التاريخ.

---

(١) وفي الادب السياسي، يفرق بشكـل واضـح، بين الثـورة وبـين قلب نظـام الحكم، أومـا يصطلح عليه (بـالانقـلاب). ويجـري التفـريق بينهما، على اساس ان الثورة تقوم بفعل قوى شعبية، في حين يقع الانقلاب بفعل بعض رجال الحكم. ثم انه يمكن ملاحظة أن الثورة تقوم بهدف تغيير اساسي في طبيعة النظام السياسي او الاجتماعي للقطر الذي تستهدف الثورة سلطته.

اما الانقلاب فيتركز هدفه في الغالب على اعادة توزيع مراكز السلطة السياسية بين رؤوس الانقلاب، او بين هيئات الحكم المختلفة التي كانت قائمة على السلطة.

ومن الضروري الانتباه الى ان الانقلاب أي قلب نظام الحكم شيء والانقلابية التي ترد في ادبيات الحزب شيء آخر تماما، فقـد كان الحـزب يصف فكـرتـه بالانقلابية وتنظيمه بالانقلاب. والانقلابية كما ترد في هذه الادبيـات تعني عمليـة بعث الـروح في المجتمـع من جديـد ومغـالبـة اهـواء النفس ونوازعها والعمل من اجل استعـادة قوة المجتمـع وبعث امكـانـاتـه، وصولا الى تحقيق مجتمع الوحدة والحرية والاشتراكية. من هنا فهي عمليـة التفـاعـل مع الـروح وفتـح آفـاق الفكر واحداث هزة في الاخلاق لتقويمها وهي عملية خلق المناضلين وامتحان النفس القوية المثالية المترفعة والمتعففة عن المصالح الشخصية. (الثورة العربية، العدد الاول، المجلد ٩، ١٩٧٧، ص٢٥).

ان الثــورة عمليــة تغيـير شامــل، لذا فهي تتطلب الــوعي العميق لمعنى التغيـير، والارادة الصــادقــة والتصميم على خلق المجتمــع الجـديـد، الـذي يلبي حاجـات الجماهير، ويحقق طموحها، كما تتطلب ايضا رغبة طموحه، في الغاء القيم المتخلفة في المجتمع، وتبديل طبيعة العلاقات التي تسوده بما يهيىء لميلاد المجتمع الجديد.

ولتحقيق ذلــك، يترتب على الثـورة، ان تستـوعب هذا الـواقـع، وتتعـرف على مشكـلاتـه الاساسية، وتشخص متطليات المرحلة وحاجاتها. لكي يتسنى لها عندئذ تحديـد اهـداف النضـال المرحلية والاساسية، في ضوء تراث الامة ومقومات شخصيتها وتقاليدها، ووفق متطلبات العصر وسياقات تطوره.

ومعنى ذلك ان عملية الثورة تنطوي بالضرورة على مجموعة عناصر تتحدد بالواقع الفاسد، الذي تهدف الثورة الى تغييره، وبالثوار الذين ينهضون بعملية التغيير هذه، ويتحملون مسؤوليـة بنـاء النظـام الجـديـد، ثم بمجمـوعة الافكار والمثل والقيم التي يستهـدي بها الثـوار في مسـيرتهم النضـالية، والتي تبشر بصورة المجتمع الذي يريدون صنعه في مستقبل عملهم الثوري.

ولان الثورة عملية متكاملة فان عناصرها هذه مترابطة متكاملة في فعلها وادوارها.

الثـورة عمليـة صنـع مجتمـع جديـد ومتقدم، ووضعه على طريق التطور الصحيح للانسانية، ومن ثم فهي ليست عملية سهلة ولا يسيرة، بل هي عملية غاية في الدقة، تحتــاج الى ارادة صلبـة وجهـود كبـيرة ومتـواصلة على أصعـدة التحضـير والاعـداد والتصدي والمواجهة، والى القوى التي تقوم بعملية الثورة وتحميها، ولا يمكن ان يتوافر كل ذلك قطعا دون وجود الحزب.

ان الثورة الحقيقية لابد لها من حزب ثوري قادر على توفير كل مستلزمات الاعداد لها، والتبشـير بمبـادئهـا، وتهيئـة اذهـان الجـماهـير لاستقبالها، ثم المشاركة الفاعلة في مســارهــا. ولابـد ان يكون هذا الحزب متمرسا باشكال النضال الثوري المختلفة، وان تكون له خططه المركزية والمرحلية الدقيقة ليكون مؤهلا لتحمل اعباء الثورة ومهماتها.

وهكـذا يكـون الحـزب عاملا رئيسا في احداث عملية تغيير الواقع، وصنع الثورة، وبنـاء المجتمـع المنشـود، فهو الذي يملك وسائل عملية التغيير واساليبها، عبر مختلف المـراحـل، وعلى كل الاصعـدة، من خلال حركـة تحكمهـا عوامـل موحدة من الفكر والتنظيم والنضال.

ولابـد لهذا الحـزب من تنظيم جيـد، ينسجم مع اهـدافـه ومبادئه، بحيث يستطيع النهـوض بالمهـمات المطـروحـة على ساحـة الثـورة، ويكون مؤهلا بشكل جيد لترجمة شعاراته واطروحاته في ميدان العمل والتطبيق.

وليس المقصـود بجـودة التنظيم ان يكـون التنظيم آليـاً بحيث يكون اعضاؤه بمثابة أدوات صغيرة في آلة عمل كبرى، بل المقصود ان يتوافر في هذا التنظيم، والى جانب الدقة والاحكام والالتزام، الحيوية والتفاعل والروابط الرفاقية المرنة الواعية، التي تشد بعضهم الى بعض برباط العمـل النضالي. . انه التنظيم القائم على الارادة والقناعة والوضوح والوعي والايمان، وعلى مجموعة الفضائل، التي تجعل من افراد التنظيم ثوارا حقيقيين قادرين وبكفاية على صنع التغيير.

فالحزب صورة للعمل الواعي المشترك لفعاليات المستويات المختلفة لتنظيماته، من انصـاره الى اعضـائـه، والى كوادره وقياداته، وهم يعملون وينشطون بحيوية وتفاعل كل حسب واجباته ومهماته، مبادئه وافكاره.

واذ يحتـل الفكـر هذه المكانة المهمة والاساسية في بناء الحزب الثوري وتطوره، على صعيـد النظـريـة وصعيـد النضـال، فان الثقافة تعد في مقدمة شروط تربية الشخصية الحزبية وتقويمها بوصفها اداة التغيير والعمل.

من هنا، فانه ينبغي للحزب ان يتوفر على برنامج من التثقيف، لمختلف مستويات تنظيـماتـه، ووفق خطـة شاملة، تضـع في اعتبـارهـا المهـمات الآنية والمستقبلية، لتوفير التـوعيـة بمتطلبـات النضـال في المـراحل المختلفة، وفي ضوء النظرية، التي يهتدي بها الحزب، ذلك ان التوعية الثورية هي مسألة اساسية لتلافي اي ضعف في الثقافة والوعي الثـوريـين، أو اي خلل في دواعي الانضبـاط ومستلزمـاتـه، واجتثـاث مظـاهر الغرور والانانية والانتهازية والامراض المحتملة الاخرى، التي تهدد الحزب والعمل الثوري كله.

ان مهمات النضال تستلزم الحضور الدائم لدليل العمل. ولاشك في ان القدرة على المقارعة والصمود والثبات، من غير وعي ثوري، لن تفعل فعلها المطلوب، ولن تكون ذات جدوى كبير، ولابد اذن من فكر يمدها بالفاعلية والتصويب والوضوح.

وهنـا ينبغي التـوكيـد على التـلاحم بين مسألتي الـوعي والممـارسـة، ووحدة الفكر والسلوك، واشتراط للتلازم الدائم بين الثقافة الثورية والنضال اليومي.

ان الممارسة النضالية رافد مهم من روافد اغناء الحركة الثورية واغناء الفكر والنظرية اليومي.

ان الحركة الثورية تسلك طريق التقوقع والانغلاق والضمور، حين تنعزل الممارسة فيها عن الافكار والمبادىء والمنطلقات. وتكون حقا قادرة على التطور ومواصلة العطاء في طريق العمل، متى ما توافرت لمبادئها ومنطلقاتها الالتحام والصلة بالواقع الموضوعي في الممارسات العملية.

ثم ان العمل الثوري، من غير مرشد اودليل نظري، سيكون، في احسن حالاته، دورانا في فراغ، او ضياعا في عمل يومي تغيب عنه فرص استشراف المستقبل، ان لم يقع في شراك الخطأ والمشكلات.

فلابد اذن من منطلقات فكرية اساسية ثابتة، تكوّن بمجموعها نظرية، يستهدي بها الحزب في مسيرته، فالخبرة العملية لا تعوض عن النظرية لانها غير قادرة على ضمان نجاح التجربة الثورية.

ومن هنا تكون النظرية بالنسبة للاحزاب الثورية بمثابة البوصلة التي ترشد الى طريق الصواب. وبدون هذه النظرية يتعذر على الحركة الثورية تحليل الواقع، وتحديد خطط النضال ووسائله، في حاضر العمل الثوري ومستقبله.

وهكذا لا نجد ثورة حقيقية، دون نظرية يستلهم منها الثوار ما يعينهم في مسيرة نضالهم، ويصوب خطاهم، ويمكنهم من فهم واقعهم وتحديد قضيتهم وطبيعة دورهم التاريخي.

ثم انه لابد ان تجمع بين الثوار اواصر من الافكار الموحدة والمشتركة، وروابط من السلوك المشترك، لكي يستطيعوا ان يسلكوا طريق التغيير والثورة، وبناء المجتمع الجديد، لذلك فانهم يظلون في حاجة دائمة وثابتة الى ان ينهلوا من معين الافكار والمبادىء والقيم، بما يسدد خطاهم في طريق النضال، ويمد سلوكهم بالوعي والبصيرة الثورية، ويرفد خططهم بالرؤ ية الواضحة.

ان استيعاب مشكلات وتعقيدات الواقع المحلي في ضوء علاقاته القومية، وفي سياق تطور الظروف الدولية، لتحديد التناقضات الاساسية وعواملها، وصولا الى اكتشاف القوانين الاساسية التي تحكم تطور هذا الواقع يستدعي بالتأكيد نظرية رصينة متكاملة تعين الحزب الثوري في اداء مهامه النضالية على طريق الثورة والتغيير.

ونخلص من هذا انه ليس هناك من ثورة بلا فكر واضح ونظرية متكاملة . . والى ان هذا الفكر وهذه النظرية محتاجان الى الانسان الثائر، الذي يجسد الفكر في ثورته، ثم ليس هنـاك من حزب بدون عمـل وممـارسـة، ومن ثم يكـون من الـواضـح ان النظرية الثورية والتنظيم الثوري والعمل والممارسة اوجه لحقيقة واحدة هي الحزب الثوري الذي تستلزم الثـورة وجـوده قطعـا ونظـرية رصينة متكاملة تعين الحزب الثوري في اداء مهامة النضالية على طريق الثورة.

ومن البـديهـة بمكان، ان الثورة ليست منظومة افكار مجردة، يحملها بعض المؤمنين بها من الثـوار، ذلـك ان مكـانها الطبيعي هو في اوساط الجماهير صاحبة المصلحة فيها، والقادرة وحدها على وضعها في مسارها السليم من الحركة الثورية.

واذا كان وجود الحزب الثوري مرهونا بوجود النظرية، فأن هذه الاخيرة تستلزم حتما وجـود اداة العمـل الـرئيسة وهي الجماهير، صاحبة الطاقات الثورية والشرط الاساسي للعمل الفاعل في الساحة السياسية.

ان قوة الحـزب مستمـدة، ولاشـك، من قوة الجـماهير، ومن ايمانها ومن تأييدها . . ومن ثم فالجماهير تمثل المحيط الملائم الذي يعيش فيه الحزب وينمو وينشط.

ولكي يجد الحزب مكانه الطبيعي للعمل في هذا المحيط، يتحتم عليه ان يحترم آراء الجـماهـير، ويستـوعب نقدها، ويعي ملاحظاتها . . وان لا يتعالى عليها، اويستصغر عفويتها وبساطتها، فهي مادة العملية الثورية.

ونجاح الحزب في هذه المهمة رهن بصدقه الحميم وتلقائية موقفه معها.

فالجـماهـير سر بقاء الحزب ونمائه وتطوره، وهي ينبوع الدماء الفتية المتجددة، الذي يرفده بالعطاء الدائم، فمن لبناتها يبني هيكله الشامخ، ومن بين صفوفها يأتي مناضلوه وكوادره وقادته . . وفي اعماق ارضها المعطاء تضرب جذوره القوية.

ان انتصـار الثـورة يستنـد الى قاعـدة الحـزب الجـماهـير يـة الواسعة، والى عطائها وعطفها وتضحياتها، فلا غرابة في ان تكون مكاسب الثورة وانتصاراتها للجماهير.



القسم الرابع

ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز





-١-

العراق قبل الثورة



اولاً: تمهيد:

منذ سقوط بغداد على يد هولاكو عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م)، دخل العراق عهداً مظلماً دام سبعة قرون متواصلة منها أربعة قرون تحت حكم العثمانيين، وأكثر من اربعين عاماً في ظل الهيمنة البريطانية (١٩١٤ - ١٩٥٨)، فقد خلالها مركزه الحضاري الاول في العالم وخضع لحكم الاجنبي، وتدهورت اوضاعه الاقتصادية، وانحطت حالته الاجتماعية، وتفشي فيه الفقر والجهل والمرض، وانتشرت بين سكانه البطالة، ودخل المجتمع بوجه عام مرحلة من السبات الحضاري، لم يفق منها الى بعد سقوط الدولة العثمانية.

بعد سقوط الدولة العثمانية بدأ العراق مسيرته التحررية الجديدة، بالنضال ضد السلطة البريطانية، وضد الانظمة العميلة التي اقامتها لتساعدها على حكم العراقيين. وعبر عشرات السنين خاض الشعب العراقي، بكل فئاته وقواه الوطنية والقومية، نضالاً شاقاً ودامياً قدم خلاله التضحيات الكبيرة وقاسى أشد المحن حتى توج نضاله بأنتصار ثورة ١٧ - ٣٠ تموز التي وضعت حداً لكل مظاهر التبعية والتخلف والاستغلال والفقر والمرض.

وفي هذه الصفحات، نستعرض طبيعة الانظمة السياسية التي حكمت العراق في تاريخه المعاصر، بدءاً من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٦ وحتى قيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨، وما رافقها من انظمة اقتصادية واجتماعية، تعكس الاساس الموضوعي لتلك الانظمة والتيارات الفكرية التي قادتها.

الاحتلال البريطاني للعراق:

مع اندلاع الحرب العالمية الاولى، بدأت بريطانيا حملتها المعروفة لأحتلال العراق، وبدأت قواتها بأحتلال منطقة الفاو في تشرين الثاني ١٩١٤، ثم احتلت البصرة، واتجهت شمالاً نحو بغداد. ومع اعلان الهدنة في تشرين الثاني ١٩١٨، كانت قد اتمت احتلال العراق بأكمله، فأخضعته لحكمها المباشر، وعملت على الفور على تكريس احتلالها له وتأمين متطلبات هذا الاحتلال، اذ وثقت علاقاتها مع بعض شيوخ العشائر، وأغدقت عليهم الاموال والاسلحة ومكنتهم من الانتفاع من

الاراضي الاميرية واعفتهم من الضرائب، لضمان تعاونهم معها، وأسندت الوظائف الادارية المهمة للموظفين الانكليز، وقد بلغ عدد موظفي الدرجة الاولى ٥٤١ موظفاً عام ١٩٢٠، ٥٠٧ منهم من البريطانيين و٧ من الهنود و٣٠ من العراقيين، كما قامت السلطات البريطانية بوضع نظام مالي متين يؤمن جباية الموارد اللازمة للاحتلال من ابناء الشعب العراقي.

ومارس البريطانيون سياسة قمعية ضد الشعب العراقي وحرموه من المشاركة بالسلطة، فأنتفض يقاوم الاحتلال البريطاني ويقاتله بمختلف الصور، وشيئاً فشيئاً تنامي الرفض الشعبي حتى بلغ ذروته بثورة العراقيين الكبرى ثورة العشرين ـ التي الحقت بالقوات البريطانية في عموم العراق، خسائر بشرية ومادية كبيرة، وهددت نفوذهم بالانحسار عن العراق، الامر الذي دفع الحكومة البريطانية الى التفكير بصيغة جديدة لأجهاض الثورة واحتواء تطلعات العراقيين الى الاستقلال الحقيقي والتحرر، فأعلنت السلطات البريطانية موافقتها على اقامة الحكم الاهلي في العراق.

قيام الحكم الاهلي في العراق:

تشكلت اول حكومة عراقية مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني وثمانية وزراء يشغلون وزارات وأثنا عشر وزيراً بلا وزارة، وأجتمع مجلس الوزراء لاول مرة في ٢ تشرين الثاني عام ١٩٢٠.

وكانت السلطة الفعلية بيد «المندوب السامي» البريطاني وهو اسم لمنصب ممثل حكومة بريطانيا في العراق، كما كان لكل وزارة ولكل دائرة مهمة مفتش بريطاني هو صاحب السلطة الحقيقية وليس للعراق الا تنفيذ تعليمات المفتش البريطاني.

ولم تستطيع الحكومة المؤقتة ان تحقق شيئاً من المطالب الاساسية، كتأليف المجلس التأسيسي، وتشريع الدستور، وقانون الانتخابات النيابية وتأليف الجيش الوطني.

وفي آب ١٩٢١ توج فيصل الاول ملكاً على العراق. وفي حفلة التتويج كان يجلس على يمينه المندوب السامي وعلى شماله القائد العام للجيش البريطاني في العراق. وفي هذه الحفلة قرأ سكرتير مجلس الوزراء بلاغاً جاء فيه «ان مجلس

الوزراء كان قد اقترح في ١١ تموز المناداة بالامير فيصل ملكاً على العراق، على ان تكون حكومة سموه دستورية نيابية وديمقراطية مقيدة بالقانون . . . وأن حكومة جلالة ملكة بريطانية قد اعترفت بجلالته ملكاً على العراق.

وبعد التتويج تشكلت لجنة لأعداد لائحة الدستور العراقي، تتألف من اربعة اعضاء، اثنان من العراقيين هما السويدي وزير الدولة وساسون حسقيل (يهودي) وزير المالية، ومستشاران بريطانيان هما داور ودافيدس، ثم تم تصديق الدستور من قبل الملك، وسمي بالقانون الاساسي للعراق. وقد منح الدستور للملك صلاحيات واسعة منها حق اختيار رئيس الوزراء، والتصديق على قرارات مجلس الوزراء، وتعيين اعضاء مجلس الاعيان، وأقالة الوزارة، وتعديل الدستور، بالاضافة الى كونه رئيس الدولة والقائد العام للقوات المسلحة، وهو الذي يوعز بأجراء الانتخابات، ويدعو البرلمان للانعقاد ويفتتح اجتماعاته أو يؤجلها.

النظام السياسي للعهد الملكي:

يتكون النظام السياسي الملكي من الملك ومجلس الوزراء والبرلمان (ويضم البرلمان مجلسي النواب والاعيان). وللملك رغم وجود دستور يحدد طبيعة النظام بأنه نظام برلماني ديمقراطي، سلطات واسعة تمنحه سلطة شبه مطلقة، اما مجلس الوزراء بصفته السلطة التنفيذية فغالباً ما كان يخضع لسلطة الملك، وتدعى الوزارة عادة الى الاستقالة دون أن تفقد ثقة البرلمان بها . . . وكان البرلمان يتكون من مجلس الاعيان، وغالبية اعضائه من شيوخ العشائر والاقطاعيين وكبار الملاك والتجار، ويعينون من قبل الملك. اما مجلس النواب فكان يتم انتخاب اعضائه تحت تدخل اجهزة السلطة وتأثيرها على سير الانتخابات لضمان فوز مؤيديها، وفي كل هذه العمليات الدستورية كان للانكليز التأثير الاول ورغم الجهود التي بذلها الملك فيصل الاول، لتعزيز سلطته في مواجهة الانكليز، لم يفلح في ذلك كما ان ابنه الملك غازي لم يبق في السلطة طويلاً، اذ سرعان ما توفي اثر حادث في ظرف غامض، اما الوصي على العرش الامير عبد الأله فكان اداة طيعة تماماً بيد الانكليز وظل معهم ضد الشعب حتى قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

لقد تميز النظام السياسي العراقي، خلال العهد الملكي، بتبعيته للحكومة البريطانية. وكانت السلطات البريطانية قد فرضت على المجلس التأسيسي العراقي

ـمديق على معاهـدة عام ١٩٢٤ التي تضمنت سيطـرة الضباط البريطانيين على جيش العـراقي، وعلى الشؤون الادارية للدولـة، وتحمـل العراق اعباء مالية كبيرة كمـا فرضت عليـه معاهـدات ١٩٢٦ و١٩٢٧ ومعـاهـدة ١٩٣٠، ومنحت الاخيـرة بريطانيا القواعد العسكرية والتسهيلات المختلفة.

امـا السلطـة التشريعية فكانت تتركز بيد البرلمان من الناحية الدستورية الشكلية. امـا عمليـاً فلم تكن الانتخابات تجري بشكل طبيعي، فقد مورست خلالها مختلف الانتهـاكـات سواء من ناحيـة التـزويـر أو التـدخـل، فكثيـراً ما كانت تكسـر صناديق الانتخابات وتغير الاوراق الموجودة فيها بأوراق تؤيد السلطة. وغالباً ما تلجأ الحكومة الى حل البـرلمـان وأقامة انتخابات جديدة للتخلص من بعض شخصيات المعارضة التي كانت تصل اليه رغم التزوير والتأثير.

وبسبب هذه التـركيبـة في طبيعـة النظام السياسي الملكي فقد اتسم الوضع العام في العـراق خلال تلك الحقبـة بعـدم الاستقـرار وحـل الوزارات وتشكيلها لأعتبارات ليست دستـوريـة، بل لظـروف النظـام السيـاسيـة، وتحت تأثيـر تدخلات المندوب السـامي البـريطاني. ويلاحظ في هذا الصدد، انه خلال الفترة ١٩٢٠ الى ١٩٥٨، الفت، ٥٩ وزارة اشتـرك فيهـا ١٧٥ وزيـراً، وأعلنت الاحكام العرفية في البلاد ست عشـرة مرة، وبطبيعـة الحـال فأن مجلس الـوزراء والبرلمان في مثل هذه الحالات لم يكـونـا سوى مؤسسـات شكليـة لأضفـاء صفـة ديمقراطية برلمانية على نظام جوهره استبدادي معاد للشعب.

النظام الاقتصادي للعهد الملكي:

تعكس طبيعـة النظـام السيـاسي للعهـد الملكي الاسس الاقتصادية والاجتماعية التي يرتكـز عليهـا النظـام المذكور، والى حد كبير لم يكن في العراق نظام اقتصادي واضح ومتبلور فليس هو بنظام تتداخل فيه الطبيعة الرأسمالية الطفيلية، ويعود سبب هذا الـوضـع الى ان البنية الاقتصادية والاجتماعية للنظام الملكي لم تنم نمواً طبيعياً بحيث تعبر مكـونـات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية عن نفسها في انظمة وتقاليد وأجراءات. لقد كان العراق تابعاً للدولة العثمانية وقد تميزت سياسة الدولة العثمانية

بسلب ثروات المناطق التابعة لها على شكل ضرائب وجبايات، ولقد ادى ذلك الى استنزاف رأس المال الوطني، وضعف تراكمه وتباطئه، وما يترتب على ذلك من انخفاض مستوى الدخل وضعف القدرة الشرائية، ومن ثم جمود النشاط الاقتصادي. ولم يتغير الحال كثيراً في العهد الملكي، وفي ظل الانتداب البريطاني والنفوذ البريطاني، اما التطور النسبي الذي حصل في مرافق الدولة، فقد كان تطوراً مشوها اضر بالاقتصاد الوطني وبالطبقات الاجتماعية، ولم يستفيد منه سوى طبقة تمثل اقلية صغيرة قياساً الى المجتمع، هي طبقة الاقطاع والتجار الكبار وملاك الاراضي والهيئات الحاكمة والموظفين الكبار.

فعلى صعيد الاقتصاد الوطني، ادت السياسة البريطانية الى ربط اقتصاد العراق بالسوق الرأسمالية العالمية من خلال عدة قنوات اهمها:

(١) السيطرة على الثروة الوطنية الرئيسية للعراق وهي النفط، من حيث الانتاج والنقل والتسويق والتسعير. وكانت حصة الدولة من عوائد النفط محدودة جداً، اذ ظلت تتقاضى بين (٤ - ٦) بنسات عن البرميل الواحد من النفط حتى عام ١٩٥٢، حتى طبقت اتفاقية مناصفة الارباح بين الحكومة العراقية وشركات النفط. ورغم ذلك كانت الشركات النفطية الاحتكارية تتلاعب بالحسابات، وتبالغ في المصاريف والتكاليف، لكي تقلص من حصة العراق من عوائد النفط.

(٢) ومع السيطرة على الثروة النفطية، كانت السياسات البريطانية، في ميدان الصناعة والزراعة والتجارة تتركز على اهمال الصناعة الوطنية وتعريضها لمنافسة المنتجات الصناعية المستوردة، وتقديم التسهيلات الائتمانية للتجار، لتشجيعهم على الاستيراد وأهمال الزراعة، وقد ادى كل ذلك الى تحول العراق الى سوق للمنتجات البريطانية والغربية من جهة، والى مصدر لتجهيز الغرب الرأسمالي بالنفط الخام والمنتجات الاولية الاخرى اللازمة، من جهة ثانية.

آ - وعلى صعيد القطاعات الاقتصادية، اسفرت سياسات الحكم الملكي عن تكريس النظام الاقطاعي في الريف، ونمو قطاع صناعي صغير وأستهلاكي في المدن، الى جانب ازدهار النشاط التجاري مع وجود تشريعات وقرارات تنظم العلاقات الانتاجية في المجتمع لصالح طبقة الاقطاع والرأسماليين والتجار.

ومن جانب آخر كانت العلاقات الانتاجية في الصناعة تنكر على الطبقة

العاملة حقها في الاضراب وفي تأسيس النقابات وفي حماية حقوقها في الاجر العادل ويوم العمل العادل. ورغم سماح الحكومات في العهد الملكي بقيام بعض النقابات الا أن الاجهزة القمعية كانت تضايق هذه النقابات وتحلها، حين تجد في ممارستها لدورها النقابي أو السياسي، ما يتعارض وسياسة الحكومة.

ب - وسادت في الريف العراقي العلاقات الاقطاعية وشبه الرأسمالية كتعبير عن طبيعة النظام السياسي الملكي.

ان الواقع الذي تعبر عنه هذه الحالة هي خضوع الفلاحين خضوعاً مطلقاً لسلطة الاقطاع الذي يتحكم بمساحة الارض المزروعة ونوع المحصول الذي تزرع به وحصة الفلاح وعائلته، بالاضافة الى تحكمه بمختلف الجوانب الاجتماعية لحياة الفلاح كتعليم الاولاد وزواجهم وغير ذلك مما كان يتيح له الابقاء على الجهل والتخلف والعزلة الاجتماعية والسياسية للريف وأذكاء النعرات العشائرية والطائفية كعوامل تساعد على استمرار تحكمه وسيطرته.

وفي المقابل، كان النظام الملكي يتعمد الابقاء على هذه الظواهر، وعدم القيام بأي توجيه للنشاط الاقتصادي والثقافي، مكتفياً بالتأييد السياسي للاقطاعيين الذين كانوا يمثلون نسبة كبيرة الاصوات لمجلس النواب والاعيان.

ج - على ان الجدير بالذكر. ان النظام الاقطاعي في العهد الملكي كان وليد سياسات الدولة العثمانية في اواخر عهدها. وتكريسها نهائياً بدخول المحتلين البريطانيين للعراق خلال الحرب العالمية الاولى ذلك ان مشكلة الملكية الزراعية لم تكن قائمة في العراق. فالاراضي الزراعية اساساً تعتبر ملكاً عاماً للدولة، فمن بين مجموع الاراضي الصالحة للزراعة والمملوكة بشكل أو بأخر تبلغ مساحة الاراضي الاميرية (اراضي الدولة) **٩٧/٨** بالمئة أي اكثر من **٣١** مليون دونم، من مجموع مايزيد قليلاً عن **٣٢** مليون دونم، في حين لاتتجاوز اراضي الاوقاف **١/٢٧** بالمئة أو أقل من نصف مليون دونم. اما الاراضي المملوكة ملكاً صرفاً فهي اقل من ١ بالمئة، اي حوالي ربع مليون دونم، وهذا يعني أن اراضي العراق الزراعية هي ملك عام للدولة، وقد خول الافراد بأستغلالها بطرق متعددة، منها التفويض بالطابو أو المنح باللزمة.

وعند مجيء البريطانيين استخدموا مسألة الارض لكسب ولاء رؤ ساء العشائر والشيوخ، فشرعوا عدداً من القوانين، ترتب عليها تسجيل الارض بأسماء رؤ ساء العشائر والشيوخ، مما ادى الى قلة اهتمام الفلاح بالارض وأزدياد الظلم الواقع عليه.

د ـ وبسبب هذه التشريعات، نشأ واقع جديد يتميز بسوء توزيع الارض الزراعية المملوكة في العراق، فمن جهة يسيطر الاقطاعيون على معظم الارض الزراعية الجيدة في حين لايمتلك الا عدد قليل من الفلاحين الفقراء مساحات محدودة من الارض اما غالبيتهم فيعملون كأجراء لدى الاقطاعيين.

وتوضح الارقام التالية حجم سوء توزيع ملكية الارض الزراعية في العراق، حيث يلاحظ ان ٢٧/٥ بالمئة من الملاك يمتلكون نحو ٨٦/٧ بالمئة من مجموع مساحة الاراضي الزراعية وأن ٧٢ بالمئة من الملاك لاتتجاوز ملكياتهم ١٣/٣ بالمئة من مجموع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة اما اذا اخذت الاراضي المزروعة فعلا كل عام والبالغة ٢٣ مليون دونم، فأن سوء التوزيع سيكون اكثر حدة حيث يحوز ٢ بالمئة من الملاك (الاقطاعيين) على ٦٨ بالمئة من المساحة الكلية التي تزرع فعلاً بينما لاتتجاوز ملكية نحو ٩٨ بالمئة من الملاك (الفلاحين الفقراء) نسبة ٣٢ بالمئة من المساحة الكلية المزروعة. . وتكشف هذه الارقام عن الحجم الكبير للاقطاع في العراق وهيمنته على الريف وسيادة علاقات الاستغلال والاستعباد كما تكشف عن حجم البؤس المدقع الذي كان يعيشه قطاع واسع من سكان العراق.

هـ ـ اما على صعيد العلاقات الانتاجية الاقطاعية فأن قانون حقوق وواجبات الزراع لسنة ١٩٣٣ قد كرس العلاقات الاقطاعية وتبعية الفلاح للاقطاعي، فبموجب هذا القانون يتحتم على الفلاح عدم ترك الارض الا بعد تسديد ماعليه من ديون، وهو امر يكاد يكون مستحيلاً من الناحية العملية، حيث دأب الملاكون والمرابون على المبالغة بتقدير ديونهم بصورة يعجز معها الفلاح عن التسديد. والنتيجة الطبيعية لسوء الاوضاع التي يعيشها الفلاح في ظل سيطرة الاقطاع هو تدهور الانتاج الزراعي وتخلف اساليبه ووسائله، وأتساع الهجرة من الريف الى المدينة هرباً من ظلم الاقطاع وتعسفه، وتشير الاحصاءات الى ان

معــدل الهجـرة السنـويـة من الـريف الى المـدن قبـل عام ١٩٤٧ بلغ ٢٥ الف شخص ارتفع الى ٤٥ الف خلال السنوات التي سبقت عام ١٩٥٨ .

و ـ اسهمت التجـارة بتعـزيز تبعية الاقتصاد العراقي للاقتصاد البريطاني والسوق الرأسمالية العالمية ، فمن الناحية العملية كان النفوذ البريطاني في العراق يسخر قطـاع النفـط ومجمـل النشـاط الاقتصادي العراقي لخدمة المصالح البريطانية ، ولعبت شركـات النفـط الاحتكـارية وأرتباط النقد العراقي بالمنطقة الاسترلينية ، وهيمنـة الـرأسمـال البـريطـاني على النظـام المصرفي العراقي دوراً في تكريس التجـارة العـراقيـة مع بريطـانيـا والـدول الغربية حيث كان يساوي ٥٠ بالمئة من استيـرادات العـراق يتم مع بريطـانيـا وامـريكـا وكندا و ٤٥ بالمئة من الصادرات النفطية يذهب الى المجموعة نفسها .

وبسبب ضعف الصنـاعـة وتخلف الـزراعـة اصبح الميزان التجاري العراقي يعاني من عجز متزايد ، كان يمول عن طريق عوائد النفط مما زاد من حدة اختلال التـركيب الهيكلي للاقتصـــاد العـــراقي ، وبـالاضـافـة الى ذلـك كانت معظم الاستيـرادات تتكـون من السلع الاستهلاكية بالدرجة الاولى بينما لاتشكل سلع الانتـاج الا نسبـة ضئيلة ، ولم تكن حركة الاستيراد والتصدير تخضع لأية خطة أو تنظيم . والحصيلة النهـائيـة لهذه السياسات هي انخفاض الدخل القومي ومعدل دخـل الفـرد ، اذ بلـــغ الـدخل القومي ٢٤٥/٣ مليون دينار عام ١٩٥٣ أرتفع الى ٣٧٨/٧ مليـون ١٩٥٨ مقـابـل معدل لدخل الفرد السنوي بلغ ٤٢/٢ دينار عام ١٩٥٣ أرتفع الى ٥٩/٠ ديناراً عام ١٩٥٨ .

ز ـ امـا الاوضـاع الاجتمـاعيـة الاخـرى ، فقـد كانت حالـة سيئة للغاية وخاصة بالنسبـة للتعليم الـذي لم يكن يستوعب الا نسبة محدودة من المواطنين في سن التعليم مما ترتب عليه استمرار حالة الامية وتزايدها على نطاق واسع في القطر . وكـانت خدمـات الصحة محدودة أو شبه معدومة في المناطق الريفية ، اما المرأة فكـان ينظـر اليها نظرة دونية ، وكانت مشاركتها في الحياة العامة محدودة ، يقبعن في بيوتهن كربات بيوت ، اما البطالة فكانت متفشية بشكل كبير .

وأزاء هذا التـدهـور في اوضـاع القطـر لم يكن الشعب العراقي ليقبل بذلك . لقد رفض الاحتـلال البـريطـاني ، وقاومه بقوة . فمنذ ان اعلن فرض الانتداب البريطاني

على العـراق في آذار ١٩٢٠ ، انتفض الشعب العـراقي بعـد اشهـر في حزيـران وقام بثـورتـه العـارمـة ثورة العشـرين، التي الحقت الخسـائـر الكبيـرة بقـوات الاحتـلال البـريطـاني ولـم تخمد، الا بأستجابة بريطانيا لتأسيس اول حكومة عراقية، وفي اطار مقـاومـة الشعب العـراقي لمحـاولات بريطانيا فرض المعاهدات الجائرة والسياسات الاستغـلاليـة، نمت الحركة الوطنية وتأسست الاحزاب وكانت تقاوم السلطة الملكية والنفوذ البريطاني بوسائلها المختلفة وحسب درجة النضج السياسي وقوة المعارضة الوطنية.

وهكـذا كانت الانتفاضات والاضرابات والمصادمات المسلحة مع اجهزة السلطة سمة شبه ثابتة خلال العهد الملكي. وفي عام ١٩٤١ قامت ثورة مايس ضد القوات البـريطـانيـة في محاولة لتحرير العراق نهائياً من النفوذ البريطاني وأقامة حكم وطني، وقـامت وثبـة كانون في عام ١٩٤٨. وفي عام ١٩٥٢ قامت انتفاضة تشرين. وعمت البـلاد عام ١٩٥٦ موجـة شاملة من الاضـرابات والتظاهرات انتصاراً للشعب العربي في مصر ضد العدوان الثلاثي، ثم تشكلت جبهة الاتحاد الوطني وقام تنظيم الضباط الاحرار وتوج نضال الشعب العراقي بقيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

ثانياً: ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ :

استقبـل العـراقيون ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بحماس عظيم وتأييد مطلق. فقد كانت اعـلانـا تاريخيـاً لسقـوط النظـام الملكي بكل مايمثله من نفوذ استعماري بريطاني. ونهب لثروات العراق وتخلف لأقتصاده الوطني واستعباد لطبقاته الفقيرة. كان الشعب ينتظر من الثورة الكثير، ولا عجب في ذلك فهي الثورة التي كانت ثمرة نضال شعب العراق العظيم طيلة اربعين عاماً ضد النظام الملكي والنفوذ البريطاني.

منجزات ثورة تموز ١٩٥٨ :

في المجال السياسي:

حققت الثورة عدداً من المنجزات المهمة في مقدمتها:

(١) الغـاء الملكيـة وأقامة الجمهورية. والحقيقة أن مطالبة الشعب العراقي بالنظام

الجمهوري لم تكن وليدة ثورة ١٤ تموز وحدها، وأنما كانت فكرة قديمة، ارتفعت اصوات الشعب العراقي خلال سني الانتداب الاولى مطالبة بأقامة الجمهورية، وأكدت رسائل الانكليز ومذكراتهم خلال تلك الفترة هذه الحقيقة، فذكرت «المس بيل» في رسالة في ٣٠ تموز ١٩٢١ أن «رسائل تتوارد الينا تفيد بأن قبائل الفرات الادنى يحررون العرائض المسهبة يطلبون فيها الحكم الجمهوري وذكر «فيلي» في كتابه «ايام فيلي في العراق» ان الشعور العام في العراق كان يومذاك ميالاً بصورة جازمة الى الجمهورية وضد الملكية. وخلال ثورة مايس ١٩٤١ دعا بعض رجال الحركة الوطنية الى اعلان الجمهورية مستفيدين من هروب الوصي على العرش عبد الاله ونوري السعيد، وخلال وثبة كانون ١٩٤٨ هتف المتظاهرون بأسم الجمهورية وطالبوا بأسقاط النظام الملكي. وفي انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ التي قمعت بعنف شرس، نودي بأسقاط الملكية واعلان الجمهورية، واخيراً، تبنى الضباط الاحرار مبدأ الجمهورية وأعلنوها بنجاح الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨.

(٢) الغاء القانون الاساسي العراقي، الذي وضع بدون موافقة الشعب، وعبر عن مصالح الاقطاع وكبار التجار، وجسد قيود معاهدة ١٩٢٢ وصك الانتداب. وقد تم اعلان الدستور المؤقت في ٢٧ تموز ١٩٥٨ وجاء في ديباجته: تعلمون ان ماسمي بالقانون الاساسي العراقي، قد وضع في عهد الانتداب وفي ظل الارهاب وجاء مخالفاً في اسسه للنظام الديمقراطي الصحيح ولمطالب الثورة العراقية الاولى عام ١٩٢٠.

(٣) الانسحاب من حلف بغداد الذي كان قاعدة للنفوذ الامريكي - البريطاني في المنطقة وسندا للانظمة العميلة ضد شعوبها.

(٤) اطلاق سراح المعتقلين السياسيين وأعادة الضباط المفصولين الى الخدمة وأعادة الاعتبار لثورة مايس ١٩٤١.

(٥) اجازة الاحزاب السياسية وأصدار قانون الجمعيات رقم ١ لسنة ١٩٦٠.

(٦) الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، وأعادة العلاقات الدبلوسية مع الاتحاد السوفيتي، والاعتراف بالصين الشعبية، وأقامة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاشتراكية.

(٧) وفي السياسة الخارجية اشادت الثورة في بيانها الاول بمقررات مؤتمر باندونغ ورفضت سياسة الاحلاف والانحياز الى احد المعسكرين.

في المجال الاقتصادي:

(١) كانت المهمة الرئيسة التي تواجه ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ هي تحقيق الاستقلال الاقتصادي لتعزيز الاستقلال السياسي والشروع بتنمية القطاع الوطني والقضاء على العلاقات الانتاجية الاستغلالية.

ففي المجال الصناعي، قامت الثورة بعقد الاتفاقية العراقية السوفيتية في آذار ١٩٥٩ لاقامة نحو ٢٥ مشروعاً صناعياً وزراعياً واعداد العمال الماهرين، والفنيين العراقيين لتشغيلها، وكان من المقرر أن يؤدي تنفيذ الاتفاقية في موعدها المحدد الى نمو القطاع الصناعي بشكل ملحوظ الا أن التنفيذ وتحويل مشروعات الاتفاقية من خطة لأخرى، بالاضافة الى عدم جدية الحكومات وعدم ايمان بعض العناصر العاملة في اجهزة الدولة بها ادى الى عدم تنفيذ الجزء الاكبر منها الا بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨.

(٢) اعتمدت الثورة مبدأ التخطيط الاقتصادي لأول مرة وصدرت اول خطة بالقانون رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ وللسنوات ٥٩ ـ ١٩٦١ وسميت بالخطة الاقتصادية المؤقتة. وفي تشرين الاول سنة ١٩٦١ صدرت الخطة الاقتصادية التفصيلية للسنوات ٦١ ـ ٦٥ بالقانون رقم ٦١، ولكن هذه الخطط كانت تعاني من نواقص كثيرة جعلت نتائجها التطبيقية محدودة جداً، ولم تؤثر في احداث تغيير جدي في واقع الاقتصاد الوطني. بالاضافة الى ان تخصيصات الخطتين كانت محدودة، وخاصة بالنسبة للصناعة، اذ بلغت ٣٨/٣ مليونا و ١٢١/٧ مليونا. واذا عرفنا ان نسبة التنفيذ كانت ٣٥/٩ بالمئة تبينا مدى محدودية نتائج هذه الخطط.

(٣) وفي الزراعة صدر قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٨، الذي نص على الاستيلاء على اراضي الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين. ولكن هذا القانون كان فيه نقص كبير قلل من آثاره التطبيقية، فالقانون وضع حداً اعلى للملكية الزراعية المسموح بها للاقطاعي بلغت (٢٠٠٠) دونم في الأراضي

الـديميـة و(١٠٠٠) دونم في الاراضي المـرويـة، وحـددبمدة عشـر سنـوات للاستيـلاء على مايـزيـد على الحـد الاعلى للملكيـة، وأقـر تعـويض صاحب الارض عمـا تم الاستيـلاء عليـه من أرضـه ومنـح الاقطاعي حق اختيار الارض المسموح له الاحتفاظ بها، وكان هذا يختار عادة افضل الاراضي. والاهم من كل ذلـك ان فاعليـة أي قانـون للاصـلاح الزراعي تتقرر بمدى جدية الاستيلاء والتوزيع وهذه العمليات تأخرت فبين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨ لم يتم الاستيلاء الا على ٥٨ بالمئـة من الاراضي الـواجب الاستيـلاء عليها. ولم يوزع الا ٢٥ بالمئة من الاراضي المستولى عليها، وأزاء فرض بدل نقدي مرتفع على الفلاح مقابل الارض.

ومـع غيـاب الجمعيـات التعـاونيـة الجادة ادت نتائج الاصلاح الزراعي الى تفتيت الملكية وتدهور الانتاج واستمرار هجرة الفلاح الى المدينة

(٣) أما في التجارة فقد تغيرت اتجاهات التجارة الخارجية نسبياً لصالح التعامل مع الـدول الاشتـراكية ولصالح رجحان كفة السلع الانتاجية المستوردة. اما التجارة الـداخليـة فقـد ظلت خاضعة لهيمنة القطاع الخاص، ورغم اجراءات تشجيع القطاع العام في التجارة لم يتوجه التركيب البيروقراطي والبرجوازي الذي رسم تلك الحقبـة جديـاً لتـدعيم القطاع العام. ولذلك فأن اختلال الميزان التجاري ظل سائداً، وكان يمول عجزه عن طريق عوائد النفط.

فك ارتباط العراق بالمنطقة الاسترلينية:

ارتبـط العـراق بالنظـام النقـدي الانكليـزي بمـوجب القانون رقم ٤٤ لسنة ٣١. وبموجب هذا النظام كانت بريطانيا تتولى دور الوسيط في التحويل بين العراق والدول الاخـرى، وتقـوم بأستثمـار غطـاء العملة العـراقيـة في بريطانيا. وبعد مباحثات بين الحكـومـة العـراقيـة والحكـومة البريطانية تم الاتفاق على خروج العراق من المنطقة الاسترلينية واستقلاله نقدياً وكان من نتائج ذلك:

(١) تخلص النقد العراقي من تقلبات النقد البريطاني التي تحددها المصلحة البريطانية.

(٢) ابعاد العراق عن مشاكل التضخم البريطاني.
(٣) التحرر من سيطرة بريطانيا على تطور الاقتصاد العراقي.

انحراف الثورة:

ايدت كافة الاحزاب السياسية ثورة ١٤ تموز، ولكن حالة الوحدة الوطنية لم تستمر طويلاً، اذ سرعان ما انحرف عبد الكريم قاسم نحو الديكتاتورية والفردية وأستأثر بالسلطة، ورفض اقامة المؤسسات الدستورية، ومؤسسات القيادة الجماعية، كمجلس قيادة الثورة مثلاً.. وقام بتصفية اكثر المشاركين في الثورة وأبعد الباقين عن المواقع المهمة التي يحتلونها، وكان الحزب الشيوعي العراقي اكثر من شجعه على ذلك، محاولاً الاستئثار برضا عبدالكريم قاسم تمهيداً للوثوب الى السلطة، بعد عزل القوى السياسية الأخرى، وكان من ابرز مواقف الحزب الشيوعي التي ادت الى تمزيق وحدة الحركة الوطنية العراقية موقفه المعادي للوحدة العربية ورفعه شعارات بديلة للوحدة ففي ١٨ تموز ١٩٥٨ أي بعد ٤ أيام من قيام الثورة خرجت تظاهرة سياسية سيطر عليها الشيوعيون رددت هتافات ضد الوحدة، وفعل عبد الكريم قاسم الشيء نفسه في خطابه يوم ٢٦ تموز ١٩٥٨. وبعد عزل عبدالسلام عارف خرجت تظاهرة شيوعية في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ هاجمت في شعاراتها الوحدة والقومية العربية وطالبت «بأعدام (الخونة) واعدام كل من يقف امام الديمقراطية والسلام».!!

وحاول البعث تجنب الخلاف والحفاظ على الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية، فعمل من خلال جبهة الاتحاد الوطني على اصدار بيان ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٨، وأكد ان العرب امة واحدة فرقها الاستعمار وأن الضرورة تقتضي العمل على اقامة امتن العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة، ولكن الشيوعيين رفضوا هذه الدعوة. وكان اخر اجتماع لجبهة الاتحاد الوطني في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٩ لمناسبة وثبة كانون، وقد اكد حزب البعث على اهمية استمرار الجبهة وتماسكها في حين اكد ممثل الحزب الشيوعي ان مهمة الجبهة انتهت بقيام الثورة. واستمر الحزب الشيوعي في عدائه للبعث وللحركة القومية، وبدأ يطالب عبدالكريم قاسم بالمشاركة في الحكم، وكانت ثورة الموصل التي قادها الشواف فرصة الشيوعيين لاطلاق كل حقدهم ودمويتهم ضد القوميين والبعث فلوحوا بالحبال تهديداً للبعثيين وسحلوا

بعضاً منهم في الشوارع وقتلوهم وأحرقوا جثث القتلى وعلقوها على الاعمدة لأشاعة الرهبة والخوف وفرض التأييد على المواطنين وقدموا مطالبهم الى عبدالكريم قاسم، ومنها:

(١) تنفيذ احكام ما تسمى «محكمة الشعب» اي محكمة المهداوي ضد البعثيين والقوميين.

(٢) تطهير الجهاز الحكومي من «المتأمرين البعثيين». !

(٣) تعميم تجربة، المقاومة الشعبية سيئة الصيت وتسليحها.

ورغم ذلك كان البعث يدعو الى معالجة هذه التطورات بطرق ديمقراطية، لكن الشيوعيين رفضوا ذلك، وكان هدفهم تصفية البعث والقوى القومية للانفراد بالسلطة، مما اضطر البعث الى مواجهة العنف بالعنف، وقاد نضالاً بطولياً ضد حكم عبد الكريم قاسم والشيوعيين، وخاض ملاحم خالدة منها محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، وأضراب الطلبة وتوج نضاله بأسقاط الحكم الدكتاتوري الشعوبي في ٨ شباط **١٩٦٣**.

ثالثاً: كانت ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان) من اكثر الاحداث السياسية اشراقاً في تاريخ العراق الحديث، نظراً لما اتسمت به من روح بطولية في الانقضاض على حكم الديكتاتور عبد الكريم قاسم، وبسبب مشاركة التنظيم الحزبي في تنفيذ الثورة، وتأييد الجماهير الكاسح لها فضلاً على هويتها الوطنية والقومية.

ولأسباب عالجها التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن. تمكنت قوى الردة السوداء من التآمر على الثورة والاستيلاء على السلطة في ردة **١٨** تشرين الثاني **١٩٦٣** ولم يمض على الثورة سوى تسعة اشهر.

ورغم قصر عمر ثورة ٨ شباط الا انها حققت منجزات كثيرة للشعب العراقي، فأصدرت تشريعات للحد من نفوذ الاقطاع في الريف، وعملت على تطوير القطاع العام في الصناعة ودعم الطبقة العاملة والاتحادات الجماهيرية، واتخذت اجراءات حادة في سبيل الاستثمار الوطني للنفط، وعالجت المسألة الكردية بحكمة تنطلق من الحرص على الوحدة الوطنية من جهة، وضمان الحقوق القومية للشعب الكردي من جهة ثانية، واتخذت مواقف مبدئية حاسمة على الصعيد القومي وفي السياسة الخارجية، واحدثت تغييراً في ميزان القوى في المنطقة لصالح حركة الثورة العربية، وكان من نتائجها المباشرة

سقوط حكم الانفصال في سورية بعد مرور شهر واحد على قيامها.

ومع ذلك فأن حكم الردة التشرينية أعاد العراق من جديد الى عهد الارهاب والتخلف والتبعية، فمارس الحكم العارفي سياسة قمع وحشية ضد تنظيمات الحزب والقوى الوطنية الاخرى، وفتح ابواب القطر امام الاحتكارات وشبكات التجسس، واطلق أيدي المستغلين في العبث بأقتصاد القطر، مما ادى الى تدهور الوضع المعاشي للمواطنين وأزدياد البطالة وانتشار التذمر. . . وكان كل ذلك حافزاً جديداً لحزب البعث لكي يواصل نضاله ويقارع السلطة العارفية حتى تمكن من اسقاطها بثورته الثانية في ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨.

العراق قبل الثورة

[خلاصـــة]:

اولاً: تميز النظام السياسي العراقي خلال العهد الملكي بتبعيته للحكومة البريطانية، ورغم وجود دستور يحدد طبيعة النظام بأنه نظام برلماني ديمقراطي فقد كان للملك سلطات شبه مطلقة.

ثانياً: ان السلطة التشريعية كانت، من الناحية الدستورية. بيد البرلمان، الا أنه، من الناحية العملية لم تجر انتخابات بشكل طبيعي الا نادراً وغالباً ما كانت الحكومة تلجأ الى حل البرلمان، وأقامة انتخابات جديدة للتخلص من المعارضة في داخله.

ثالثاً: اتسم الوضع العام في العراق خلال تلك الحقبة بعدم الاستقرار، وحل الوزارات وتشكيلها لاعتبارات ليست دستورية، وانما لظروف النظام السياسية وتحت تأثير تدخلات المندوب السامي البريطاني.

رابعاً: كان النظام الاقتصادي السائد في تلك الفترة مزيجاً من نظام تتداخل فيه الطبيعة الرأسمالية الطفيلية بسبب غياب النمو الطبيعي للبنية الاقتصادية والاجتماعية للنظام الملكي.

خامساً: ورغم التطور النسبي الذي حصل في مرافق الدولة، الا انه كان تطوراً مشوهاً اضر بالاقتصاد الوطني وبالطبقات الاجتماعية، ولم يستفد منه سوى طبقة تمثل

اقليـة صغيـرة قيـاسـاً الى المجتمـع هي طبقة الاقطاعيين والتجار الكبار وملاك الاراضي والهيئات الحاكمة والموظفين الكبار.

سادسـاً: ادت السيـاسـة البـريطـانيـة الى ربط الاقتصاد العراقي بالسوق الرأسمالية العـالميـة من خلال السيطـرة على الثروة الوطنية للعراق، وهي النفط من حيث الانتـاج والنقـل والتسـويق والتسعير وأهمال الصناعة الوطنية وتعريضها لمنافسة المنتجات المستوردة، اضافة الى تكريس النظام الاقطاعي في الريف.

سابعـاً: امـا الاوضـاع الاجتمـاعيـة فقـد كانت سيئة للغاية، وخاصة بالنسبة للتعليم الـذي لم يكن يستـوعب الا نسبـة محدودة من المواطنين في سن التعليم، مما ترتب عليـه استمـرار حالـة الاميـة وتزايدها على نطاق واسع في القطر، وكانت مشـاركـة المـرأة في الحيـاة العامة محدودة، وكانت الغالبية من النساء تقبع في بيوتها لمزاولة اعمال المنزل.

ثامنـاً: وفي الـرابـع عشـر من تموز عام ١٩٥٨ قامت الثورة، وسقط النظام الملكي، بعد نضال استمر اكثر من اربعين عاماً، وحققت ثورة ١٤ تموز منجزات مهمة، كان في مقـدمتهـا الغاء النظام الملكي وأقامة الجمهورية، وقد ايدت الاحزاب السيـاسيـة كافـة ثورة تمـوز، ولكن حالـة الـوحـدة الوطنية لم تستمر طويلاً، اذ سرعـان ما انحـرف عبـدالكـريم قاسم نحـو الـديكتـاتـوريـة والفردية، وأستأثر بالسلطة، وقام بتصفية عدد غير قليل من المشاركين في الثورة وأبعد الاخر من المواقع المهمة التي كانوا يحتلونها.

تاسعـاً: وقـاد البعث نضالاً بطولياً ضد عبد الكريم قاسم والشيوعيين الذين شجعوه، وخـاض ملاحم خالـدة توجهـا بأسقـاط الحكم الـديكتـاتوري الشعوبي في ٨ شباط ١٩٦٣ (١٤ رمضان).

عاشـراً: ورغم قصـر عمر ثورة ٨ شباط التي اجهضت في ردة الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣، فقد حققت منجزات مهمة على الصعيدين القطري والقومي.

حادي عشـر: وفي ظل حكم الـردة التشـرينية عاد العراق الى ما كان يعانيه في السابق من تخلف وتبعيـة، ممـا ادى الى تدهـور الاوضـاع الاقتصـاديـة والمعـاشيـة للمـواطنين، وكـان كل ذلـك حافـزاً لحـزب البعث لكي يواصل نضاله ويقارع السلطة العارفية حتى تمكن من اسقاطها في ١٧ ـ ٣٠ تموز عام ١٩٦٨.

- ٢ -

قصة الثورة



الثـورة. . . ايـة ثورة، تعني، ان الاوضـاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد قد بلغت درجة عالية من التردي والسوء، وان جماهير الشعب تعاني من الظلم والاستغـلال والارهـاب والقمـع، وان سيـاسـة النظـام القـائم تتنـاقض مع اهـداف وطمـوحـات الشعب ممـا يحتم على قوى الثـورة ان ترفـع لواء الثـورة، لتقضي على النظام الفاسد، وتقيم بدله نظاماً وطنياً ثورياً، يعبر عن اهداف الشعب، ويؤمن بها. ويسعى الى اشاعة الخير والازدهار والامن والطمأنينة والحرية والعدالة بين المواطنين.

وقـد تأخـذ الثـورة صيغـة الثورة الشعبية الشاملة اذ تنتفض الجماهير بقيادة حزبها الثـوري. وتهـاجم مؤسسات النظام الفاسد واجهزته القمعية وتقضي عليه. مثل هذه الثـورات عنـدمـا يكـون الظلم عامـاً، يشمـل غالبيـة الجمـاهير وعندما يكون النظام الحاكم مكروهاً من الجماهير، ومعزولاً عنها، يمارس ضدها الوان القمع والارهاب والتجويع، وعندما تكون الظروف العامة في البلاد ملائمة لذلك.

وقـد تأخـذ صيغـة الكفـاح المسلح، اذ يعمد الحزب الثوري الى تسليح عناصره وجماهيره، والقيام بعمليات مسلحة ضد أجهزة النظام ومرافقه الحيوية وقواه القمعية، وتنشأ هذه النمـاذج من الثـورات عنـدمـا تكون ظروف البلد مواتية للكفاح المسلح، والجماهير مستعدة لحمل السلاح ومقاتلة النظام الحاكم.

وقـد تأخـذ الثـورة صيغة الانقلاب العسكري، اذ يلجأ الحزب الثوري الى تنظيم خلايـا حزبيـة له، داخـل القـوات المسلحـة وقوى الامن الاخرى، وعبر خطة تعتمد على البناء الفني تتم السيطرة على المؤسسات القيادية في النظام والمرافق الحيوية، ويعلن عن نجاح الثورة، وقيام النظام الجديد.

وفي ظل هذه الحـالات، تكـون عمليـة الثـورة، من طراز العمليـات الفـذة التي لايستطيع القيام بها الا الاحزاب الثورية الحقة، التي عركتها تجربة النضال الطويلة والصعبـة، والتي تكـون لديها مناضلون اشداء يتحلون بالشجاعة والاستعداد العالي للتضحية بكل شيء، من اجل الاهداف التي يناضلون في سبيلها، والتي لديها قيادة حكيمـة متمـرسـة واسعة الافق والادراك، تعرف متى تختار الوقت المناسب للشروع بالثورة، وكيف توازن بين اهدافها وبين الظروف الموضوعية المحيطة بها.

ولقد كان حزب البعث، منذ سنوات نشأته الاولى، بداية الاربعينات يناضل من اجل تحقيق الثورة العربية في عموم الوطن العربي، بالقضاء على اوضاع التجزئة المفروضة على الشعب العربي، وعلى الظلم والاستغلال اللذين يعاني منهما، وعلى السيطرة الاستعمارية والنفوذ الاستعماري الذي كان قائماً ولايزال في بعض الاقطار.

ان الثورة التي يريدها الحزب تقضي على التجزئة والاستغلال والتخلف والظلم في الوطن العربي، فهي ثورة قومية تحررية ديمقراطية اشتراكية. والمجتمع الذي يسعى لبنائه هو المجتمع الموحد في الوطن العربي، والذي تسوده الديمقراطية، وتعمه العدالة الاجتماعية ويتحقق التقدم والازدهار في مختلف جوانب الحياة فيه.

ولكن بسبب اوضاع التجزئة، ووجود نظام سياسي حاكم في كل قطر عربي، فأن الثورة العربية لابد من ان تنطلق من داخل كل قطر، ولما كان الحزب قومياً تقوده قيادة قومية واحدة، فأن ثورات الحزب في الاقطار العربية، ستخضع لقيادة الحزب الواحدة، التي ستوحد تلك الاقطار في دولة واحدة هي دولة الوحدة.

وهكذا سعى الحزب، وبقدر ماتسمح به ظروفه النضالية الى القيام بالثورة وتسلم السلطة في كل قطر عربي لديه فيه تنظيم فكانت ثورته الاولى في القطر العراقي في ٨ شباط عام ١٩٦٣ واعقبتها حركة ٨ اذار ١٩٦٣ في القطر السورى، ومع ان كلتا التجربتين تعرضتا للسقوط بفعل عوامل ليس هنا محل ذكرها، الا ان الحزب واصل نضاله من اجل تحقيق اهدافه. وقد توج هذا النضال في العراق، بقيامه بثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨.

ماهي قصة ثورة ١٧ - ٣٠ تموز؟ وكيف قامت؟ وماهي المقدمات التي سبقتها والظروف التي رافقت الاعداد لها؟

كيف تآمر على افشالها عدد من المشبوهين؟ وكيف تخلصت منهم الثورة؟

في البداية لابد من القول ان ثورة ١٧ - ٣٠ تموز هي وليدة النضال الطويل للشعب العراقي، ولحزب البعث العربي الاشتراكي، وهي الحصيلة والثمرة لكل المحاولات التي قام بها الشعب العراقي لتحقيق استقلاله وحريته ورخائه.

فمنذ عام ١٩٢٠ قام الشعب العراقي بثورته الاولى ضد قوات الاحتلال البريطاني. وقد سحقت تلك الثورة بوحشية من قبل المستعمرين الانكليز، بسبب

تفـوقهم بالسـلاح والتنظيم . . . واعقبتهـا ثورة مايس ١٩٤١ ضد القـوات البـريطانية ايضـاً ، ولم يكتب لهـا النجـاح وقـام الشعب بوثبته العظيمة في كانون الثاني من عام ١٩٤٨ . وقمعت تلك الانتفاضة بوحشية من قبل الاجهزة القمعية للنظام الملكي .

وفي تشـرين عام ١٩٥٢ قام الشعب بانتفـاضتـه الشهيـرة ضد النظـام الملكي ، وقمعت ايضـاً . وفي عام ١٩٥٦ انتفض الشعب ايضـاً ضد السلطة الملكية الجائرة ، العميلة للاستعمار البريطاني ، وانتصاراً للشعب العربي في مصر، الذي كان يتصدى للعدوان الثلاثي ، وضربت تلك الانتفاضة ايضاً .

وفي ١٤ تمـوز ١٩٥٨ نجـح الشعب عن طريق قواته المسلحة الباسلة في اسقاط النظـام الملكي واعـلان الجمهـوريـة . . . وكـان هذا اول نجاح كبير لنضال الشعب العـراقي العظيم ، ولكن تلك الثـورة سرعـان ما انحـرف بها عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة آنذاك ، عن اهدافها التحررية والقومية .

لقـد كان لابـد للشعب من النضال مجدداً لاعادة الوجه الحقيقي لثورة ١٤ تموز. ونجـح الشعب بقيـادة حزب البعث في اسقـاط نظـام عبـد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ ، ولـم تدم تلك الثورة العملاقة الا تسعة اشهر اذ تآمر عليها عبد السلام عارف رئيس الجمهـوريـة انـذاك فاسقطهـا وفرض على العراق نظاماً رجعياً متخلفاً ومشبوهاً وعاد الشعب للنضال مرة اخرى ونجح بقيادة حزب البعث في اسقاط النظام العارفي في ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ واقامة حكم الحزب .

بدا التحضير لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز بعد سقوط ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان) في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، ومنذ ١٩ تشرين الثاني بدات قيادة الحزب تفكر وتعد العدة للقيام بالثورة ضد الحكم العارفي . . . في تلك الفترة تعرض مناضلو الحزب وكوادره وقيـادتـه الى المـلاحقـة والاعتقـال . وزج بالمئات في السجون . وقد اعدم البعض منهم ، وتعـرض البعض الاخـر للتعـذيب ولـم يكن خارج السجـون من كوادر الحزب وقيادته الا العدد القليل .

ورغم قسـوة تلك الظـروف وصعـوبتها تمكنت قيادة الحزب من اعادة تنظيم الحزب وتحقيق وحـدتـه وتماسكه . وكانت ظروف النضال الصعبة قد افرزت قيادات شابة ، لمع في مقـدمتهـا الـرفيق صدام حسـين . . . وقـد اخـذت على عاتقهـا مهمـة جمع شمل التنظيم ، الـذي فرقتـه واضعفته حملات القمع والملاحقة من قبل نظام ردة تشرين . ولم

تمض سوى بضعة اشهر حتى كان الحزب قد استعاد وحدته التنظيمية وقوته النضالية، واستعـاد قيـادتـه للجـماهـير، وبـدا يقارع السلطة العارفية. وقد شعرت تلك السلطة الـرجعيـة المتخلفـة بخطـورة الحـزب، وتملكها الخوف من سرعة استعادة الحزب لقوته النضـاليـة وفعاليته التنظيمية، فقامت بحملة قمع شاملة ضد البعثيين، ولوحق الكثير من المناضلين واعتقلوا، وزجت قيادة الحزب في سجن رقم واحد، واعتقل معها الرفيق صدام حسين.

برز الـرفيق صدام حسين، كقـائد من طراز عظيم، في ظروف تلك المحنة، التي عاشهـا الحـزب، قائـداً يتحلى بالحكمـة والشجاعة والاخلاق العالية والفكر المبدع والصبــر. . . . ولعب الـدور الاول في قيـادة نضـال الحـزب وفي القيـام بالثـورة. . ولاعجب فصـدام حسين كان لايـزال طالبـاً في الاعداية، حديث عهد بمدينة بغداد الكبيـرة الـواسعـة، وهـو الفتى الاتي من بيئـة ريفيـة فقيرة، يستقبل بفرح كبير ويشعر بالسعـادة والـرضى، تكليف الحـزب له (في آذار ١٩٥٩) بان يتولى مع عدد من رفاقه مهمـة التصـدى لمـوكب رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم واغتياله في شارع الرشيد، وقام بمهمته على اكمل وجه، واصيب برصاصة في رجله ومنذ ذلك الوقت برزت لديه صفـات القيـادة المبكـرة فقد كان بعيد النظر، شجاعاً الى حد البطولة، يقلب الامور على اوجهها المختلفة يتحسب لكل الاحتمالات. وكان حاسماً يتخذ القرار الشجاع بدون تردد ونجح في التخلص من ملاحقة الاجهزة القمعية لحكم عبد الكريم قاسم وهـرب الى سوريـة، ومنهـا الى مصـر وبقى هناك الى ان قامت ثورة ١٤ رمضان عام ١٩٦٣ اذ عاد الى العــراق. . . وعمــل في مكتب الفـلاحين، وكـان خلال مؤتمـر الحزب الخامس صريحاً جريئاً، لايجامل في المبادئ ولايسكت عن الخطأ وكان يثير اعجاب البعثيين بصدقه واخلاص طروحاته ومواجهته المباشرة للاخطاء والانحرافات.

وعنـدمـا سقطت ثورة رمضـان على ايدي زمرة ردة تشرين، تعرض الحزب لحملة واسعـة من الاعتقـالات حملة عشوائية شملت عدداً كبيراً من البعثيين، صدرت على عدد منهم احكـام جائـرة. وفي هذه الظـروف الصعبـة برز دور الرفيق صدام حسين، كقـائـد في الظروف الصعبة، لقد تحرك على رفاقه الاخرين، وبذل جهوداً جبارة في اعـادة تنظيم الحـزب وعنـد اقتـراب موعـد المؤتمـر القـومي السـابع. تسلل الرفيق

صدام، وهو متخف الى سورية، حيث يعقد المؤتمر هناك في دمشق. ومنذ ذلك اليوم ظل متخفياً، وابلغ القيادة القومية بحقيقة الاوضاع في العراق، ثم عاد الى القطر، وظل متخفياً عن انظار السلطة العارفية، واعيد تشكيل التنظيم العسكري، وتولى الرفيق صدام بنفسه هذه المسؤولية.

وعندما استكمل الحزب بناءه التنظيمي على اسس جديدة ومتينة بدأ الاعداد للثورة والاطاحة بالنظام العارفي المتخلف.

كان الرفيق صدام حسين يشاركه رفاقه في قيادة التنظيم يجمعون السلاح تمهيداً للقيام بالثورة، فيشترون بعضه، ويحصلون على البعض الاخر من القيادة القومية، اما بعض انواع السلاح الاخرى كالقنابل والمتفجرات فكانوا يصنعونها بانفسهم في اوكار الحزب.

ووضعت خطة الثورة، وكانت تقضي بان يكون الرفاق القياديون من المشاركين في التنفيذ، وفي المقدمة الرفيق صدام حسين، وهكذا تم التنسيق مع الضباط البعثيين داخل القصر الجمهوري بحيث يدخل الرفاق البعثيون القصر الجمهوري ويسيطرون على قوته من الداخل، ويتم الهجوم على القصر بوحدات القصر الجمهوري نفسه، ويجبرون عبد الرحمن عارف على الاستسلام، بينما تقوم منظمات الحزب الاخرى بشل حركة القوى المعادية التي يتوقع ان تتحرك، فتعتقل بعضها، في حين يقوم الجهاز الحزبي المدني، والمدرب على السلاح بالسيطرة مع الضباط البعثيين على القطعات العسكرية المهمة ومنع بعضها الاخر من الحركة.

ولظروف معقدة، انكشفت احدى صفقات الاسلحة التي كان ينقلها احد الحزبيين الى احد الاوكار الحزبية، وشكت السلطة العارفية في الامر وخمنت ان الحزب لديه عمل خطير، فقامت يوم ١٩٦٤/٩/٤ بحملة اعتقالات، شملت كل من وصلت يدها اليه من البعثيين دون تمييز لدوره وموقعه، تحوطا لما تتوقع ان يقوم به الحزب، وفي هذا الاثناء كان الرفيق صدام مختفياً عن انظار السلطة، وظل كذلك ولكن اجهزة السلطة العارفية ظلت ترصده، وترقب حركاته. وفي اثناء ذهابه الى احد اوكار الحزب غير المكتشفة، وبينما كانت يده تضغط على جرس الباب، اذا به يفاجأ برشاشة توجه الى ظهره وصوت ياتيه من الخلف، يقول له ارفع يديك ولا تتحرك، والا رميتك بالرصاص، حاول التخلص من المأزق وبدأ هادئاً تماماً، وتظاهر

بأنه يسأل عن صديق له، لكن هذا الموقف لم ينفعه مع رجال الشرطة، فالبيت الذي جاء اليه كان وكرا للحزب وقد اكتشف امره، واعتقل من فيه من الرفاق، وظلت مفرزة من الشرطة بداخله تنتظر من يتردد على الوكر من البعثيين لتعتقله، فيما ابقي عدد اخر من الشرطة السرية يرصدون الوكر من الخارج بخفية، وعندما وجد الرفيق صدام ان الشرطة تعرف هويته، حاول ان يهدىء من انفعال الشرطي، وطلب منه خفض الرشاشة عن ظهره... وما ان خفضها الشرطي حتى سحب الرفيق صدام حسين مسدسه وعباه باطلاقة وصرخ في وجه الشرطي ان لاتتحرك والا رميتك، اذهلت المفاجاة الشرطي وقفز من مكانه وهو فاقد السيطرة على اعصابه. وضغط الرفيق صدام على الزناد لاطلاق رصاصة في الهواء واخافة الشرطي اكثر، لكن الاطلاقة لم تنفجر وسحب الثانية ولم تنطلق هي الاخرى. في هذه الاثناء كانت السيارة التي جاء بها الرفيق صدام الى الوكر المذكور مع بعض رفاقه تنتظره في نهاية الشارع، ولما شاهدوا وضع الرفيق صدام نزل احدهم وبيده رشاشة وصرخ في الشرطي فيما انسحب الرفيق صدام من امامهم وهو لايزال يحاول سحب اطلاقة ثالثة لم تنفجر وعندما سحب الرابعة وكان قد وصل الى السيارة انفجرت.. وركبوا السيارة وهربوا مسرعين.

كانت اجهزة السلطة قد اعتقلت معظم القيادة وبقي من اعضاء القيادة الرفيق صدام حسين.... كان تعذيب الرفاق في السجون قاسيا. وكان الرفيق صدام يشعر بأنه يجب ان يواجه هذا الموقف الصعب، بعيداً عن قبضة السلطة، كي يحافظ على استمرارية العمل الحزبي، خاصة وان اوكار الحزب جميعها قد كشفت، وكذلك اجهزة طبعه البسيطة.. وفي هذه الفترة كان بعض الحزبيين يطبعون المنشورات في دوائرهم سرا. وكان هذا الادراك لخطورة وضع الحزب، والاحساس العالي بالمسؤولية يعطي للرفيق صدام عزماً كبيراً، وقدرة عالية على الفعل والحركة.

وفي هذه الفترة الصعبة، التي كان يسودها الارهاب والقمع الوحشيان. ارسلت القيادة القومية مندوباً عنها الى الرفيق صدام، يحمل اليه رسالة تطلب فيها منه مغادرة القطر الى سورية، خشية القاء القبض عليه.

في ظروف صعبة كهذه وامام طلب من اعلى قيادة في الحزب كان على الرفيق

صدام ان يتصرف بما امتاز به من حكمة وتوازن في التصرف. ولاشك في انه كان يعاني من حراجة الموقف وهو يقرأ بعينيه الشاقبتين طلب القيادة اليه مغادرة العراق... لم يفكر بطريقة ذاتية، ولم يخطر في ذهنه، وهو يتأمل طلب القيادة وضعه الشخصي لقد كان يفكر انذاك في ايهما افضل للحزب، واكثر فائدة له، بقاؤه في العراق ام مغادرته؟

ان وجود الرفيق صدام حسين سيؤمن ديمومة العمل الحزبي والاتصال بين المنظمات والرفاق الذين لايزالون بعيدين عن انظار السلطة، كما ان ادامة الاتصال بالرفاق المعتقليين والمحافظة على معنوياتهم العالية واعلامهم بقوة الحزب رغم الاعتقالات والملاحقة كل ذلك كان امراً ضرورياً. دارت هذه الافكار بلمح البصر في ذهنه، واجاب مندوب القيادة القومية قائلاً: ايها الرفيق... قل لرفاقي في القيادة القومية ان الحزبيين الان في محنة ومن الضروري ان اكون معهم، انا في كل حياتي الحزبية ملتزم الا هذه المرة... وبدلاً من الذهاب الى سورية سجل الرفيق صدام حسين على شريط رسالة بصوته موجهة الى البعثيين في العراق، واذيعت من اذاعة دمشق عام ١٩٦٤ تحثهم على مقاومة السلطة وتطمئنهم على ديمومة العمل الحزبي.

وكان لهذه الرسالة صدى كبير لدى الرفاق... اما اجهزة السلطة، فقد طار صوابها، لانها كانت تلاحق الرفيق صدام وتطلبه بأي ثمن وكانت تعتقد انه في سورية.

وما ان اذيعت الرسالة الصوتية للرفيق صدام حتى شددت السلطة ملاحقتها له، وتمكنت من الوصول الى الوكر الذي يختفي فيه.... طوقته قوة كبيرة.. وعندما شعر الرفيق صدام حسين بذلك حاول اختبار حجم القوة ليعرف مدى فرص النجاح في المقاومة فاطلق عدة اطلاقات من مسدسه، وكان الجواب مئات الاطلاقات تنطلق من فوهات رشاشات رجال الشرطة، واقتيد الى السجن... وهناك حاولوا حمله على الاعتراف... لقد نسب كل التهم الى نفسه، وحاول ان يبعد المسؤولية عن رفاقه ورغم التعذيب لم تتمكن اجهزة القمع من الحصول على اية معلومات منه... فكر بالهرب من السجن، ولكنه قبل ذلك فكر بتهريب أعضاء المكتب العسكري وقيادة فرع بغداد. وعن طريق التنسيق بين الرفاق داخل السجن والرفاق

الـذين خارجـه تم تهـريب بعضهم . . . وعلى اثـر هذه العمليـة نقـل الـرفيق صدام واخـرون من الـرفـاق القيـاديين والكادر المتقدم الى سجن رقم واحد الانفرادي . . . وهناك كانت القسوة والارهاب النفسي في انتظارهم ورغم ذلك تم تنظيم الرفاق حزبيا ووضعت خطة لهروبهم . كانت الخطة تعتمد على قص «القضبان الحديدية» لابواب الـردهـة فيتـاح للرفـاق القفـز الى سطـح السجن ثم الى البـاحـة الخارجية . على ان تستخدم الافرشة في تغطية الاسلاك الشائكة ليتم عبورها ، واعدت مستلزمات الخطة ووصلت الى نهـايتهـا . . . وقبـل الشـروع بتنفيـذهـا بايـام اطلق سراح بعض الرفاق فاوقفت عمليـة الهـروب لكي لاتلفت الانتباه وتجعل السلطة تعيد المفرج عنهم الى السجن مرة اخرى وتعتقل غيرهم . . . كان النظام يتفكك وفورة الحمى التي اعقبت ردة تشرين تلاشت . . والحزب في الخارج رغم الضربات القوية المتتالية التي تلقاها كان يتعـافى . . . النظـام كان في جوهـره نظـامـاً عشـائرياً متخلفاً . . . رجعياً معادياً للجمـاهيـر رغم الشعـارات البـراقـة التي يرفعها . . . اوضاع البلد تسوء . . . البطالة تزداد . وراس المال يتكالب ويستفحل امره في استغلال المواطنين والسلطة السياسية تتنازعها التكتلات والولاءات المتعددة .

مرة اخـرى فكـر الـرفيق صدام بخطـة للهرب . . كانت انظار السلطة مركزة عليه ، والقـائمـون على السجن ينبهـون الحـراس في قواطـع السجن بالانتبـاه الى صدام حسين ، ويحـذرونهم من امكـانيـة هروبـه . . كانت الحاجة ماسة الى هروب الرفيق صدام من السجن ، اذ لابـد ان تكـون قيـادة الحزب حرة لكي تخطط وتقود النضال . كانت الخطـة الجـديـدة للهرب تتلخص في محاولة الحصول على اذن للذهاب الى المستشفى مع الـرفـاق خارج السجن . . واثناء الذهاب تدبر طريقة الهروب بالتنسيق مع الرفاق خارج السجن . . . وبدأت عملية كسب حراس السجن والتأثير في عقولهم واقناعهم بصحة مواقف البعثيين . وجاءت الصدفة لتخدم الخطة بطريقة مقنعة . فقد اصيب الـــرفيق صدام بضعف عام وقـــدر انـــه اصيب بالســـل ، فطلب ارســالـه الى المستشفى ولكن طلبـه رفض بحجـة ان مسؤولي السجن يخشون هروبه ، ومع ذلك الـح على احـالتـه الى المستشفى الى ان اضطرت ادارة السجن لجلب جهاز الاشعة الى السجن وبعد النتائج تبين انه سليم ، وفاتت فرصة هروبه .

في هذه الفتـرة ، كان المؤتمـر القـومي الثـامن قد بدأ اعمـاله في سورية وانتخب

المؤتمرون الرفيق صدام حسين لعضوية القيادة القومية رغم وجوده في سجن رقم واحد . لقد كان ذلك عبئاً جديداً اضيف الى الرفيق صدام حسين ، فمن طبيعته ان ثقة الحزب به تجعله يندفع اكثر في تحمل المسؤولية ويشعر بالدين الكبير تجاه رفاقه وشعبه ولابد من تسديد هذا الدين بمزيد من الوفاء للمبادئ وبمزيد من التضحية في سبيلها .

وجاءت فرصة احالة الرفيق صدام والرفاق الذين معه الى المحكمة ليستفيدوا منها في دعم مكانة الحزب واظهار مدى قوة البعثيين وارتفاع معنوياتهم ، وهكذا اتفق الرفيق صدام حسين على ان الرفاق القياديين اذا سئلوا في المحكمة ، ما أسمك يكون الجواب : مناضل في حزب البعث العربي الاشتراكي .

وكانت قد جرت محاولة اخرى لقلب نظام الحكم العارفي في شباط ١٩٦٦ وكانت القيادة القومية في سورية متحمسة جداً للثورة في العراق غير ان الشباطيين اسرعوا بحركتهم الانقلابية على الحزب في ٢٣ شباط ١٩٦٦ وكانهم يستشعرون خطر قيام الحزب بالثورة في العراق على مخططهم التأمري ، فاستبقوا الاحداث وضربوا القيادة القومية وبذلك اصبح هرب الرفيق صدام حسين من السجن ضرورة ملحة لان ردة شباط اثرت على الحزب نفسياً وتنظيمياً ، وكشفت اسماء القيادة القطرية في العراق لاجهزة السلطة العارفية ، واقامت علاقات ايجابية معها لكي تشدد الخناق على الحزب .

تدارس الرفاق فيما بينهم خطورة الوضع وضرورة الهرب من السجن ، واستقر رايهم على خطة الهرب . . . اتفقوا : اثناء عودتهم من المحكمة ان يقنعوا حراسهم ، بالموافقة على تناول الطعام في مطعم يقع في شارع ابي نؤاس ، وكان للمطعم بابان احدهما على الشارع والاخر على النهر وبالتنسيق مع الرفاق خارج السجن يهرب اثنان من الرفاق هما الرفيق صدام حسين ورفيق اخر معه ، اما الثالث فيبقى مع الحراس ويحاول اقناعهم بالهرب معه تجنباً لمحاسبتهم من قبل السلطات على هرب السجينين واذا لم يقتنعوا يعود معهم الى السجن واتبعت هذه الصيغة لتجنب المجابهة مع الحراس ولضمان نجاح هروب اثنين من الرفاق الثلاثة . . وهذا ماحصل اذ هرب الرفيق صدام والرفيق الاخر معه وكان ذلك يوم ٢٣ تموز ١٩٦٦ .

كان وضع الحزب في هذه الفترة صعباً فقد تضافرت عليه ظروف القمع والملاحقة

من قبـل السلطـة العـارفيـة، ونتـائـج ردة شباط في سورية، ومما ضاعف من خطورة الوضع ان ردة شباط وجدت لها بعض الجيوب داخل الحزب، فعملت بكل اساليب التشهيـر والاتهـام ضد البعثيين وافتعلت المعارك الجانبية مع الحزب لصرف اهتمامه عن محـاولـة اسقاط النظام العارفي لكن قيادة الحزب المناضلة والبعثيين المناضلين تغلبـوا على صعـوبـة المـوقف وتحـدوا الصعـاب وواجهـوا الردة الشباطية بنفس قوة مواجهتهم السلطـة العـارفيـة، واجتـازوا الامتحـان بجدارة ورجولة وحافظوا على قوة الحزب وتماسكه.

وفي كل ذلك كان الرفيق صدام حسين النموذج والقدوة. لقد كونته ظروف النضال الصعبـة كقـائد من طراز خاص، وتحلى بصفات القيادة الفذة، وهو مايزال في ريعان الـشـبـاب. لقـد كان من سمـاتـه الـتـمـسـك بالـقـيـم الـمـبـدئـيـة وقيم الرجولة، كلما واجهه ظرف عصيب او خطر داهم وعبر عن هذا السلوك في عبارة خطهـا على جدار زنـزانتـه في السجن تقـول «ايهـا المنـاضـل اذا اهتزت امامك قيم المبادىء في ظرف عصيب لأي سبب من الاسباب فتذكر قيم الرجولة اذ انها لوحدها قادرة ان تصنع منك بطلاً».

ومن جديـد تم الاعـداد للثورة واستفاد الرفاق من دروس المحاولات السابقة التي فشلت فاعـدوا لكـل شيء حسـابـاً دقيقـاً وبدأت الاسلحة تجمع بحذر ودقة وكذلك المـلابس العسكـريـة الـلازمـة ليوم التنفيذ، واودعت جميعها لدى القيادة للمحافظة على عدم كشفها او وقوع خطأ في التصرف بشأنها.

في تلك الظـروف كانت الثـورة عمـلاً جبـاراً اشبه بالمستحيل فالبعثيون البارزون معتقلون ومفصـولـون من الجيش او ملاحقـون ومختفـون وكـان وجود الحزب بشكل علني اثنـاء ثورة ٨ شبـاط قد كشف للسلطـة العـارفيـة التنظيم الحـزبي المـدني والعسكري بشكل كامل تقريباً.

كانت الخطـة دقيقـة شاملة لكـل التفاصيل والفرعيات واقتضت ان يتجمع الرفاق المكلفـون بتنفيـذ الثـورة في اربعـة اوكـار حزبيـة يتسلمون منها الاسلحة والملابس والتعليمـات الخـاصـة بادوارهم فيمـا كان على مجموعة اخرى من الرفاق، وهم من التنظيم الخاص المدرب عسكرياً ان تتجمع في مقهى معين.

وفي ١٦ تمـوز، بينمـا كانت القيـادة مجتمعـة لمـراجعة خطة تنفيذ الثورة مراجعة

نهـائيـة، فوجئت بمبعوث من عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات لنظام عارف وهو شخص مشبوه، يعرض على القيادة ان النايف، يريد المشاركة في الثورة.

اصيبت القيـادة بصـدمة ودهشة فالوقت والظرف كانا لايسمحان بجدل ومناقشات مطـولـة، والمـوقف يتطلب قرارا صائبـاً وحاسماً، فأن رفضت القيادة المشاركة تضيع فرصـة الثـورة على الحزب ويضـرب الحـزب ضربـة قاضيـة، وان قبلت بمشـاركته فستجـازف باحتمـال ان يلتف النايف على الحزب ويصفيه . . . ولم تتأخر القيادة في اعطاء الجواب وابلغت مبعوث النايف بموافقتها على مشاركته بالثورة . . وفي الوقت نفسه اتخذت القيادة قراراً بأن يصفى النايف حال نجاح الثورة واوكلت مهمة تصفيته للرفيق صدام حسين وتركت له حرية اختيار الظرف والصيغة المناسبة لذلك.

من جانب اخـر كانت القيـادة قد قررت ان يشارك اعضاؤ ها جميعهم بتنفيذ الثورة لتجنب بروز التنافر بين الصفة العسكرية والمدنية للتنظيم الحزبي.

وعنـدمـا حانت ساعـة الصفـر، تحـرك الرفاق بعد منتصف الليل، وارتدى الرفيق صدام حسين ملابس عسكـريـة برتبـة ملازم ثان. وانطلق الـرفـاق في مجمـوعتين مجموعة تركب سيارة صغيرة والثانية حافلة . . . وفي الطريق اعترضهم شرطي يركب دراجــة هوائيـة كانت تلك من المصـادفـات غيـر المحسـويـة . . . وكـان الخطأ في التصـرف معهـا قد يضيـع الثـورة والحزب معا. سارع الرفاق دون ان يطيلوا الحديث معـه وحملوه هو ودراجتـه الى الحـافلة وهـددوه انـه اذا جاء بحركة فسيخسر نفسه . . وعنـدمــا سأل الى اين تأخـذونني قال له الـرفيق صدام حسين «سنهجم» القصــر الجمهوري على راس عبد الرحمن عارف وانت اما ستكون ثائراً معنا او ستموت معنا.

وفي كتيبة دبابات القصر كان احد الرفاق ينتظر موكب الثورة وقد رتب امر دخولهم الى القصر بكلمة سر متفق عليها. ودخلت السيارتان الى كراجات الكتيبة في القصر وتـرجـل الرفاق واسرعوا بالاستيلاء على الدبابات، ومن كان منهم يعرف قيادة الدبابة اخـذ يديـر عجلة واحـدة بعـد الاخـرى ويسلمهـا للاخـرين . . . وعندما علا صوت الدبابات خرج جنود وضباط القصر ليروا ماذا يجري صاح بهم الرفاق «تجمع تجمع» وعندما اكتمل تجمعهم اقتيدوا الى احدى القاعات وتركوا بحراسة بعض الرفاق . . . في هذه الاثنـاء شاهـد الـرفيق صدام احـد جنـود القصـر يزحف نحـوهم وهو يحمل

رشاشة: نادى عليه: يالله ابو خليل معنا... اخذ منه الرشاشة واعطاه مسدساً وطلب منه سياقة الدبابة قائلاً له: ان طاهر يحي رئيس وزراء عبد الرحمن عارف قام بانقلاب ونحن سنقضي على المحاولة.. وقد واجه الرفيق صدام حرجا في استخدام رشاشة الدبابة حيث لم يسبق له ان تدرب عليها فقال للجندي ابني انا ضابط مشاة فهل تشرح لي كيف تستعمل رشاشة الدبابة... ففعل. وعندما وصل الرفاق الى الباب النظامي اتصلوا بعبد الرحمن عارف بالتلفون وابلغوه بالثورة وان عليه ان يستسلم فتحفظ له حياته او يتعرض للدمار هو ومن معه... رفض اول الامر فبدأ اطلاق النار نحو القصر ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى خرج معلنا استسلامه... وبذلك انتهت الصفحة الاولى من الثورة.

انتقلت قيادة الحزب الى القصر... وبدأت مشكلة النايف.. كان النايف محسوباً على النظام ولديه انصار داخل القصر وفي السلطة وهو بلاشك يخطط لتصفية الحزب... كانت تلك اياماً رهيبة وقلقة وفيها توتر نفسي عال... واي تصرف غير محسوب بدقة قد يضيع الثورة والحزب... والكل في القصر ولكل حمايته وانصاره والغرف متجاوره والاطراف متربصة ببعضها. بعد ثلاثة عشر يوماً عصيبة وجد الرفيق صدام الوقت المناسب.. وبعد ساعة غداء يوم ٣٠ تموز دخل الرفيق صدام على النايف وسحب المسدس بوجهه وهدده انه اذا ما اتى باية حركة فسيطلق عليه الرصاص ثم قال له «عبد الرزاق انت شخص طاريء على الثورة دخلت على ثورة الحزب والحزب اتخذ قراراً بتصفيتك... اذا اردت ان تسلم بحياتك تصرف في هذا الاطار وستغادر العراق الى المكان الذي تريده» واقتاده الرفيق صدام بنفسه الى مطار الرشيد العسكري واركبه طائرة خاصة وغادر العراق غير مأسوف عليه.

وبذلك تخلصت الثورة من الجيب العميل المشبوه واستعادت وجهها الحقيقي... واصبح من الطبيعي ان ١٧ تموز كانت الثورة بالنوايا وان (٣٠) تموز هي الثورة الحقيقية.

[خلاصـــة]

قصة الثورة

أولاً: بدأ التحضير لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز، بعد سقوط ٨ شباط (١٤ رمضان) في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٣. ومنذ اليوم الثاني للردة بدأت قيادة الحزب تفكر وتعد العدة للقيام بالثورة على الحكم العارفي.

ثانياً: ورغم قساوة الظروف وصعوبتها في تلك الفترة تمكنت قيادة الحزب من اعادة تنظيم الحزب ووحدته وتماسكه، وكانت ظروف النضال الصعبة قد افرزت قيادات شابة، لمع في مقدمتها الرفيق صدام حسين. واخذت على عاتقها مهمة جمع شمل التنظيم الذي فرقته واضعفته حملات القمع والملاحقة، من قبل نظام ردة تشرين.

لقد برز الرفيق صدام حسين كقائد من طراز عظيم في ظروف تلك المحنة التي عاشها الحزب ولعب الدور الاول في قيادة نضال الحزب وفي القيام بالثورة.

ثالثاً: وكانت الثورة في تلك الظروف عملاً جباراً اشبه بالمستحيل فالبعثيون البارزون معتقلون ومفصولون من الجيش او ملاحقون ومختفون، وكان وجود الحزب بشكل علني اثناء ثورة شباط قد كشف للسلطة العارفية التنظيم الحزبي المدني والعسكري بشكل كامل تقريباً.

رابعاً: كانت خطة ثورة ١٧ تموز دقيقة وشاملة لكل التفاصيل والفرعيات واقتضت ان يتجمع الرفاق المكلفون بتنفيذ الثورة في اربعة اوكار حزبية، يتسلمون منها الاسلحة والملابس والتعليمات الخاصة بادوارهم فيما كان على مجموعة اخرى من الرفاق وهم من التنظيم الخاص المدرب عسكرياً ان تتجمع في مقهى معين.

خامساً: وفي ١٦ تموز، وبينما كانت القيادة مجتمعة لمراجعة خطة تنفيذ الثورة مراجعة نهائية فوجئت بمبعوث من عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات لنظام عارف وهو شخص مشبوه يعرض على القيادة ان النايف يريد المشاركة في الثورة.

سادساً: وكان الموقف يتطلب من القيادة قراراً صائباً وحاسماً ولم تتأخر القيادة في اعطاء الجواب وابلغت مبعوث النايف بموافقتها على مشاركته في الثورة واتخذت في الوقت نفسه قرارا بان يصفى النايف حال نجاح الثورة، واوكلت مهمة تصفيته للرفيق صدام حسين وتركت له حرية اختيار الظروف والصيغة المناسبة لذلك وهذا ماحدث في الثلاثين من تموز وتخلصت الثورة من هذا الجيب العميل المشبوه.

-٣-

بناء المجتمع الجديد



تمهيد :

عندما تسلم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة السياسية في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، كان عليه ان يواجه مهمة وضع المبادئ التي ناضل من اجلها وبشر بها موضع التطبيق . وتحديداً كان الحزب يواجه مهمة اعادة بناء العراق اقتصاداً ومجتمعاً ونظاماً سياسياً وعلاقات دولية ، بناء جديداً يجسد مبادئه حول المجتمع الديمقراطي الاشتراكي المتطور، ويؤمن للمواطن حريته وأحترام كرامته الانسانية ، واطلاق قدراته وأزالة الظلم والغبن الواقع عليه .

وكما مر بنا ، فأن العراق خلال العهود التي سبقت الثورة ، كان بلداً ضعيفاً متخلفاً يعاني التبعية ، وتتفشى فيه الامية والامراض والبطالة ، وتنتشر فيه شبكات التجسس . ويعاني من مشكلات الاضطراب السياسي الداخلي . ومن تفكك عرى الوحدة الوطنية ، فضلاً عن سيادة علاقات الاستغلال والظلم الاجتماعي . ,

وأزاء هذا الواقع ، كان على الثورة ان تبني العراق الجديد ، عراق الثورة ، عراق البعث ، غير أن هذه المهمة لم تكن سهلة ، والطريق اليها لم يكن معبداً ، وانما كانت تحفه المخاطر والتحديات .

اولاً : صعوبات بناء المجتمع الجديد :

اين تكمن الصعوبات والمخاطر في بناء المجتمع الجديد؟ ان اكبر هذه الصعوبات وأخطرها كان يتمثل في فقدان الاستقلال الاقتصادي ، فالعراق كان يعتمد في تمويل ميزانيته الاعتيادية على النفط بدرجة كبيرة ، وكذلك في تمويل مشاريع التنمية ، وفي تمويل عمليات الاستيراد من الخارج . . . وهذا المصدر، اي النفط ، كان يخضع كلياً لسيطرة الشركات الاحتكارية الاستعمارية التي تدعمها دولها الام (بريطانيا ـ امريكا ـ هولندا ـ فرنسا) .

وكان لهذه الشركات الاحتكارية نفوذ كبير على الحكومات العراقية في السابق ، وبأمكانها اسقاط اية حكومة تعتمد سياسة وطنية معادية للاستعمار ومصالحه الاحتكارية فهي تلجأ عادة الى تخفيض انتاج النفط ، للضغط على الحكومات حيث ان خفض الانتاج يعني خفض عوائد الحكومة من النفط ، وهذا يعني تخفيض الميزانية وأيقاف بعض مشاريع التنمية ، وتقليص الاستيراد، ومن ثم ازدياد البطالة ،

وتفشي الكساد الاقتصادي، ويترتب عادة على المشاكل الاقتصادية هذه اضطراب سياسي يشجع القوى المعارضة على تشديد نشاطها ضد النظام القائم. . من هنا كانت الحكومات السابقة لاتتعرض لمصالح الشركات النفطية بشكل جدي، اما رهبة منها أو بسبب عدم الرغبة بالنسبة لبعض الحكومات كحكومات العهد الملكي.

ثانياً: التأميم والاستقلال الاقتصادي:

كان على الثورة ان تعد العدة لمواجهة تأثير الشركات، والتهيئة لتأميم النفط وتحريره من سيطرة الشركات، وكان العراق في سنوات الثورة الاولى يعاني من عجز في ميزانيته متراكم من العهود السابقة، اي انه لم تكن لدى العراق ادخارات وأرصدة تمكنه من الاستغناء عن عوائد النفط، اذا أمم الشركات الاحتكارية ريثما ينجح التأميم فعمدت الثورة الى اتباع سياسة اقتصادية تهيء للتأميم. استهدفت هذه السياسة اعادة تنظيم الاقتصاد العراقي، وتحقيق نمو سريع في بعض المشاريع والفروع الاقتصادية، وتوفير مصادر جديدة للدخل، لتأمين عوائد بديلة لعوائد النفط، تتيح امكانية تأميمه، وضمان نجاح عملية التأميم من الناحية الاقتصادية.

في اطار هذه السياسة تم التركيز على استكمال المشاريع التي كان قد بوشر بها في سنوات ما قبل الثورة، وتأخر انجازها، وهي من مشاريع الاتفاقية العراقية السوفيتية، التي عقدت عام ١٩٥٩، وكذلك تم توسيع بعض المشاريع الصناعية القائمة، وتنفيذ مشروعات جديدة، بعضها ستراتيجي، واعادة تنظيم اوضاع القطاع الصناعي، وتشجيع رأس المال الخاص على بناء مشاريع صناعية ومشاريع مختلطة واعطيت اولوية للمباشرة بالاستثمار الوطني للنفط في الرميلة والاستثمار الوطني للكبريت.

كانت هذه الاجراءات بالاضافة الى ضغط النفقات الاستهلاكية وترشيد الاستثمار قد هيأت الاساس المادي للتأميم. وبالفعل كان العراق عندما اعلنت الثورة قرار التأميم في موضع قوي استطاع ان يفرض على الشركات الاحتكارية الاعتراف بالتأميم والرضوخ له والتعامل مع الحالة الجديدة كأمر محسوم لاتراجع فيه.

لقد وضع التأميم الاساس الموضوعي للاستقلال الاقتصادي. وبذلك تحررت الارادة الوطنية للثورة من كل اشكال الضغوط الاقتصادية. واصبح النفط ثروة وطنية تخضع لأرادة الشعب العراقي بشكل كامل، من التنقيب والانتاج الى التصنيع

والتسويق.

وقد جاءت السياسات التي اتبعتها الثورة بعد التأميم لتعزيز الاستقلال الاقتصادي، فأنشأت الثورة عدداً من المشاريع النفطية ذات الطبيعة الستراتيجية، مثل الخط الاستراتيجي، وميناء البكر، وأنبوب النفط المار عبر تركيا، ومشاريع الصناعة الكيمياوية، وغيرها من المشاريع التي تؤمن للعراق حرية واسعة في التصرف بثروته بعيداً عن محاولات الابتزاز والاستغلال، سواء من نظام حافظ اسد ان من بلدان المنطقة الاخرى.

وتعاملت الثورة مع مسألة التنمية والتجارة الخارجية، طبقاً لقواعد وأسس تعزز الاستقلال الاقتصادي بشكل فاعل، ففي ميدان التنمية الشاملة التي نفذتها الثورة، كانت هناك حاجة الى الاستعانة بالشركات والمؤسسات الاجنبية، وقد عمدت الثورة حفاظاً على استقلاليتها، الى التعامل مع شركات من دول مختلفة تجنباً للتبعية، كما انها ربطت بين اعطاء المقاولات للشركات الاجنبية وبين موقف دول تلك الشركات من القضايا الوطنية والقومية والامر نفسه في ميدان التجارة الخارجية، اذ تعززت علاقات العراق التجارية مع مختلف دول العالم، وفي ضوء مواقفها من قضايانا الوطنية والقومية، وفي ضوء المصالح المتبادلة والاسعار والتنفيذ، وبذلك تجنب العراق ربط تجارته بأي كتلة أومحور أجنبي. واصبح لديه مرونة عالية في التصرف مما يجعل استقلاله الاقتصادي كاملاً غير منقوص.

ثالثاً: تعزيز الاستقلال السياسي:

وبينما كانت الثورة تعزز الاستقلال الاقتصادي للبلاد كانت، في الوقت نفسه، تعمل على تعزيز الاستقلال السياسي، ذلك ان نجاح الثورة في ١٧ ـ ٣٠ تموز كان بمثابة البداية، فالعراق كان يعاني من انتشار شبكات التجسس الصهيونية والاستعمارية والايرانية على نطاق واسع فيه. وكانت السلطة المركزية للدولة ضعيفة، والثقافات الاجنبية متفشية بين المواطنين، وروح المسؤولية تجاه الدولة والوطن ضعيفة بسبب سياسات العهود السابقة، والعلاقات الدولية غير متوازنة ولاتقوم على اساس متين، فعمدت الثورة الى تصفية شبكات التجسس، واشاعة الثقافة الوطنية والقومية، وبنت الثورة وعززت السلطة المركزية للدولة، ووسعت علاقاتها الدولية، ونوعت

مصادر السلاح، وشرعت ببناء صناعة عسكرية وطنية، كما عالجت مسألة الطابور الخامس لأيران، والمتمثل بالايرانيين المقيمين في العراق، والذين كانوا يقدمون خدماتهم للنظام الايراني، بغض النظر عن طبيعته، سواء في عهد الشاه أو في عهد خميني، فأجلتهم بعد انفجار الحرب ضد نظام خميني.

رابعاً: حل المسألة الكردية:

وواجهت الثورة المسألة الكردية، هذه المسألة المعقدة، التي استخدمت من قبل القوى الدولية، لاشاعة الاضطراب في العراق، واستنزاف ثرواته، ولتفتيت وحدته الوطنية، واشغاله عن التفرغ للتنمية، وعن التفرغ لمواجهة التوسع والعدوان الصهيوني، لقد كانت الثورة ترى في المطامح القومية للشعب الكردي مطامح مشروعة، ولكن بعض القيادات الكردية رهنت هذه القضية لخدمة المخططات الامبريالية والصهيونية في العراق كما فعل البرزاني... وقد انطلقت الثورة في التعامل مع المسألة الكردية من منطلق مبدئي ثابت عبر عنه التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن في ان «الحركة القومية الكردية في العراق... هي من حيث الجوهر والاساس حركة قومية تمتلك في حدود مطالبتها بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي في اطار الجمهورية العراقية، وعلى رأسها الحكم الذاتي مبررات مبدئية واقعية، وانها، في هذا الاطار، جزء اساسي من الحركة الوطنية في القطر العراقي. وان المنهج الاساس والثابت الذي يعتمده حزب البعث العربي الاشتراكي في الوصول الى تأمين هذه الحقوق وضمانها هو المنهج السلمي والديمقراطي عن طريق التعاون المخلص والايجابي مع القوى الخيرة الوطنية والتقدمية في صفوف الجماهير الكردية، وفي اطار العمل الوطني المشترك المتمثل بالجبهة الوطنية والقومية التقدمية».

ووجد الحزب الصيغة الصائبة والمتكاملة لحل المسألة الكردية في بيان ١١ آذار ١٩٧٠، والذي يتلخص في انه حقق الطموحات القومية للشعب الكردي المتمثلة بالحكم الذاتي في اطار الجمهورية العراقية، وحقق في الوقت نفسه، الوحدة الوطنية للشعب العراقي بعربه وأكراده وأقلياته القومية الاخرى.

وكان هذا البيان لايرضي القوى المشبوهة داخل الحركة القومية الكردية، وفي

مقدمتها مصطفى البارزاني كما لايرضي الامبريالية والصهيونية اللتين تريدان ان تبقيا المسألة الكردية ورقة تستخدم عند الحاجة لشل قدرات العراق واستنزافها، وهكذا عندما وضعت القيادة قانون الحكم الذاتي موضع التطبيق، في آذار ١٩٧٤ وتأسيس المجلسين التشريعي والتنفيذي، وكما نص على ذلك بيان ١١ آذار ١٩٧٠، رفض البارزاني تطبيق القانون المذكور، وأعلن تمرده، مدعوماً من شاه ايران ومن الكيان الصهيوني ومن الدوائر الامبريالية، وكان للسياسة الصائبة، التي اعتمدتها قيادة الحزب والثورة اثرها الكبير في سحق التمرد وهزيمته، واتاحة الفرصة لتطبيق الحكم الذاتي.

ومنذ هزيمة الجيب العميل، ومنطقة الحكم الذاتي تشهد ازدهارا في كافة الميادين، وتشهد تلاحماً عميقاً بين الجماهير الكردية وحزب البعث، ويوماً بعد آخر، تتعزز الوحدة الوطنية رغم المحاولات المستمرة للدوائر الامبريالية والصهيونية والنظامين السوري والليبي بالاضافة الى محاولات النظام الايراني لأشاعة الفوضى والاقتتال بين الشعب العراقي الموحد.

خامساً: الجبهة الوطنية:

عانى العراق طويلاً من تفكك عرى الوحدة النضالية بين القوى السياسية، وشهدت فترة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ صراعاً دموياً بين الاحزاب السياسية. ورغم ان محاولات العمل الجبهوي قامت خلال العهد الملكي (١٩٥٤، ١٩٥٧) الا انها لم تستمر طويلاً اذ سرعان ما تفككت الوحدة الوطنية بعد ثورة تموز ١٩٥٨، ونشأ الاحتراب بين القوى السياسية.

وبعد ثورة ١٧ تموز، وجدت قيادة الحزب والثورة، ان بناء العراق الجديد لابد أن يقترن ببناء جبهة وطنية تقدمية تساهم اطرافها في بناء العراق الجديد. وبالفعل دعت الى حوار مع الاحزاب السياسية، استمر عدة سنوات (من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣) اذ توج بأقامة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في ١٧ تموز ١٩٧٣.

لقد اعتبر الحزب قيام الجبهة انجازاً وطنياً مهما وخطوة بارزة عن طريق توحيد قوى الشعب من اجل إنجاز المهمات الوطنية والقومية إنجازاً عميقاً وشاملاً، واعتبرها نموذجاً يمكن ان يشع بأثاره الايجابية على قوى حركة الثورة العربية التي عانت سنوات

طويلة من شرور التمزق والتناقض. ومنذ البدء اكد الحزب بصورة صريحة لا غموض فيها انه هو وحده صاحب الحق التاريخي والواقعي في قيادة المسيرة الثورية في البلاد، اذ انه هو الذي فجر الثورة وهو الذي حقق منجزاتها الاساسية وهو الذي يمتلك اوسع قاعدة جماهيرية، وان على الاحزاب التي تشارك في الجبهة ان تقبل بهذه الواقعية، وان تتعامل معها تعاملاً موضوعياً وشريفاً في آن واحد. الا أن الحزب الشيوعي خرج عن مبادئ الجبهة وميثاقها المعلن، فعمد بعد تصفية الجيب العميل الى محاولة احتكار العمل السياسي بين ابناء شعبنا الكردي، وشجع النزعات الشوفينية والانفصالية، وبينما كان ميثاق العمل الجبهوي يحصر النشاط الحزبي في القوات المسلحة والطلاب بالحزب، عمل الحزب الشيوعي على تشكيل خلايا حزبية في الجيش مخالفاً قواعد الجبهة. وكان موقفه من مسيرة الثورة موقف الناقد المتصيد للاخطاء التي لابد من أن يقع بعضها في مسيرة طويلة، ليبرر موقف العداء للحزب، وعندما قامت الحرب كان يقف ضد الوطن متحالفاً مع الاعداء مسجلاً على نفسه موقفاً شائناً يتنكر لأبسط الواجبات الوطنية... وبخروج الحزب الشيوعي استمرت مسيرة الجبهة.

سادساً: التحولات الديمقراطية:

لابد ان يكرس مجتمع الثورة القيم الاصيلة للممارسة الديمقراطية. وحظيت هذه المسألة بأهتمام قيادة الحزب والثورة. ورغم صعوبة الظروف الاستثنائية التي واجهتها الثورة على الصعيد القطري والعربي، كالتمرد في شمال الوطن وزيارة السادات للقدس المحتلة وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، والمواقف الخاطئة للحزب الشيوعي من الثورة، فأن الثورة خطت خطوات ثابتة لبناء المؤسسات الديمقراطية، ولخلق تقاليد في الممارسات الديمقراطية وقد اتخذت المسيرة الديمقراطية للثورة مرحلتين:

(١) مرحلة الممارسة الديمقراطية خارج اطار الصيغ التقليدية المتعارف عليها في دول العالم، اذ اعتمدت على الوسائل الديمقراطية المختلفة، مثل توسيع دور المنظمات الشعبية والمهنية، ودورها في مراقبة ومناقشة اجهزة الدولة وتشكيل مجالس الشعب، واعطاء دور للصحافة الرسمية والحزبية، وفي هذه الصيغ، كانت آراء الجماهير تعبر عن نفسها بكل صراحة ووضوح، وتصل الى قيادة الحزب والثورة. ولعبت

هذه الصيغة دوراً مهماً في رصد مسيرة الثورة، وتشخيص السلبيات والممارسات الاستعلائية لبعض اجهزة الدولة، لتعالجها القيادة بحزم وجدية.

(٢) الدخول بممارسة الديمقراطية، عن طريق المؤسسات الديمقراطية، وفي مقدمتها المجلس الوطني حيث لأول مرة وفي عام ١٩٨٠ انتخب العراقيون المجلس الوطني الاول في عهد الثورة، بطريق الانتخابات المباشرة، مع حرية الترشيح لكل العراقيين من البعثيين وغير البعثيين. ولم يمنع من الترشيح الا الشيوعيون لخيانتهم للوطن والشعب والثورة والذين كانوا اعضاء في المجالس النيابية للحكم الملكي. . وكان المرشحون لعضوية المجلس ٨٤٠ مرشحاً تنافسوا على ٢٥٠ مقعداً.

ومن الممارسات الديمقراطية المباشرة، التي تعتبر تجربة خاصة بالعراق، الاتصال المباشر بين الرفيق القائد صدام حسين والمواطنين، سواء عن طريق الهاتف أم عن طريق المقابلة أم من خلال زياراته التفقدية للمواطنين في كل ركن من اركان العراق.

سابعاً: التحولات في الميدان الاقتصادي:

كان هدف الثورة هو بناء اقتصاد وطني متطور يتمتع بالاستقلالية، ليكون قاعدة انطلاق للثورة العربية، وقد اتخذت اجراءات الثورة لتحقيق هذا الهدف اتجاهات ثلاثة رئيسة، تلخص ما حققته الثورة من تغيير عميق في الواقع الاقتصادي للقطر هي:

(١) اعتماد التخطيط الاقتصادي الشامل، للسيطرة على توجيه حركة تطور الاقتصاد العراقي، طبقاً لأهداف الحزب والثورة، وبما يحقق للعراق اقتصاداً عصرياً، يقوم على اسس اشتراكية، تحقق العدالة الاجتماعية بين المواطنين، وتؤمن الرفاه والازدهار لجميع الطبقات والشرائح الاجتماعية.

ورغم ان العراق قد اخذ بالتخطيط بعد ثورة ١٩٥٨، الا ان تلك التجربة التخطيطية اكتنفتها نواقص وأخطاء كثيرة جعلت مردودها محدوداً، فقبل الثورة وضعت ثلاث خطط اقتصادية. تميزت الخطط المذكورة بضعف نسب التنفيذ حتى ان العديد من مشروعات الخطة المؤقتة (١٩٥٩ - ١٩٦١) نفذت أو اكمل تنفيذها وتشغيلها بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨.

اما بعد الثورة، فقد اصبح التخطيط لاول مرة ذا طبيعة شاملة، تتناول

الجوانب الاجتماعية والتربوية بالاضافة الى الجوانب الاقتصادية، واعتمد لاول مرة اسلوب التخطيط بعيد المدى، وتحسنت نسب التنفيذ، وبلغت، في خطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ ـ ١٩٧٤، ٨٩/٣ بالمئة لسنة ٧٠ ـ ١٩٧١ و١٠٢ بالمئة لسنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ وفي خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠، تجاوزت في بعض القطاعات نسبة ١٠٠ بالمئة.

(٢) ولغرض القضاء على التخلف وتحديث الاقتصاد العراقي وتطويره، اعتمدت قيادة الحزب والثورة مبدأ تحقيق التنمية الانفجارية، وخاصة بعد نجاح تأميم النفط، اذ توافرت الاموال اللازمة للتنمية، فأنشأت في البلاد صناعات ستراتيجية لاول مرة، كصناعات الحديد والصلب والصناعات الهندسية والكيمياوية، بالاضافة للصناعات الاخرى المختلفة، ويمكن القول انه، خلال السنوات الماضية، بنيت في العراق صناعة متينة وعصرية تلبي نسبة مهمة من احتياجات القطر الى السلع والمنتجات الصناعية. ويتبين حجم الاهتمام الذي حظي به القطاع الصناعي، من ملاحظة ان مجموع التخصيصات لهذا القطاع خلال ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠ بلغت ١٨٨/٩ مليون دينار، اما خلال الفترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ فقد بلغت ٣٦٥/٤ مليون دينار، ارتفعت الى ٣٨٣٢/٣ مليون دينار للفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٨١. وقد كان لذلك نتائج مهمة على صعيد التنمية اذ ترتب عليه ارتفاع في قيمة الانتاج الصناعي من ٢٦٦/٥ مليون دينار عام ١٩٦٨ الى ٥٩٤/٩ مليون عام ١٩٧٤ الى ١٧٩٧/٩ مليون عام ١٩٨١.

وفي الزراعة اقامت الثورة المشاريع اللازمة لتطوير الانتاج الزراعي، وخاصة مشاريع الري والبزل والسدود والخزانات وطرق المواصلات، بالاضافة الى مشاريع الانتاج الزراعي، الحيواني والنباتي وادخال المكننة الزراعية، وقد بلغت تخصيصات القطاع الزراعي خلال خطة التنمية التفصيلية (١٩٦٥ ـ ١٩٦٩)، ١٤٦/٥ مليون دينار ارتفعت الى ٢٣٩/٣ مليون دينار للفترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ والى ٢٩٢٩/٦ مليون دينار للفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٨١. ومقابل ذلك ارتفعت قيمة الانتاج الزراعي من ٢٠٠/٨ مليون دينار عام ١٩٦٨ الى ٣٥٤/٩ مليون دينار عام ١٩٧٤ الى ١٢٨٠/١ مليون دينار عام ١٩٨١.

اما في التجارة، فقد وضعت التجارة لأول مرة في خدمة التنمية والبناء

الاشتراكي، وتعزيز الاستقلال الاقتصادي، وفي خدمة الاستهلاك الشعبي العام فقد اتسع نشاط القطاع الاشتراكي في التجارة الخارجية والداخلية، وأرتفعت تخصيصات مناهج الاستيراد بدرجة كبيرة، من متوسط بلغ ١٤١ مليون دينار للفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩ الى ١٨٠٥/١ مليون دينار عام ١٩٧٤ الى ٥٥٢٣/٤ مليون دينار عام ١٩٨١.

وتحقق تغير في طبيعة السلع المستوردة، فبعد أن كان الجزء الاعظم من الاستيرادات يتكون من سلع الاستهلاك، اصبح في ظل الثورة يتكون بالدرجة الاولى من سلع الانتاج، التي تحتاجها خطط التنمية، فأصبحت سلع الانتاج والسلع الوسيطة عام ١٩٨١، تكون نسبة ٧٩ بالمئة من مجمل السلع المستوردة.

(٣) توسيع القطاع الاشتراكي وأقامة انماطالانتاج الاشتراكية في مختلف القطاعات، فالثورة انطلاقاً من مبادئها الاشتراكية لبناء مجتمع تتحقق فيه العدالة ويزول الاستغلال وسعت نطاق القطاع الاشتراكي في الصناعة والزراعة والتجارة، اضافة الى القطاعات الخدمية والاجتماعية، ففي الصناعة اصبح القطاع الاشتراكي هو السائد، وهو الذي يقود النشاط الاقتصادي الصناعي، واصبح القطاع الخاص في موقع تابع ينشط في اطار الحدود التي تقررها الدولة، بحيث يبقى مهما تطور في اطار سيادة القطاع الاشتراكي، بالاضافة الى ان القطاع الاشتراكي يتمركز في الصناعات الاستراتيجية والكبيرة، في حين يختص القطاع الخاص بالصناعات الصغيرة والاستهلاكية.

وفي الزراعة، قضت الثورة على الاقطاع نهائياً، تشريعياً واجتماعياً ومادياً، من خلال قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ الذي الغى حق الاقطاع في التعويض عن الاراضي المستولى عليها، ووزع الارض على الفلاحين مجاناً، واقام الجمعيات التعاونية لتأمين مستلزمات الزراعة وأنشأ الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية، كتنظيم جماهيري، واصبح واقع الملكية الزراعية بعد تنفيذ الاصلاح الزراعي على النحو التالي:

أ ـ الحيازة الزراعية الصغيرة (اقل من عشرة دونمات) تشكل نسبة ٢/٨ بالمئة من مجموع الاراضي الزراعية.

ب ـ الحيازة المتوسطة (١٠ ـ ١٢٠ دونما) تشكل ٦٦/٤ بالمئة من الاراضي الزراعية.

ج ـ الحيازة الكبيرة (١٢٠ ـ ٣٠٠ دونم) تمثل ١٦/٩ بالمئة من الاراضي الزراعية.
د ـ الحيازة التي تزيد على (٣٠٠ دونم) تمثل ١٣/٧ بالمئة وتتركز في الاراضي الديمية.
وهذا يعني ان الاساس المادي للاقطاع والمتمثل بالملكية الكبيرة قد زال تماماً من الريف العراقي.

والى جانب الزراعة اصبحت مشاريع الخدمات العامة تتركز جميعاً بيد الدولة كالصحة والتعليم والمواصلات والاسكان والماء والكهرباء والهاتف وغير ذلك.

ثامناً: التغييرات الاجتماعية:

ان بناء المجتمع الجديد عملية شاملة تتكامل عناصرها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل تصور امكانية بناء مجتمع جديد تحكمه قيم جديدة بالاعتماد على الجوانب الاقتصادية والمادية حسب، بل لابد من الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والثقافية التي تسهم ببناء الجانب المعنوي والروحي في المجتمع الجديد. ومن هنا كانت الثورة حريصة على بناء مجتمع تنمو فيه القيم الجديدة والثقافة الوطنية والقومية والاشتراكية جنباً الى جنب مع بناء المصانع والمزارع وطرق المواصلات، فالحرية والممارسة الديمقراطية والمساواة في القيمة الانسانية بين المواطنين، واحترام قيم العمل والتضحية في سبيل الوطن والامة، واحترام المرأة، واتاحة الفرصة الطبيعية لمشاركتها في صنع حياة المجتمع، كلها، امور لايمكن قيام المجتمع الجديد بدونها.

واذا اختلت المعادلة بين الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي في عملية التغيير الثوري وبناء المجتمع الجديد فأن مسيرة التغيير تتعرض الى انتكاسات وقد تتعثر الى حد النكوص.

وتأسيساً على ذلك اولت الثورة الجوانب الاجتماعية اهتماماً كبيراً، فحظيت المؤسسات التعليمية برعاية كبيرة، من الناحيتين الكمية والنوعية، ووفرت مستلزمات اتاحة فرص التعليم لجميع المواطنين وبشكل مجاني، مما ادى الى ارتفاع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من (١/٠١) مليون تلميذ عام ١٩٦٨ الى (٢/٦) مليون تلميذ عام ١٩٨١، والتعليم الثانوي من (٢٨٥/٧) الف طالب عام ١٩٦٨ الى ١/١ مليون عام ١٩٨١.

ونالت الثقافة الوطنية والقومية رعاية هي الاخرى، فتطورت اجهزة الثقافة والاعلام

من اذاعة وتلفزيون ومسرح وصحافة وترجمة وفنون موسيقية وتشكيلية وثقافة الاطفال والازياء والتراث الشعبي والثقافة الكردية وغيرها.

كما حظي النشيء الجديد والشباب عموماً برعاية الثورة واقيمت بيوت الشباب والنوادي والقاعات الرياضية والمنظمات الشبابية ومؤسسات التدريب والتربية العسكرية وغيرها. كما أتيحت للمرأة حرية متوازنة مع حركة المجتمع واصبحت القوانين والتشريعات تعاملها معاملة متساوية مع الرجل في القيمة الانسانية، وفتحت امامها فرص العمل في كل الميادين دون استثناء... واهتمت الثورة بالقضاء على الامية كمرض خطير يؤثر على فعاليات المجتمع وتطوره عن طريق الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية.

وهكذا نلاحظ ان الثورة وخلال ستة عشر عاماً من عمرها قطعت شوطاً كبيراً على طريق بناء المجتمع الجديد الذي نادت مبادئ الحزب بأقامته. واذا كانت ظروف التآمر والتحدي الامبريالي وخاصة الحرب العدوانية التي فرضها نظام خميني قد فوتت فرصاً اخرى لتطور العراق، فأن ما تحقق جدير بأعتزاز كل العراقيين واعجابهم، خاصة عندما نتذكر ما كان عليه العراق في ظل العهود التي سبقت ثورة البعث العظيمة في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨.

[خلاصـــة]

بناء المجتمع الجديد

أولاً: عندما تسلم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة السياسية في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨، كان عليه ان يواجه مهمة وضع المبادئ التي ناضل من اجلها وبشر بها موضع التنفيذ وكان الحزب يواجه مهمة اعادة بناء العراق اقتصاداً ومجتمعاً ونظاماً سياسياً وعلاقات دولية بناء جدياً يجسد مبادئه حول المجتمع الديمقراطي الاشتراكي المتطور.

ثانياً: وكانت اكبر الصعوبات وأخطرها فقدان الاستقلال الاقتصادي فالعراق يعتمد في تمويل ميزانيته الاعتيادية على النفط بدرجة كبيرة وهذا المصدر أي النفط

كان يخضع لسيطرة الشركات الاحتكارية.

ثالثاً: ووضع التأميم في الاول من حزيران عام ١٩٧٢ الاساس الموضوعي للاستقلال الاقتصادي وأصبح النفط ثروة وطنية تخضع لأدارة الشعب العراقي بشكل كامل من التنقيب والانتاج حتى التصنيع والتسويق.

رابعاً: وعملت الثورة على تعزيز الاستقلال السياسي، فعمدت الى تصفية شبكات التجسس وإشاعة الثقافة الوطنية والقومية، وبنت الثورة وعززت السلطة المركزية للدولة ووسعت علاقاتها الدولية.

خامساً: واجهت الثورة المسألة الكردية، هذه المسألة التي استخدمت من قبل القوى الدولية لأشاعة الاضطراب في العراق وأستنزاف ثرواته. ووجد الحزب الصيغة الصائبة والمتكاملة لحل المسألة الكردية في بيان ١١ آذار ١٩٧٠ الذي حقق الطموحات القومية للشعب الكردي المتمثلة في الحكم الذاتي في اطار الجمهورية العراقية.

سادساً: وفي العمل الجبهوي وجدت قيادة الحزب والثورة أن بناء العراق الجديد لابد أن يقترن ببناء جبهة وطنية تقدمية تساهم اطرافها في بناء العراق الجديد. وبالفعل دعت الى حوار مع الاحزاب السياسية استمر من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ وتوج بأقامة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في ١٧ تموز ١٩٧٣.

سابعاً: وخطت الثورة خطوات ثابتة لبناء المؤسسات الديمقراطية اتخذت في مسيرتها مرحلتين: الاولى مرحلة الممارسة الديمقراطية خارج اطار الصيغ التقليدية المتعارف عليها في دول العالم، مثل توسيع دور المنظمات الشعبية والمهنية ودورها في مراقبة ومناقشة اجهزة الدولة. وتشكيل مجالس الشعب واعطاء دور للصحافة الرسمية والحزبية

والثانية الدخول في ممارسة الديمقراطية عن طريق المؤسسات الديمقراطية وفي مقدمتها المجلس الوطني حيث لأول مرة وفي عام ١٩٨٠ انتخب العراقيون المجلس الوطني الاول في عهد الثورة بطريق الانتخابات المباشرة مع حرية الترشيح لكل العراقيين.

ثامناً: وشهدت ميادين التجارة والصناعة والزراعة والصحة والتربية والتعليم تحولات كبيرة انعكست نتائجها على رفع المستوى المعاشي للمواطنين ونقلت العراق الى مرحلة متقدمة بعد ان كان يعاني من التخلف والتبعية.

- ٤ -

الجَيش العَراقي



يعتبر الجيش العراقي من اكبر المؤسسات في الدولة العراقية، التي تتمتع باحترام الشعب وتحظى بحبه ورعايته، منذ ان تأسس في السادس من كانون الثاني عام ١٩٢١ وحتى يومنا هذا، ولم يبخل الشعب العراقي على جيشه الباسل بشيء فكثيراً ما كان الشعب وخاصة في سنوات التأسيس الاولى، يبادر الى تقديم التبرعات السخية لتمكين الجيش من شراء الاسلحة والذخائر حينما كانت الدولة العراقية لاتزال حديثة عهد وليس لديها ميزانية كبيرة تمكنها من الانفاق على الجيش. وبالمقابل كان الجيش العراقي قريباً من الشعب، وثيق الصلة به، يعاني الامه وطموحه، ويتطلع الى تحقيق اهدافه، رغم المحاولات التي بذلها الاستعمار البريطاني لبذر روح الشقاق بين الشعب والجيش وبين القيادات العسكرية داخل الجيش نفسه.

ومنشأ هذه المكانة التي يتمتع بها الجيش العراقي لدى ابناء الشعب متات من ان العراقيين افتقروا الى الدولة الوطنية والى الجيش العراقي منذ قرون طويلة، وتحديداً منذ ان سقطت بغداد على يد هولاكو عام ١٢٥٨م.

ان غياب الدولة الوطنية والجيش الوطني جعل العراق مسرحاً لتسلط الدول الاجنبية والصراع فيما بينها على امتلاك النفوذ فيه، فخضع قروناً عديدة للدولة العثمانية وتعرض للاثار المدمرة الناتجة عن الصراع العثماني - الفارسي على ارضه وثرواته وسيادته وبعد سقوط الدولة العثمانية، فرض الاستعمار البريطاني بقوة السلاح سيطرته على العراق، واخضعه لحكمه المباشر، ولولا غياب القوة العسكرية المنظمة للعراقيين، لما تكمن الاستعمار البريطاني من القضاء على ثورة العراقيين الكبرى (ثورة العشرين) والتحكم بشؤون العراق طيلة اكثر من اربعين عاماً(١٩١٤ - ١٩٥٨). وهكذا استقبل العراقيون هذا الحدث الكبير تأسيس الجيش العراقي بالكثير من الفرح والاعتزاز والتفاؤل وعقدوا عليه الامال الكبيرة، ووجدوا فيه المؤسسة القادرة على تحقيق استقلال العراق وصيانة سيادته والمحافظة على ارضه من الاطماع الخارجية.

ولغرض الاحاطة السريعة بنشأة الجيش ودوره في تاريخ العراق الحديث سنتناول ذلك من خلال النقاط التالية:-

اولاً: الجيش والسياسة:

من الصعب تصنيف الجيوش الحديثة ضمن نمط محدد من التصنيفات الاجتماعية او العقائدية كالقول بان الجيش يشكل طبقة او يمثل طبقة معينة دون الاخرى، او

يحمل عقيدة معينة دون سواها فمثل هذا التصنيف لاينسجم مع واقع الجيوش الحديثة في العالم.

لكن من الثابت ان الجيش مؤسسة لها سمات وخصائص محددة، قد لاتتوفر من حيث طبيعتها في اية مؤسسة من مؤسسات الدولة. وتصح هذه الحقيقة على الجيوش الحديثة جميعها، وفي كل دول العالم، وان وجد اختلاف بشأنها فهو اختلاف في الدرجة وليس في الجوهر والطبيعة. ومن هذه السمات والخصائص:

(١) . ان الجيش يتميز باحترام النظام والتقيد بالانضباط العالي ويشكل النظام والانضباط سمتين من ابرز سمات المؤسسة العسكرية ومن اهم عناصر قوتها ونجاحها.

(٢) . يتميز الجيش بالتراتبية الهرمية بشكل صارم، فالتسلسل الهرمي طبقاً للمراتب، هو الذي ينظم العلاقات بين افراد المؤسسة العسكرية، وفي هذا الاطار يكون للرئيس حق مطلق في توجيه الاوامر والتعليمات وعلى المرؤسين الطاعة والتنفيذ.

(٣) . تنفيذ الاوامر والطاعة عنصران من التكوين النفسي العسكري ولذلك يعتبر من اعظم الامور لدى العسكري اطاعة الاوامر وتنفيذها، دون ان يشعر بأي نوع من المشاعر السلبية، وهو يمارس ذلك، وعلى العكس فانه لايحس بشخصيته العسكرية الا في هذه الممارسة.

(٤). والعسكري يتميز عن غيره من افراد المجتمع، بأنه اختار برغبته مهنة تتميز بالمغامرة والمخاطرة، وانه الوحيد من بين منتسبي اية مؤسسة في الدولة ينفذ الاوامر برغبة صادقة وحماس عال وهو يعرف ان تنفيذ الامر قد يودي بحياته.

ان هذه السمات التي تميز مؤسسة الجيش في كل دول العالم اعطت لهذه المؤسسة دوراً متميزاً في حياة مجتمعاتها وحظيت بمكانة بارزة تفوق مكانة اية مؤسسة اخرى

انها تختلف بعض الجيوش الحديثة في سماتها عن السمات التي اشير اليها نتيجة لظروف نشأتها وبنائها، ففي العصر الحديث، ونتيجة لمعارك التحرر والاستقلال افرزت حروب التحرر الوطني القومي انماطا من الجيوش يطلق عليها الجيوش الثورية، تمييزاً لها عن الجيوش التقليدية المحترفة والفرق بين هذين النوعين من الجيوش هو ان الاولى نشأت في خضم نضال ضد المستعمر، فقامت على اساس التطوع اولاً، واعتمد انضباطها والتزامها على الوعي العقائدي باعتبارها مؤسسة تقاتل ضد سلطة

الاحتلال والاستعمار ومن امثلتها الجيش الصيني والكوبي والفيتنامي والجزائري وجيش منظمـة التحـريـر الفلسطينيـة، اما الجيوش التقليدية او المحترفة فهي التي نشأت على اعتبار العسكرية مهنة لها تقاليدها وانظمتها. وغلباً مانجد الجيوش المحترفة تأتمر باوامر القيادة السياسية في الدولة ولاتتدخل في الشؤون السياسية وتنحصر مهمتها بالدفاع الوطني.

وفي البلدان، حديثـة الاستقـلال نشأت بعض الجيـوش بمساعدة الدولة المستعمرة وبأشـرافهـا. وعـادة تحاول الـدولـة المستعمرة ان تغرس في الجيش النزعة الاحترافية، والعـداء للشعب والـترفـع عليـه وتحـاول اضعاف الروح الوطنية لديه، وتحوله الى قوة بوليسية تتولى نيابة عنها قمع المعارضة الوطنية.

من هنا نستطيع القول ان الجيوش في الدول حديثة الاستقلال تكون اما:

جيـوشـاً تقليـديـة عريقـة اوجيـوش الحروب التحريرية اوجيوشاً نشأت بمساعدة الدول المستعمرة واشرافها.

ومع ان هناك اختلافات بينة في التركيب الاجتماعي لهذه الانماط الثلاثة من الجيوش الا ان تطور مهام المؤسسة العسكرية في العصر الحديث، واتساع حجمها قد جعلا من الصعب حصر الجيش في اصول اجتماعية وطبقية محددة، واصبح الجيش مؤسسة تضم في صفوفها منتسبين ينتمون الى مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية، ومن ثم يكون النقاء الطبقي داخل الجيش فكرة غير واقعية.

ان هذا التركيب الاجتماعي المتنوع يجعل الجيش على صلة بالمجتمع ومن ثم فلابد ان يلعب دوراً في الحيـاة السيـاسيـة، فالقـادة العسكـريـون لايتـدخلون في الشـؤون السيـاسيـة اذا كان القـادة السيـاسيـون يتصرفون بحكمة، وبما يخدم مصلحة البلاد، ولكن عنـدمـا تعم الفـوضى وتضعف الـدولة وتتهددها مخاطر الدول المجاورة لايقبلون بذلك ويتدخلون لتغيير الحكومات اولتسلم السلطة مباشرة كما حدث في تركيا اكثر من مرة، رغم ان الجيش الـتركي من الجيـوش التقليـديـة العـريقـة التي اعتادت ان تلتزم بمهماتها العسكرية ولاتتدخل في السياسة.

وفي العالم الثالث حيث توجد السيطرة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة، لايستطيع الجيش ان يبتعـد عن السيـاسـة فللضبـاط والصغـار منهم بخـاصـة طمـوحهم الوطني وارتباطهم بالمجتمع، ومشاركتهم اياه مطامحه والامه، وهذا يجعلهم يفكرون على نحو

متزايد بالعمل في الشؤون السياسية، وكان ابرز تعبير عن هذا التدخل هو الانقلابات العسكرية.

ومع ان الانقلابات قد تكون ذات طبيعية وطنية، تتحول الى ثورة او تكون مدفوعة بعوامل خارجية غير وطنية، الا انها تعتبر ابرز اشكال التدخل العسكري في السياسة.

ثانياً: تأسيس الجيش العراقي وتطوره:

تشكلت النواة الاولى للجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١، من عشرة ضباط، بلغ عددهم في نهاية عام ١٩٢١، ٥١٩ منتسباً وفي نيسان من السنة نفسها انشئت مدرسة تدريب الضباط الاقدمين، وفي حزيران تم تشكيل اول فوج في الجيش العراقي، باسم فوج الامام موسى الكاظم. وكان مقره في الحلة وتم تشكيل الفوج الثاني في تشرين الثاني من السنة نفسها وكان مقره الموصل.

اعتمد الجيش العراقي اول الامر في تكوينه على التطوع. وخلال ستة اشهر من فتح باب التطوع بلغ عدد المتطوعين٢٨٠٩متطوعاً وكانت بريطانيا الاستعمارية بصفتها محتلة للعراق تعارض صيغة التجنيد الالزامي رغبة منها في عدم توسيع حجم الجيش ولتضمن مهمة السيطرة عليه، اذا ما اتخذ مواقف وطنية معادية منها.

وحين فتح التطوع في الجيش كان اقبال المواطنين عليه كبيراً الى درجة ان السلطات البريطانية اوقفته في السنة التالية لتأسيس الجيش (اب ١٩٢٢) وخفضت رواتب المتطوعين واغلقت بعض مراكز التجنيد ورغم ذلك استمر تدفق المتطوعين وارتفعت نسبة الذين اخذوا يقررون تطوعهم من ٥٠٪ عام ١٩٢٤ الى ٧١٪ عام ١٩٢٥.

وكانت الحكومة العراقية وقادة الجيش يطمحون الى تشريع قانون خدمة العلم الالزامية منذ عام ١٩٢٥ ولكنهم لم ينجحوا الا بعد دخول العراق عصبة الامم وانتهاء عهد الانتداب البريطاني، اذ شرع انذاك قانون التجنيد الاجباري.

وفي عام ١٩٢٥ بلغ عدد افراد الجيش العراقي ٨٠٠٠ جندي وفي عام ١٩٣٢ اصبح الجيش العراقي يضم ٥٤٩ ضابطاً، و ٩٣٢٠ ضابط صف وجندياً، و٧٩٤ توابعياً.

وانشيء اول معمل لانتاج عتاد الاسلحة الخفيفة وبدأ بالانتاج في كانون الاول ١٩٣٤ بسعة (٩٧/٠٠٠ اطلاقة). وأنشئت الكلية العسكرية في نيسان من عام

١٩٢١ بصف دراسي واحد، ضم عشرين ملازماً عراقياً. وفي تموز ١٩٢١ تأسست بصورة رسمية والتحق بها ١٥٦ ضابطاً بين مقدم وملازم وقد جرت محاولة الغائها عام ١٩٢٣ ثم اعيد فتحها عام ١٩٢٤. وفي سنة ١٩٢٦ اصبحت تضم ثلاثة صفوف وفي عام ١٩٢٧ تأسست كلية الاركان.

وفي عام ١٩٢٥ تألفت نواة الاسطول النهري الذي اصبح يتكون من اربع سفن نهرية مزودة بمدافع ورشاشات في عام ١٩٣٧.

وتم الاستعداد لتشكيل القوة الجوية عام ١٩٢٧ وهو تاريخ قبول بريطانيا بعثة خمسة طلاب عراقيين في كلية القوة الجوية الملكية البريطانية اعقبتها عدة بعثات، وتشكل السرب الاول في القوة الجوية عام ١٩٣٢ وانشئت مدرسة الطيران عام ١٩٣٣.

ثالثاً: المحاولات البريطانية للابقاء على الجيش العراقي ضعيفاً:

بذلت بريطانيا جهوداً محمومة لابقاء الجيش العراقي ضعيفاً والحيلولة دون تطوره الى مؤسسة عسكرية ذات قوة ضاربة سواء في مقارعة القوات البريطانية التي تحتل العراق انذاك ام في الدفاع عن ارض العراق ضد الاطماع الخارجية. ولم يكن موقف بريطانيا هذا مفاجئاً للمواطنين العراقيين، فهي عندما وافقت على تأسيس الجيش العراقي، كانت تخطط اساساً لبناء هذا الجيش كبديل لقوات الاحتلال البريطاني، وليكون بمثابة القوة التي تحفظ (الامن الداخلي) وتمنع اية محاولة يقوم بها الشعب العراقي ضد وجودها ونفوذها في العراق. خاصة وان تأسيس الجيش جاء اثر اندلاع ثورة العشرين، كمحاولة لاجهاض نتائج الثورة، سارعت بريطانيا الى تشكيل حكومة من العراقيين تمهيداً لاقامة نظام ملكي في العراق، واعلان المجلس التأسيسي، ووضع الدستور. ومن هنا وضعت بريطانيا في اعتبارها عند تشكيل الجيش العراقي، ان لاتسمح بنمو قوة الجيش الى الحد الذي لا تستطيع السيطرة عليه، وان لاتتجاوز طبيعة هيكله التنظيمي وتسليحه واعداده، كونه قوة محلية تتولى نيابة عن قوات الاحتلال البريطاني قمع اية معارضة شعبية للسيطرة البريطانية.

وتحقيقاً لهذا الهدف اتبعت بريطانيا الصيغ التالية:-

(١). اصرت على اعتماد مبدأ التطوع في بناء الجيش العراقي للمحافظة على محدودية حجمه.

(٢). اخضاع الجيش العراقي لقيادة الضباط البريطانيين واشرافهم، فعنيت اللواء اي.

سي . دالي مفتشـاً عامـاً للجيش العـراقي مع ٢٥ ضابطـاً بريطـانيـا يعملون في هيئات الاركان . وبلغ عدد الضباط البر يطانيين ٤٦ ضابطاً . وجعلت للمندوب السـامي الـبر يطاني حق الاشراف المباشر والتام على شؤ ون الجيش ، عن طريق اعتماد نظام التفتيش العام ، برئاسة مفتش عام بريطاني ، كانت تتوزع مجموعة من الضبـاط الـبر يطـانيـين المراكز الحساسة للجيش العراقي مثل التدريب والاركان وكانت تقيم في العراق حامية بريطانية مركزية .

(٣) . حصر تسليح الجيش العراقي وتدريبه ببر يطانيا وخبراتها العسكرية .

(٤) . فرضت الحكومة البر يطانية مبدأ قبول ابناء رؤ ساء العشائر في الكليات العسكرية دون الاهتـمام بتـوفـر شروط القبـول فيهم ذلـك لابقاء الجيش بعيداً عن الشعب والحـركـة الـوطنيـة . وبطبيعة الحال فأن ابناء رؤ ساء العشائر المقصودين هم ابناء اولئك الذين تعاونوا مع الانكليز وقدموا لهم الطاعة والولاء . . . بخلاف رؤ ساء العشائر الذين تصدوا للسلطات البر يطانية وقادوا الثورات والانتفاضات ضدها .

(٥) . بث الشقاق بين الجيش والشعب عن طريق زجه في الصراعات السياسية للنظام .

وطيلة الفـترة الممتـدة من تأسيس الجيش العـراقي حتى ثورة مايس ١٩٤١ ، وقفت السلطات البر يطانية بوجه اية محاولة جدية لتطوير الجيش العراقي ونظرا لكون العراق مكبلاً بمعاهدة ١٩٢٢ وفيما بعد بمعاهدة ١٩٣٠ فأن تسليح الجيش كان يتم من قبل بريطانيا وبالاسلحة والذخائر القديمة التي تعود الى ايام الحرب العالمية الاولى ، وغالباً ماكـانت الـذخـائـر فاسـدة بسبب قدم انتـاجها . . . اما الاسلحة فاغلبها من الانواع المستعملة في الحرب العالمية الاولى من قبل الجيش البر يطاني والهندي ، وكان المندوب السـامي والبعثـة الاستشـاريـة والسفـارة البر يطانية والموظفون البر يطانيون والمفتشون العسكريون يحاولون الاساءة الى الجيش والى قادته وضباطه . ويحطون من قيمة الخطط التي يضعهـا العسكـريـون العراقيون ، ويقدمون استشارات غير علمية لمنع تطور الفن العسكري لدى الجيش العراقي .

ولقـد سعت الجهـات الـبر يطـانيـة الى بث سموم التفرقة بين قادة الجيش وحاولت كسب ولاء البعض منهم ، ووقفت ضد توسيع تشكيلاته . في الوقت الذي كان معظم القـادة العسكـريـين العـراقيـين يبـذلـون جهـوداً جبـارة لتطوير تسليح الجيش وتطوير

تشكيلاتـه وخططـه التـدريبيـة وفي احيـان كثيرة كان وزير الدفاع يتعاون مع الحكومة للاستفادة من الضغط الشعبي لحمل بريطانيا على تلبية طلبات الجيش من الاسلحة والذخائر.

ورغم كل العقبـات والعـراقيـل التي وضعتهـا الدوائر البريطانية، فقد تطور الجيش العراقي تطوراً رائعاً، ذلك انه اذا كان النظام الملكي نظاماً ضعيفاً يأتمر باوامر بريطانيا الاستعـماريـة فقـد كان معظم قادة الجيش وكثير من المسؤولين البارزين ينطلقون من وطنيتهم الصـادقـة في معارضة الانكليز وبناء بلدهم، لكن توازن القوى لم يكن يسمح بنجاح كامل للعراقيين وهكذا، نجد انه حين قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وحين تفجر الصـراع بين حكـومـة الـدفـاع الـوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني وبين بريطانيا لم يكن لدى الجيش العراقي مايكفيه من الاسلحة والذخائر التي تمكنه من سبق قوات الغـزو الـبريطـاني، التي دخلت العـراق اثنـاء الحرب العالمية الثانية وتمكنت من تصفية ثورة مايس عام ١٩٤١.

ان كل ذلك لم يحل دون تطور الجيش العراقي تطوراً واضحاً، فلقد تهيأ لهذا الجيش ابنـاء مخلصـون بذلـوا كل ما في طاقتهم لتطـويـره، وكـانـوا حاضرين في الملمات وكانوا يتـدخلون في الاوضـاع السياسية لصالح الوطن كلما سمحت لهم الفرصة، لقد شاركوا في ثورة مايس، وظلت مواقفهم في حرب عام ١٩٤٨ مضـرب المثـل في الشجـاعـة والوطنية الى قيام ثورة تموز ١٩٥٨، واسقطوا النظام الملكي المتخلف.

لقـد شهـد الجيش العـراقي تطـوراً ملمـوساً بعد ثوءة ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي التسليح بشكل خاص اذ بدأ العراق يشتري الاسلحة من الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية.

ومـع كل ذلـك ظلت بنيـة الجيش دون تغيير جذري بسبب طبيعة النظام السياسي الـذي اعقب ثورة ١٤ تموز والمتمثـل بشخص رئيس الـوزراء عبـد الكريم قاسم الذي انحـرف بالسلطـة وفـرض نهجاً ارهابياً تسلطياً واشاع الاضطراب في البلد، ساعده في ذلك الحزب الشيوعي العراقي والشعوبيون.

وقـد ضعف امـر الجيش كثيراً في ظل الحكم خلال الفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ وتفشت داخله الكتل والولاءات والصراعات... واستمر الامر على ذلك حتى قيام ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨.

رابعاً: الجيش العراقي في ظل الثورة:
لقد انعكست اثار الاوضاع المضطربة في فترتي حكم قاسم والحكم العارفي على الجيش العراقي وكان من اخطر الاثار السلبية التي برزت داخل الجيش ظهور فئة من العسكريين الذين استغلوا صفة الحكم العسكرية لتحقيق مكاسب غير مشروعة على حساب الوطن والمصلحة العامة.

وكان على الثورة ان تعيد النظر في واقع الجيش واوضاعه التسليحية والتدريبية والسياسية، وخصوصاً وان الحزب نشط ومنذ وقت مبكر في صفوف القوات المسلحة في العراق، وفي عدد من الاقطار العربية الاخرى منطلقاً من ان غالبية الجيش في الوطن العربي هم من ابناء الريف والمدن الصغيرة ومن ابناء العمال والكسبة والفلاحين وان هذه الاصول الاجتماعية لمنتسبي الجيش تجعل منه مؤسسة على صلة وثيقة بالشعب، مندمجة معه، تشاركه اهدافه ومعاناته... لذلك لعب الجيش العراقي دوراً سياسياً بارزاً في حياة العراق الحديثة، وكانت ابرز مظاهر ذلك مشاركته في ثورة ١٩٤١ وثورة ١٩٥٨ وثورة ٨ شباط ١٩٦٣ وثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨.

ومن هنا كان على الثورة ان تسعى الى جملة اجراءات في مقدمتها:

(١) تعزيز قيادة الحزب للجيش جنباً الى جنب مع تطهيره من العناصر المشبوهة والمتآمرة والمغامرة، ونشر مبادئ الحزب والثقافة القومية والاشتراكية في صفوفه هذه المبادئ التي تمكنه من تادية واجباته على اكمل وجه، وتضمن التحاقة الكامل بالحركة الشعبية التي يقودها الحزب واسهامه الفاعل في البناء الثوري وفي اداء المهمات الوطنية، والقومية، وتحصينه ضد الانحرافات والمنزلقات التي ارتكبتها باسمه في العهدين القاسمي والعارفي مجموعة من العسكريين المنتفعين.

(٢). القضاء على اوضاع التخلف والفوضى التي نشأت في الجيش خلال العهود الماضية وتنظيمه على اسس علمية حديثة، وتطوير اساليب تدريبه وتعبئته وقدراته النضالية والفنية، وزيادة تشكيلاته وامداده باسلحة ومعدات قوية وحديثة، كي يتمكن وعلى افضل وجه من تأدية واجباته المقدسة في الحفاظ على وحدة البلاد ودرء العدوان الخارجي والاسهام الفعال في المعركة القومية ضد العدوان الامبريالي والصهيوني.

لقد واجهت الثورة ظروفاً واوضاعاً معقدة فالتآمر الامبريالي ضد العراق تصاعد مع

بداية الثورة، وفي السنة الاولى الغى شاه ايران معاهدة ١٩٣٧، وخلق حالة من التهديد على حدود العراق الشرقية وصار الوضع في شمال القطر اشبه بحالة الحرب الاهلية وكان بعض قطعات الجيش العراقي في الأردن انذاك، وفي الداخل كانت القوى المضادة تحاول بشتى الطرق اضعاف الثورة والتآمر عليها. وكان من ابرز صور التآمر وابشعها التمرد الذي قادة العميل مصطفى البرزاني بدعم كامل من الشاه عام ١٩٧٤.

وعلى الرغم من ذلك فقد حققت الثورة منجزات عظيمة في بناء الجيش تجعل كل مواطن يعتز ويتباهي بها. قد تم تنظيم الجيش على اسس علمية حديثة وتطورت فيه اساليب التدريب، وارتفعت قدراته القتالية وتطورت وسائله الفنية وقد تحققت منذ عام ١٩٧٩ قفزة نوعية في اساليب قيادة القوات المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتعبئتها بعد تسلم الرفيق القائد صدام حسين مهمات القيادة الامامية في الحزب والثورة، وتوليه مسؤولية القائد العام للقوات المسلحة.

ومن المنجزات المهمة التي تحققت في المرحلة الماضية، تنويع مصادر التسليح فقد اتخذت القيادة قرارا جريئاً باعتماد مصادر جديدة للتسليح، كفرنسا وايطاليا والبرازيل، وعدد من الدول الاشتراكية، وبذلك توفرت للقوات المسلحة فرص واسعة للحصول على السلاح الجيد وتقلصت امكانات فرض الحصار على قواتنا المسلحة في زمن السلم والحرب، بما ينتقص من ارادتنا الحرة. كما نجحت الثورة في بناء صناعة عسكرية مما يعد شرطاً اساسياً لتعزيز الاستقلال الوطني والارادة الحرة، واذا لم يكن ممكنا تصنيع كل حاجات قواتنا المسلحة فأن من الممكن بل من اللازم تأمين اكبر قدر مما يمكن تأمينه من هذه الحاجات من الانتاج الوطني وقد تحقق تطور كبير في هذا الميدان.

ان هذه التطورات في اوضاع الجيش على صعيد نشر الفكر القومي، وتعزيز قيادة الحزب له، وفي مجال تحديثه وتطوير تسليحه وتدريبه وتوسيع تشكيلاته، قد اثمرت نتائج عظيمة برهن عليها جيشنا المقتدر عبر مساهمته في حرب تشرين ١٩٧٣ وفي تصفية الجيب العميل خلال عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ وفي قادسية صدام المجيدة.. هذه المعركة التي تجاوزت عامها الثالث وعلى امتداد جبهة تصل الى ١٢٠٠ كم ومع دولة تزيد على العراق مساحة وسكانا وقدرات اقتصادية باكثر من ثلاث مرات. لقد تمكن الجيش العراقي عندما رد على العدوان الفارسي في ايلول ١٩٨٠ من تحقيق اهداف

القيادة السياسية خلال ستة ايام، فدخل اراضي ايران واسكت مصادر العدوان. . . . وفي المعارك الدفاعية الكبيرة التي خاضها جيشنا الباسل شرقي البصرة ومندلي وميسان والفكة والشيب قدم الدليل الساطع على ان الجيش العراقى الباسل، هودرع الوطن وهوذراع الشعب الضاربة، وقد اصبح بحق جيش البعث جيش الثورة جيش الشعب. واصبح الجيش الاول في الوطن العربي كله وفي بلدان منطقة الشرق الاوسط. ويحق لكل العراقيين وللعرب ان يفخروا بان لهم جيشاً وطنياً قوياً قادراً على تأدية مهماته وسحق اي عدوان خارجي.

[خلاصة]

«الجيش العراقي»

اولاً: يتمتع الجيش العراقي باحترام الشعب ويحظي بحبه الكبير ورعايته، منذ ان تأسس في السادس من كانون الثاني عام ١٩٢١ وحتى يومنا هذا.

ثانياً: تشكلت النواة الاولى للجيش العراقي في ٦ كانون الثاني عام ١٩٢١ من عشرة ضباط بلغ عددهم في نهاية عام ١٩٢١ (٥١٩) ضابطاً.

ثالثاً: اعتمد الجيش العراقي في تكوينه اول الامر على التطوع. وخلال ستة اشهر من فتح باب التطوع بلغ عدد المتطوعين (٢٨٠٩) جندياً، وكانت بريطانيا تعارض صيغة التجنيد الالزامي رغبة منها في عدم توسيع حجم الجيش ولتسهل لها السيطرة عليه اذا اتخذ مواقف وطنية معادية لها.

رابعاً: بذلت بريطانيا جهوداً محمومة لابقاء الجيش العراقي ضعيفاً، والحيلولة دون تطوره الى مؤسسة عسكرية ذات قوة ضاربة سواء في مقارعة القوات البريطانية التي كانت تحتل العراق انذاك ام في الدفاع عن ارض العراق ضد الاطماع الخارجية.

خامساً: شهدت مؤسسات الجيش العراقي تطوراً واضحاً في ظل ثورة السابع عشر من تموز اذ تطورت اوضاعه التسليحية والتدريبية والسياسية، خصوصاً وان الحزب نشط ومنذ وقت مبكر في صفوف القوات المسلحة في العراق وفي عدد

من الاقطار العربية الاخرى.

سادساً: ورغم الظروف الصعبة التي واجهتها الثورة والمتمثلة بالتآمر الامبريالي ضد العراق فأن الثورة حققت منجزات عظيمة في الجيش تجعل كل مواطن يتباهى بها ويفخر، فقد تم تنظيم الجيش على اسس علمية حديثة، وتطورت فيه اساليب التدريب وارتفعت قدراته القتالية وتطورت وسائله الفنية.

سابعاً: تحققت في الجيش منذ عام ١٩٧٩ قفزة نوعية في اساليب قيادة القوات المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتعبئتها بعد تسلم الرفيق القائد صدام حسين مهمات القيادة الامامية في الحزب والثورة وتوليه مسؤولية القائد العام للقوات المسلحة.

ثامناً: لقد اثمرت هذه التطورات في اوضاع الجيش نتائج عظيمة برهن عليها جيشنا المقتدر عبرمساهمته في حرب تشرين ١٩٧٣ وفي تصفية الجيب العميل خلال عامي ٧٤ و ١٩٧٥ واخيراً في قادسية صدام المجيدة، هذه المعركة التي دخلت عامها الخامس وعلى امتداد جبهة تصل الى ١٢٠٠ كم ومع دولة تزيد على العراق مساحة وسكاناً وقدرات اقتصادية باكثر من ثلاث مرات.



- ٥ -

الجَيش الشَعبي



الجيش الشعبي

تأسس الجيش الشعبي في العراق في ٨ شباط ١٩٧٠، تكريماً لذكرى ثورة الثامن من شباط عام ١٩٦٣ (ثورة ١٤ رمضان). ويعتبر الجيش الشعبي مؤسسة حزبية ذات مهام من طبيعة عسكرية بالدرجة الاولى، تضم المقاتلين من الحزبيين على اختلاف اعمارهم ووظائفهم ودرجاتهم الحزبية، ولها اهدافها وانظمتها الخاصة وبرامجها التدريبية وهيكلها التنظيمي.

اهداف الجيش الشعبي:

للجيش الشعبي، كاي منظمة او مؤسسة من منظمات الحزب ومؤسساته، اهداف محددة وواضحة، يسعى الى تحقيقها اضافة الى اهداف الحزب والثورة المتمثلة في بناء القطر كقاعدة للثورة في عموم الوطن العربي، ويمكن ان نقسم اهداف الجيش الشعبي الى نوعين من الاهداف:

أولاً: اهداف فنية قتالية، باعتباره منظمة ذات طبيعة عسكرية وتغلب على هذه الاهداف الصفة الفنية، اي امتلاك المهارات العسكرية اللازمة لأية منظمة عسكرية. ومن أهم هذه الاهداف:

أ ـ بناء الجيش الشعبي كذراع اضافي للحزب، ليساهم في حماية الثورة والدفاع عن مكتسباتها وانجازاتها من تآمر القوى المحلية المضادة. وخاصة تلك القوى المشبوهة. التي تقف وراءها الدول الاستعمارية والدول الطامعة التي تحاول التدخل في شؤون العراق الداخلية، والتي تسعى بكل الوسائل لعرقلة مسيرة الثورة، والحيلولة دون بناء العراق القوي المقتدر.

ان اهمية هذا الهدف تنبع من حقيقة ان القوى المضادة باتت تعتمد وسائل جديدة ومتنوعة في محاربة الانظمة الثورية، ومن بينها اعتماد الوسائل المسلحة. ولذلك فان بناء الجيش الشعبي من التنظيم الحزبي، يحول هذا الجيش الى منظمة فعالة قادرة على سحق كل تحرك للقوى المضادة.

لقد برهن الجيش الشعبي على هذه المقدرة في مناسبات مختلفة، تصدى خلالها للقوى المضادة المدعومة من ايران والولايات المتحدة والعدو الصهيوني. والاهم من ذلك ان الجيش الشعبي، وهو يتصدى للقوى المضادة، انما يقدم البرهان على متانة التنظيم الحزبي وقوته وفعاليته. وفي مناسبات معينة كان توجه القيادة لمواجهة القوى المضادة هو الاعتماد على الجيش الشعبي وليس على الاجهزة الامنية المختصة، وكان سبب هذا التوجيه الرغبة في ان يعتمد التنظيم الحزبي، من خلال منظمة الجيش الشعبي، على نفسه، وينمي تجربته ويتمرس ميدانياً على مواجهة القوى المضادة والتصدي لاساليبها ووسائلها.

ب ـ وفي ظروف الحرب يتحول الجيش الشعبي الى ظهير للقوات المسلحة الباسلة يحمي الجبهة الداخلية والمرافق الحيوية في الاقتصاد والخدمات حيث ينشط الطابور الخامس والعملاء اثناء الحرب للقيام بعمليات تخريب ونسف المؤسسات الاقتصادية الحيوية ومرافق الخدمات المهمة واحياناً القيام بعمليات الاغتيال لاشاعة الفوضى والبلبلة، ولتعطيل عجلة الآلة الاقتصادية، التي تكون مهمة جداً في ظروف الحرب.

وفي تجربة الحرب مع النظام الايراني، تجاوز الجيش الشعبي مهمة حماية الجبهة الداخلية، وساهم مساهمة واضحة في الحرب مع العدو في جبهات القتال، وفي خطوط المواجهة الامامية، وكان مقاتلو الجيش الشعبي مع اخوتهم ابناء القوات المسلحة الباسلة وفي امرتهم، ينفذون ما يطلب منهم من مهمات وواجبات بحماسة عالية. وتعد هذه التجربة الفذة للجيش الشعبي حالة جديدة في تجارب الجيوش الشعبية في العالم، لاسيما اذا اخذنا بالاعتبار ان طبيعة عناصر الجيش الشعبي من حيث العمر والبيئة النفسية ومستوى التدريب والتسليح ليست بمستوى الجيش النظامي، وعلى الرغم من ذلك فأن تجربة الحرب اكدت القدرة العالية لدى الجيش الشعبي في الدفاع عن الوطن وتقديم التضحيات الكبيرة جنباً الى جنب مع قواتنا المسلحة الباسلة.

ج ـ ان الظروف الصعبة التي تعيشها الامة العربية، والتحديات الاستعمارية والصهيونية المفروضة عليها، في اكثر من قطر من الوطن العربي، تجعل من بين

اهـداف الجيش الشعبي اعـداد المنـاضلين اعـداداً عسكرياً، وتأهليهم بالمهارات القتالية لكي يساهموا في النضال مع شعبنا العربي في كل مكان، وحيث يستدعي الـواجب القـومي ذلك ففي الساحة الفلسطينية حيث ينتهك العدو الصهيوني كل مقدساتها الوطنية والقومية ويخرق بعدوانية كل القيم الانسانية تطوع مقاتلو الجيش الشعبي للمساهمة في العمل الفدائي. وفي لبنان تطوع عدد من المقاتلين البعثيين من الجيش الشعبي للمشـاركـة الى جانب المقـاومـة الفلسطينيـة والحـركة الوطنية اللبنـانيـة في التصـدي للعدوان الصهيوني وفي واقع الحال، فأن الجيش الشعبي، بهذه الصـورة، مدرسـة لاعـداد المقـاتلين المستعـدين المـؤمنـين بأهداف امتهم، وبحقهـا في التحـرر والتقدم، والمستعدين لتلبية نداء الواجب القومي حيثما تطلبت الحاجة ذلك.

ثانياً: اهداف ذات طبيعة تربوية تسعى الى تعميق الروح المبدئية لدى الحزبيين ورفع درجة استعدادهم للتضحية والنضال، وتنمية الشخصية النضالية المستعدة لمجابهة ظروف المواجهة الصعبة سواء في العراق أم في الوطن العربي وفي المقدمة من ذلك تعميق روح الانضباط لدى الحزبيين.

صحيـح ان الحـزبي يتعلم الالتـزام والانضبـاط داخـل الحـزب، وان هذا الانضبـاط يتنـامى مع تقـادم وجوده في الحزب، وتقدمه في سلم المسؤولية، الا ان تجربة الحزبي داخل تشكيلات الجيش الشعبي تضيف الى انضباطه الحزبي المبني على الوعي والمبادئ انضباطاً من طبيعة عسكرية، فيزيد ذلك من تماسك الحزب ووحدته، ومن فعالية التنظيم الحزبي.

ويكتسب الحزبي، عبر برامج التدريب المختلفة، ميزة الصبر وتحمل الصعاب والتـلاؤم مع ظروف الحيـاة الاستثنـائيـة، لاسيـما وان الكثـير من الحـزبيين، وفي ظروف تسلم الحزب للسلطة قد اعتادوا الحياة المستقرة، والعمل اليومي الاعتيادي فالتدريب يجدد في كيان الحزبي، نشاطه ولياقته، ويعلمه الصبر على الصعوبات وشظف العيش وحياة المعسكرات والنظام والانضباط.

ان انخـراط الحـزبيـين في تشكيـلات الجيش الشعبي وامتـلاكهم للمهـارات

القتالية، واندماجهم في تجارب حية . . . كل ذلك يغرس في نفوسهم تقاليد الشجاعة والبطولة والفروسية، ويبعد عن التنظيم الحزبي ماقد يبرز فيه من مظاهر الكسل والميل الى حياة الراحة والدعة، خاصة وان حزب البعث العربي حزب قومي يناضل من أجل تحرير الامة ووحدتها، وان الامة قد تواجه ظروفاً تتطلب التحاق المناضلين بساحاتها المختلفة للمشاركة في القتال والمواجهة.

وكما ان تجربة الحزبي في تشكيلات الجيش الشعبي تكسبه العديد من القيم التربوية وتعززها في شخصيته، فأنها تتيح له الفرصة لترجمة استعداده النضالي الى صيغة عملية في مناسبات تتسم بقدر من الصعوبة وفي ظروف خاصة تتسم بالمخاطرة والمخاطر الكبيرة.

يضاف الى ذلك ان ظروف الحرب مع نظام خميني المتخلف العدواني قد فتحت الباب أمام تطوع المواطنين غير المنظمين في تشكيلات الجيش الشعبي، وبذلك اضافت هذه التجربة بعداً آخر، وهو انها اصبحت مدرسة لتدريب المواطنين بشكل عام للوصول الى حالة الشعب المسلح المؤهل للقتال في كل وقت وفي كل مرة تستدعي الظروف خوض المعارك، سواء ضد القوى المضادة للثورة في الداخل ام في جبهات القتال في الحرب. .

ومن الجدير بالذكر، ان تجربة الجيش الشعبي ليست جديدة على الحزب فالحزب كانت لديه، وعبر مراحل النضال السري، تجربة دائمة للتدريب على السلاح وخوض المعارك الدامية بوجه الانظمة الرجعية واليمينية. وكانت خلايا الحزب تتدرب على السلاح في المناطق الريفية، التي للحزب فيها رصيد جيد من الاعضاء والانصار والمؤيدين والمواطنين الاصدقاء. . . وفي ظروف النضال ضد الحكم الديكتاتوري لعبد الكريم قاسم. كان الحزب يدرب عناصره على السلاح استعداداً للقيام بالثورة ضد النظام المتسلط الغاشم، وبالفعل كان للتنظيم الحزبي دور بارز وفعال في العمل العسكري اثناء ثورة ٨ شباط عام ١٩٦٣. ومن تلك التجربة انبثقت تجربة الحرس القومي خلال عهد الثورة. ولكن تلك التجربة قد شابها بعض الاخطاء والثغرات التي استغلها الاعداء لضرب الحزب والثورة في وقت واحد.

وعندما قامت ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز كانت تضع في اعتبارها تلك التجربة السابقة فعقدت العزم على بناء تجربة الجيش الشعبي ، بناء عملياً سليماً يتيح لها التطور والنضوج ، وبالفعل تم تأسيس الجيش الشعبي في ٨ شباط ١٩٧٠ ، وكانت التجربة تتم بتدريب يأخذ بالاعتبار عدم التوسع الكمي الا بالقدر الذي يؤمن بناء تشكيلات الجيش الشعبي بطريقة صحيحة وناضجة . وكانت الدفعات الاولى من دورات الجيش الشعبي معدة للمشاركة في المقاومة الفلسطينية .

وبمرور الوقت اتسع حجم التشكيلات وفق برنامج زمني وخطة متصاعدة سواء في استيعاب مناضلي الحزب في كل محافظة ام في المباشرة في الدخول في المحافظات التي لم يكن قد تشكل فيها الجيش الشعبي وفي عام ٧٧ شملت تجربة الجيش الشعبي كل محافظات القطر ، وكنت القيادة قد خططت لايصال اعداد الجيش الشعبي الى نصف مليون مقاتل ، خلال الفترة ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ الا ان ظروف الحرب ضد نظام خميني قد عجلت بتوسيع تشكيلات الجيش الشعبي فبلغت هذا الرقم اثناء الحرب وزادت عليه .

ويعد الجيش الشعبي لمهماته القتالية من خلال برامج تدريبية منظمة ، تطبق على مدار السنة ، في الظروف الاعتيادية ، وفق اسس محددة ، وعلى اساس خطة سنوية توضع في بداية كل سنة ، من خلال مؤتمر لمسؤولي مناطق الجيش الشعبي في القطر ، وطبقاً للاهداف التي تحددها القيادة .

وتطبق على تشكيلات الجيش الشعبي مبادئ الانضباط المستوحاة من اسس الانضباط الحزبي والانضباط العسكري . . . كما شهدت البرامج التدريبية تطوراً خاصاً خلال فترة الحرب مع العدو الفارسي . . اذ اتسعت مراكز التدريب وتطورت صيغه واساليبه وتجهيزه ، لتلبي التوسع في حجمه والتطور النوعي في مهماته وواجباته ، فدخلت اليه اسلحة لم تكن سابقاً ضمن ملاك الجيش الشعبي ، كبعض انواع مدافع الهاون والمدافع المضادة للطائرات وغيرها . . ودخلت الفرضيات والتمارين التطبيقية ومسيرات التحمل كفقرة ثابتة في برامج كل الدورات التدريبية .

وبالنسبة للحزبيات فقد كان رأي القيادة ان تتاح للرفيقات فرصة الانضمام الى تشكيلات الجيش الشعبي ، ولكن ضمن ظروف منسجمة مع درجة تطور

المجتمع، ومع نضوج الوعي الاجتماعي بين المواطنين. صحيح ان الحزب اعطى فرصاً متساوية للمرأة والرجل في المشاركة في صنع حياة المجتمع، الا أن هذا الاعتبار كان ضرورياً ولذلك واعتباراً من عام ١٩٧٤ فتح الباب امام الحزبيات للانضمام الى تشكيلات الجيش الشعبي، وتلقي صنوف التدريب المختلفة وعلى اساس تطوعي، بحسب الاستعداد الذاتي والظروف الخاصة بكل حزبية.

وقد شهدت هذه التجربة نمواً كبيراً ضاعفت من حجمها ظروف العدوان الفارسي على قطرنا المناضل فازداد عدد المتطوعات في الجيش الشعبي بشكل كبير، واثبتت المتطوعات انهن على درجة عالية من الشعور بالمسؤولية والقدرة على تحمل الصعاب والمشقات، من اجل الحزب والثورة وتجلى ذلك على نحو خاص، في الزيارات التي قامت بها المتطوعات الى جبهات القتال للمساهمة في رفع الروح المعنوية للمقاتلين ولاطلاعهم بأن كل الشعب يقف معهم وانهم حاضرون في القلب والذهن.

وتشكلت تشكيلات الجيش الشعبي في منطقة الحكم الذاتي بالصيغة نفسها وعلى الاساس ذاته، وبخلاف ما كان يطمح اليه الاعداء، فأن شعبنا الكردي برهن على عمق ولائه للوطن وايمانه بالحزب والثورة، فكانت استجابة المناضلين الاكراد للتطوع في تشكيلات الجيش الشعبي والمساهمة في الدفاع عن الوطن في جبهات القتال واحدة من الصور المشرقة التي عبر عنها شعبنا الكردي.

واستقبل الجيش الشعبي المتطوعين العرب، الذين اثارت حميتهم وقيمهم النبيلة معركة العراق القومية ضد النظام الايراني. لقد وجد هؤلاء في تشكيلات الجيش الشعبي الاطار الذي يستوعب اندفاعهم وحماسهم للمشاركة في المعركة القومية... ورغم ان الجيش الشعبي في الاساس يعتبر تشكيلاً قتالياً يضم مناضلي القطر العراقي، الا ان ظروف الحرب جعلته يفتح ابواب التطوع امام المناضلين العرب، فجاءه الالاف الذين عمدوا المعركة القومية للعراق بدماء عربية من اقطار مختلفة.

ويعتمد الجيش الشعبي هيكلاً تنظيمياً خاصاً به، يستند اساساً الى الصفة الحزبية حيث يعتبر جميع الحزبيين اعضاء في الجيش الشعبي، بغض النظر عن العمر والوظيفة والمهنة والدرجة الحزبية.

ويتكون الهيكل التنظيمي للجيش الشعبي واعتباراً من اصغر وحدة فيه من:
اولاً: المجموعة وتتكون من خمسة عشر مقاتلاً.
ثانياً: القاعدة وتتكون من ست مجاميع.
ثالثاً: والقاطع يتكون من عدة قواعد.
رابعاً: وقيادة المنطقة وتتكون من عدة قواطع.

وترتبط هذه التشكيلات العسكرية بالتشكيلات الحزبية، فأمين سر الفرع او مسؤول المنظمة الرأسية في المحافظة هو قائد الجيش الشعبي لتلك المحافظة، وأمر القاطع ضمن المحافظة هو المسؤول الحزبي للمنطقة، التي يعمل فيها القاطع.

وهكذا نزولاً الى اصغر وحدة قتالية تتكون من خمسة عشر مقاتلاً والتي يقودها من هو الاقدم في الدرجة الحزبية بين المقاتلين.

ان هذه الصيغة في العلاقة بين تشكيلات الجيش الشعبي والتشكيلات الحزبية، وفرت الانسجام والتجانس بين الحزب والجيش الشعبي وجعلتهما يعملان كمنظمة واحدة تحكمها نفس القيم والضوابط، مما كان سبباً اساسياً في نجاح تجربة الجيش الشعبي في تحقيق اهدافها في حماية الثورة والدفاع عن الوطن.

«خلاصة موضوع الجيش الشعبي»

أولاً: يعتبر الجيش الشعبي الذي تأسس في ٨ شباط عام ١٩٧٠ مؤسسة حزبية ذات مهام من طبيعة عسكرية بالدرجة الاولى تضم المقاتلين من الحزبيين على اختلاف اعمارهم ووظائفهم ودرجاتهم الحزبية ولها اهدافها وانظمتها الخاصة وبرامجها التدريبية وهيكلها التنظيمي.

ثانياً: وللجيش الشعبي اهداف محددة وواضحة يسعى الى تحقيقها، وهي على نوعين:

(١) اهداف فنية قتالية باعتبارها منظمة ذات طبيعة عسكرية. وتتغلب على هذه الاهداف الصفة الفنية اي امتلاك المهارات العسكرية اللازمة لأية منظمة عسكرية.

(٢) أهداف ذات طبيعة تربوية تسعى الى تعميق الروح المبدئية لدى الحزبيين ورفع درجة استعدادهم للتضحية والنضال، وتنمية الشخصية النضالية المستعدة

لمواجهة الظروف الصعبة سواء في العراق أو في الوطن العربي .

ثالثاً: وتجربة الجيش الشعبي ليست جديدة على الحزب فالحزب كانت لديه وعبر مراحل النضال السري تجربة دائمة للتدريب على السلاح وخوض المعارك الدامية بوجه الانظمة الرجعية واليمينية . وكانت خلايا الحزب تتدرب على السلاح في المناطق الريفية التي للحزب فيها رصيد جيد من الاعضاء والمؤيدين والمواطنين المخلصين .

رابعاً: يعتمد الجيش الشعبي هيكلاً تنظيمياً خاصاً به يستند اساساً الى الصفة الحزبية اذ يعتبر جميع الحزبيين اعضاء في الجيش الشعبي بغض النظر عن العمر والوظيفة والمهنة والدرجة الحزبية .

-٦-

السياسة الخارجية للعراق



أولاً: نشأة النظام السياسي الدولي

انبثق النظام السياسي الدولي، بالشكل الذي نعرفه اليوم، عن النظام السياسي الاوربي، الذي ظهر في اعقاب الاقطاع في اوربا. ففي اواخر القرون الوسطى، بدأ عصر النهضة وتمثل بمحاولات الاصلاح الديني، وفصل سلطة الدولة عن سلطة الكنيسة، وتطورت النظريات والفلسفات والاختراعات.

وقد مهد عصر النهضة لقيام الدول القومية بعد ان كانت اوربا عبارة عن اقطاعيات وامارات وكيانات متمزقة متصارعة. وهكذا اصبحت الدولة القومية هي الاطار الذي ضم المجتمعات البشرية المتجانسة، والذي يحتوي ولاءات الافراد، واصبحت القومية هي المحرك للدولة على الصعيد الدولي.

وكان هذا التطور قد دفع الدول الاوربية الى البحث عن صيغة تنظيم العلاقات الدولية فيما بينها، طبقاً لقواعد واعراف معينة، وتحافظ على التوازن الستراتيجي فيها، فعقدت معاهدة السلام الشهيرة المعروفة بمعاهدة «وستفاليا» في عام ١٦٤٨ التي انهت الحروب الدينية في اوربا وفتحت افقاً جديداً في تاريخ العلاقات السياسية للمجتمع الدولي.

وقد ظلت معاهدة وستفاليا تحكم العلاقات الدولية حتى الحرب العالمية الاولى. وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى، انشئت عصبة الامم ثم بعد الحرب العالمية الثانية انشئت هيئة الامم المتحدة، واتسع نطاق تمثيل الدول في هذه المنظمات وتبلورت قواعد واضحة للعلاقات الدولية رغم ان بريطانيا كانت المهيمنة على عصبة الامم، وامريكا على هيئة الامم المتحدة. وارتفع عدد الدول داخل هيئة الامم المتحدة الى اكثر من ١٤٠ دولة وقد اقتضى ذلك عدداً كبيراً من القوانين الدولية والاتفاقات والمعاهدات لتنظيم العلاقات بين الدول في الحرب والسلم.

ثانياً: معنى السياسة الخارجية

تعني السياسة الخارجية للدولة، العمل الذي بموجبه تتم ادارة وتوجيه علاقات الدولة المعنية مع دول العالم الاخرى، على اساس تحقيق المصلحة القومية المتمثلة بالمحافظة على آمن الدولة خارجياً واستقرارها داخلياً.

وتكتسب السياسة الخارجية، في العصر الحديث اهمية كبيرة وتساهم في ارساء العلاقات الدولية على اسس مقبولة من المجتمع الدولي، ومنشأ اهمية السياسة

الخارجية متأت من ان الدولة، اية دولة، لاتستطيع ان تنغلق على نفسها وتضرب حولها ستاراً حديدياً فتكفى نفسها بنفسها وتستغني عن العالم الخارجي ان مثل هذه الحالة ليست واقعية، ويتحتم على كل دولة ان تتصرف بوصفها وحدة من مجموعة الوحدات التي تؤلف المجتمع الدولي في جزء من كل مضطر الى التعايش والتفاعل والاحتكاك والتعامل مع باقي جزيئاته..

ونظراً الى ان العلاقات بين الدول اما ان تكون في حالة سلم او اصطراع فان السياسة الخارجية تلعب دورها في الحالتين فتنظم العلاقات وتتبادل المبعوثين الدبلوماسيين وتعقد الصفقات الاقتصادية في السلم، وتتولى ادارة العلاقات الدولية بما يعزز المصلحة القومية للدولة في حالة الحرب..

ثالثاً: العقيدة والسياسة الخارجية

شهد المجتمع الدولي في القرن التاسع عشر، واوائل القرن العشرين، علاقات دولية غير متكافئة بين الدول التي اخذت قصب السبق في ميدان التقدم العلمي والتطور الاقتصادي، كدول اوربا الغربية، وبين دول العالم غير المتطورة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وقد عمدت الدول المتقدمة الى فرض سيطرتها على الدول قليلة التطور والضعيفة، ونهبت ثرواتها الوطنية، وحولتها الى اسواق لتصريف منتجاتها الصناعية، ولم تكن هذه الدول مضطرة الى تقديم تبرير لسياستها هذه غير تبرير القوة ومتطلبات مصالحها القومية.

ولكن خلال الفترة بين الحربين العالميتين، شهد العالم قيام انظمة سياسية في بعض الدول تدين بعقائد تختلف عناصرها، وتتنوع مضامينها، الى حد التصادم، ومن امثلتها النازية والفاشية والشيوعية، اضافة الى الرأسمالية.

ولتبرير سياسات هذه الدول في التوسع، والحاق الدول الاخرى بها، لجأت الى اعتماد الغطاء العقائدي اي التبشير بعقيدتها الفكرية، والدعوة لنشرها خارج حدودها القومية، ووجدت نفسها مضطرة الى تحقيق قدر من التجانس بين نظامها الداخلي، الذي يرتكز على عقيدتها الفكرية وبين طبيعة سياستها الخارجية.

ومن هنا كانت الرأسمالية تزعم انها تدافع عن الحرية والديمقراطية وعن أمن «العالم الحر» والشيوعية تزعم انها تعمل ضد الامبريالية والحروب ومن اجل السلام، وكذلك الامر مع العقائد الاخرى.

لقد اثبتت التجربة ان هذه الدول انها تعمل بوحي من مصالحها القومية، وان التمسك بالعقائد هو لدعم سياستها الخارجية بموقف فكري يستطيع ان يجد له اتباعاً خارج حدودها القومية، فالدول الرأسمالية تستعبد الشعوب وتنتهك سيادتها وتنهب ثرواتها وتقيم على أراضيها القواعد العسكرية، وكل ذلك بحجة الدفاع عن «العالم الحر» ضد توسع الشيوعية. والاتحاد السوفيتي يتدخل في شؤون الدول المجاورة له، ويصادر حقها في اختيار نظامها ويلزمها بالبقاء في اطار الكتلة الاشتراكية، بدعوى القضاء على القوى اليمينية والامبريالية. وانه في واقع الحال ينطلق من اعتبارات أمنه القومي الستراتيجي.

وكثيراً ماتكشف الضرورات العملية للسياسة الخارجية ضعف الغطاء العقائدي، وعلى سبيل المثال نجد الدول الرأسمالية التي تتحدث عن الحرية والديمقراطية، هي نفسها المسؤولة عن معظم الحروب في العصر الحديث، بسبب اطماعها الاستعمارية، وهي المسؤولة عن حماية الانظمة الديكتاتورية وعن مساندة الحكام، الذين يرتكبون ابشع الجرائم بحق شعوبهم، كل ذلك باسم الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان، والاتحاد السوفيتي يدعم الانقلابات العسكرية التي له علاقة بالقائمين بها، او التي يتوقع ان يتكون له نفوذ لدى قادتها باسم معاداة الامبريالية، ويقيم علاقات مع اعتى الانظمة العميلة كنظام شاه ايران، وفي الوقت الذي يعتبر تعامل دول العالم الثالث مع الدول الرأسمالية جريمة ويرتبط هو والكتلة الاشتراكية بعشرات الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع الغرب، ويدين لدوله بعشرات المليارات من الدولارات.

والواقع ان السياسة الخارجية للدول، تستهدف في مقدمة اهدافها المحافظة على المصالح القومية وتعزيز الامن الداخلي والخارجي، وفي هذا الاطار، ودون التجاوز على حقوق الدول الاخرى، تعتبر ماتقوم به السياسة الخارجية عملاً مشروعاً. . . انما نلاحظ ان العالم انقسم بعد الحرب العالمية الثانية الى كتلتين رئيستين تحولتا الى مركزي استقطاب، واصبحت الدول الاخرى اما تابعة لاحد المركزين تبعية كاملة، أودائرة في فلكه ضمن حدود معينة.

وبعد قيام الحرب الباردة، وجدت دول العالم الثالث نفسها في مأزق فهي لامصلحة لها في الانضواء تحت لواء هذا المعسكر اوذاك وفي الوقت نفسه لاتزال ضعيفة وامكاناتها محدودة الامر الذي دفعها الى ايجاد تنظيم خاص بها تمثل بحركة عدم الانحياز التي

بدأت منذ مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ ولاتزال الان تعزز مواقعها ودورها في الحياة الدولية.

وكان على الدول التي تريد المحافظة على استقلاليتها ان تبذل جهداً غير اعتيادي في هذا الاطار العام، وفي البداية لم يكن مقبولاً هذا النهج الاستقلالي ولكن تزايد انصاره جعله شيئاً فشيئاً حقيقة مقبولة في الحياة الدولية ومعترفاً بوزنها ودورها...

رابعاً: السياسة الخارجية للعراق في ظل الثورة

عندما قامت ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ كانت سياسة العراق الخارجية تتسم بالاضطراب والضعف الى حد كبير، وبالعجز عن تأمين مصالح العراق الحيوية والمشروعة فالنظام العارفي، الذي كان يعاني من التفكك الداخلي وتدهور الاوضاع الاقتصادية والعزلة عن الحركة الوطنية والجماهير الشعبية وتعدد الكتل والولاءات داخل الجيش لم يكن قادراً على اتباع سياسة خارجية متوازنة تحقق مصالح العراق وتحافظ على امنه الخارجي، فكان يتعرض لضغوط الدول الغربية، وشركات النفط الاحتكارية واوشك لولا المعارضة الجماهيرية ان يعطي امتيازا نفطياً جديداً للشركات الاحتكارية من خلال ماسمي في حينه «شركة نفط بغداد» بهدف تصفية آثار القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١.

ولذلك كان على الحزب بعد تسلم السلطة السياسية ان يضع الاسس والمبادئ التي تحدد سياسة العراق الخارجية وعلاقاتها بدول العالم... وقد كان واضحاً للقيادة منذ البداية، ان بناء علاقات دولية على اساس موضوعي، وبما يحقق المصالح المشتركة للعراق والدول الاخرى انما يتأتى لا من خلال المناورات والدخول في المحاور والتكتلات بل عن طريق تكريس قيم جديدة في العلاقات الدولية، هي الكفيلة باعطاء العراق مكانة متميزة على صعيد المجتمع الدولي...

ونظراً لكون حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يقود السلطة في العراق حزباً قومياً اشتراكياً يناضل من اجل وحدة الامة العربية وتحررها من الهيمنة الامبريالية ويسعى لبناء المجتمع الاشتراكي، ويتعاون مع بلدان العالم الثالث لتصفية السيطرة الاستعمارية في تلك البلدان، فقد وضع العراق جملة من الاسس تحدد اتجاهات السياسة الخارجية على الصعيد الدولي والعلاقات مع دول العالم المختلفة. ومن هذه الاسس:

١ ـ تحديد حجم وطبيعة العلاقات مع دول العالم في ضوء موقفها من القضايا القومية وفي مقدمتها قضية فلسطين والخليج العربي.

٢ ـ الموقف من الثورة في القطر العراقي ومتطلبات حمايتها وترسيخها باعتبارها قاعدة نضالية لحركة الثورة العربية.

٣ ـ الايمان بان حركة الثورة العربية جزء من حركة الثورة العالمية، وهذا يتطلب ضرورة تحقيق التحالف مع قوى وفصائل الثورة العالمية للنضال ضد الامبريالية والعدوان والاغتصاب والتمييز العنصري مع الحرص الشديد مبدئياً وعملياً على استقلالية حركة الثورة العربية وسماتها المتميزة.

٤ ـ الايمان بضرورة اقامة علائق طيبة وفي كل الميادين، بين الشعب العربي وشعوب العالم بما يتفق مع مصالحنا وحاجاتنا الوطنية والقومية، وينسجم مع مبادئنا حول الرخاء والتعاون بين الشعوب.

٥ ـ الايمان بأن حركة عدم الانحياز هي الاطار السياسي الدولي الصحيح لتحديد موقف دول العالم الثالث، من صراع القوى الدولية وتكتلاتها واحلافها وحروبها الساخنة والباردة.

والحقيقة التي تؤكدها الوقائع التاريخية فيما يتعلق بأسس السياسة الخارجية للحزب هي ان الحزب ومنذ نشأته في الاربعينات اكد على الحياد الايجابي، والابتعاد عن سياسة الاحلاف والصراعات وشدد في الوقت نفسه. على ان الحياد الايجابي يجب ان ينصرف الى النضال الحازم ضد كل شكل من اشكال الاستعمار والعدوان والهيمنة على الشعوب.

خامساً: سياسة العراق الخارجية مع البلدان المجاورة والقريبة منه

اولى العراق اهتماما خاصاً للعلاقات مع البلدان المجاورة والقريبة منه وهو ينطلق في هذا الاهتمام من علاقات الجوار. وماتحتمه هذه العلاقات من اقامة اوثق الروابط بين البلدان المعنية بما يحقق مصالحها المشتركة وامنها القومي يضاف الى ذلك ان للعراق مع هذه البلدان روابط تأريخية عريقة، ويشترك معها في الكثير من الاهداف والمصالح الوطنية المشروعة، ولذلك بذل نشاطاً حثيثا لتوثيق العلائق الاقتصادية والسياسية مع هذه الدول.

ويمكن القول ان علاقات العراق، في هذا الاطار حققت نجاحا جيداً مع الجارة

تركيا، ومع افغانستان والباكستان والهند، وبذل جهوداً مماثلة لاقامة علاقات ايجابية مع ايـران. . الا ان حكـام ايـران لم يقـابلوا هذه الجهـود برغبـات ونـوايا مماثلة وكانوا دائماً البادئين بتعكير العلاقات واشاعة اجواء التوتر بين البلدين. فبعد سنة من قيام الثورة في العـراق الغى شاه ايـران اتفـاقية الحدود لعام ١٩٣٧ المعقودة بين البلدين وانصرف بعد ذلـك الى التـدخـل في الشؤون الداخلية للعراق. وقدم الدعم العسكري والسياسي لزمرة العميل مصطفى البارزاني، وقدم له اسلحة ثقيلة ومتطورة وخاصة المدفعية خلال معارك ٧٤/٧٥.

وعندما جاء خميني، اعربت قيادة الحزب والثورة عن رغبة العراق في اقامة علاقات طبيعية مع ايران مبنية على حسن الجوار، والمصالح المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكن نظام خميني كان يبيت للعراق نوايا شريرة، حيث انبرى الى التعبير عن اهدافه في احتلال العراق واسقاط نظامه الثوري، وتمادى في سياسته اللامسؤولة هذه الى حد اعلان الحرب على العراق في ايلول ١٩٨٠.

ان العـراق رغم السيـاسـات الـلامسؤولة لحكام ايران، لايزال يؤمن بأن علاقات البلدان المتجـاورة لابـد ان تقـوم على مبـادئ حسن الجـوار واحترام السيادة والمصالح المشـتركـة ذلـك ان التجاور حقيقة حتمية يفرضها الواقع الجغرافي وليس من المنطق ان تغـير الـدول المتجـاورة مواقعهـا، كما انـه ليس من الحكمة في شيء ان تكون متجاورة وعـلاقـاتهـا متـوترة وتتبادل فيما بينها الشك والريبة ولذلك فان العراق اذا ما توافر لايران نظام حكم يؤمن بهذه المبادئ ويحترم سيادة العراق ومصالحه المشروعة سيكون مستعداً لاقامة اوثق العلاقات معها وافضلها كما هو الحال مع الجارة تركيا.

سادساً: سياسة العراق الخارجية ازاء الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية:

تطـورت علاقـات العـراق مع الاتحـاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية بشكل ايجابي وكـانت باكـورة هذا التطـور، الاتفـاقية العراقية السوفيتية عام ١٩٥٩ التي تم بموجبها تزويـد العـراق بعـدد مع المصـانـع واعقبهـا اتجـاه العـراق لشراء الاسلحة من الاتحاد السـوفيتي. وبعـد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز تطـورت هذه العلاقات وبلغت مستوى عالياً من النضج من خلال التعاون في الاستثمار الوطني للنفط وتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي في ٩ نيسان ١٩٧٢.

ان مبـادئ البعث واهـدافـه المتمثلة في النضال ضد الامبريالية والصهيونية والتمييز

العنصري ومناهضة سياسة الاحلاف العدوانية، وسعيه لتحقيق تحرر الامة العربية واقامة الاشتراكية في الوطن العربي، تلتقي في اطارها العام، وضمن حدود معينة مع سياسة الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية، واذا كان عدم التطابق قائماً بيننا وبين هذه البلدان في العديد من المسائل، فان هذا الاختلاف لايغير من حقيقة ان هذه المجموعة هي اقرب الينا من حيث المبادئ والمصالح، وان شعار التحالف الستراتيجي معها في اطار المحافظة على استقلالية العراق كدولة، والمحافظة على استقلالية حركة الثورة العربية، هو شعار صحيح من الناحيتين المبدئية والعملية وينسجم مع مبادىء الحزب واهدافه ومن الضروري الاستمرار في المحافظة عليه.

سابعاً: سياسة العراق الخارجية ازاء البلدان الغربية واليابان

لاشك ان نضال الحزب والثورة في سبيل التحرر والتقدم وتحقيق الوحدة العربية، وبناء الاشتراكية يصطدم بمقاومة وعداء الدول الاستعمارية فهذه الدول هي سبب البلاء الذي تعيشه الامة العربية وكانت وراء تشجيع ودعم الصهاينة لاغتصاب فلسطين، وهي التي فرضت واقع التجزئة، واستعبدت شعبنا العربي، واستغلت ثرواته. ولاتزال بعض هذه الدول تقف المواقف ذاتها من الامة العربية.

وفي ضوء هذه الحقائق، فان الاساس الثابت لسياسة العراق الخارجية ازاء هذه الدول، هو النضال الدؤوب ضد سياساتها الامبريالية على كل الاصعدة، والعمل بكل الوسائل المتاحة لتصفية نفوذها الامبريالي بكل مظاهره السياسية والاقتصادية والعسكرية.. مع الاخذ بالاعتبار مايأتي:

١ ـ ان العداء للدول الامبريالية والنضال ضد سياساتها العدوانية، يجب ان لايمنعانا من التعامل معها... وهذا النهج في السياسة الدولية نهج واقعي بعيد عن العواطف، ولكن لابد من التنبيه الى ان التعامل مع هذه الدول، قد يستغل من قبل القوى المضادة والقوى البرجوازية للترويج لهذه الدول وللدعوة للاعتماد عليها، وعدم التعاون مع الدول الاشتراكية، فمثل هذا الاتجاه المشبوه يجب ان يحذر منه الشعب وان تضرب بشدة أية اتجاهات مضادة تبرز في هذا الميدان.

٢ ـ ان بعض الدول الغربية تقف من قضايانا القومية موقفاً ايجابياً نسبياً، وينبغي تشجيع هذا الموقف من خلال تطوير العلاقات معها في الاطار الذي يعزز خدمة مصالحنا الوطنية والقومية.

(٣) تبرز في اطار مجموعة الدول الغربية دول ذات اتجاهات استقلالية عن الولايات المتحدة. وخاصة في اوربا الغربية، وهي بما تمتلكه من امكانيات اقتصادية وعلمية وعسكرية مرشحة لان تكون كمركز استقطاب دولي جديد. ومن الضروري تنمية علاقات العراق مع هذه الدول بما يعزز اتجاهاتها الاستقلالية وتطورها كمراكز استقطاب جديدة.

أ ـ ان هذه الدول وبرغم اختلاف سياسة كل منها عن الاخرى واختلاف سياساتها في بعض الجوانب عن الولايات المتحدة، وبخاصة فيما يتصل ببعض جوانب القضية العربية، لها جميعاً علائق ومصالح متشابكة مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الامبريالية.

ب ـ ان للنفوذ الصهيوني في هذه البلدان تأثيراً مهما على الاوساط السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يحتم دراسة اوضاع كل بلد على حدة، ودراسة كل حالة تعاون بشكل دقيق، ووضع الضوابط اللازمة لكي تحول دون تسرب النفوذ الامبريالي والاصابع الامبريالية والصهيونية من خلال ميادين التعاون مع هذه البلدان.

٥ ـ من الضروري الاهتمام بالعلائق الاقتصادية والفنية مع اليابان، فعلى الرغم من العلاقات الوثيقة السياسية والاقتصادية التي تربط هذه الدول بالولايات المتحدة فان السمة الاساسية لتعاملها مع بلدان العالم هي السمة التجارية.

ثامناً: سياسة العراق الخارجية ازاء بلدان حركة عدم الانحياز

ينتمي الوطن العربي الى مايدعي بالعالم الثالث، الذي يتكون من قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وتلتقي اغلب بلدان هذه القارات في اوجه عديدة فهي جميعاً كانت خاضعة، بشكل اوبآخر، للسيطرة الاستعمارية، وناضلت وما تزال في سبيل التحرر والتقدم والوحدة القومية بالنسبة للامم المنجزاة كالامة العربية، كما تعاني جميعها من مشكلات التخلف في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي مسيرة الكفاح المشترك ضد الاستعمار. وقد نشأت بين هذه ابلدان لغة مشتركة، وتكونت بينها علائق ودية، وقد عبرت حركة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ـ ابتداء من مؤتمر باندونغ ١٩٥٥ الى مؤتمر نيودلهي ١٩٨٣ ـ عن الاطر العامة التي تجمع هذه البلدان، كما تكونت لها منظمات كمنظمة التضامن الاسيوي الافريقي ومنظمة القارات الثلاث

وهيئات عديدة تفرعت عنها.

ولـذلـك وانسجـامـاً مع ما تقدم فان الثورة قامت بنشاط بارز في مجموعة حركة عدم الانحيـاز والعمـل على تقـوية هذه الحركة وتقديم المساعدات الاقتصادية لبلدانها وفي كل ذلك تنطلق الثورة من منطلقين:

١ ـ منطلق مبـدئي، ذلـك ان الثـورة في العـراق، التي تشكـل قاعدة اساسية في حركة الثـورة العـربيـة، هي جزء من النضال الانساني العام من اجل الحرية والاستقلال والتقدم والسلم القائم على العدل. ومن الطبيعي ان تسهم الثورة في العراق بكل امكاناتها في تعزيز نضال الشعوب من اجل هذه الاهداف السامية.

ان الثـورة العـربيـة ليست ثورة منغلقة في الاطار القطري او القومي، وانما هي ثورة ذات رسالة انسانية.

٢ ـ يتمثـل المنطلق الثـاني في الجـانب المـركـزي والعمـلي في هذه السيـاسـة، ذلـك ان التمسـك بالاستقـلال الـوطني والاستقلال القومي والمحافظة على الارادة الوطنية والقـوميـة الحـرة من تأثـيرات القـوى الـدوليـة لايمكن ان يتحققا فقط من خلال العوامل الذاتية القطرية والقومية، وان كانت هي الاساس وانها يجب ان تحمى في اطار دولي ايضاً، لذلك فان في قوة حركة عدم الانحياز قوة لنهجنا المستقل وارادتنا الحرة، اما في حالة ضعف الحركة فان علينا حينئذ ان نواجه معاركنا ازاء محاولات الدول الكبرى للنيل من استقلالنا الوطني والقومي منفردين، وهناك فرق كبير بين الحالتين.

من هذا التحليـل الصـائب لطبيعـة المـرحلة التي تجتـازها شعوب العالم الثالث وحـركـة عدم الانحياز، قام العراق بمبادراته المعروفة لمعالجة الاوضاع الاقتصادية على الصعيـد العـالمي، وبـالنسبـة لشعـوب العـالم الثالـث، فكان مشروع الرفيق القائد صدام حسين الذي عرضه في مؤتمر هافانا، والذي لقي التقدير والاهتمام من اغلب المشاركين في المؤتمر.

ومن المنطلق ذاته ايضاً صار العراق يقدم المساعدات الاقتصادية النزيهة للبلدان الصـديقـة التي وجـدت في هذه المساعدات نموذجاً رائعاً يصدر عن موقف مبدئي وانساني بعيد عن المصالح الانانية والنظرة الاستغلالية.

ومن خلال ماتقدم نجد:

(١) ان تجربة العراق في ميدان السياسة الخارجية أكدت:
نجاح العراق في اقامة علاقات واسعة ومتوازنة مع مختلف دول العالم، وعلى اختلاف انظمتها وسياساتها واتجاهاتها. وقد نجح العراق في ان يكون متوازناً في علاقاته مع هذه النظم بما يحفظ استقلاليته، وبما يخدم قضايا النضال القومي.. وتعد علاقة العراق مع دول العالم من نوع العلاقات الخارجية النموذجية.

(٢) ان نجاح العراق الدولي، نابع من انه جسد قيماً وتقاليد جديدة في الحياة الدولية تعتمد على الصراحة والصدق والوضوح ومعرفة حدود التعامل، فتجنب المناورات والحيل والخداع والغش، وعين بوضوح في كل حالة: من اين ينطلق وماذا يريد وماذا لايريد... وكانت هذه الصيغة جديدة على المجتمع الدولي ولقيت تقديراً عالياً وكانت من اسباب نجاح سياسة العراق الخارجية.

(٣) ان السياسة الخارجية للعراق رغم مرونتها، لم تبتعد عن المنطلقات العقائدية للحزب، وقد بقي العراق حريصاً في سياساته الخارجية على النضال ضد السياسات الامبريالية والاستغلال والنهب والاعتداء والتمييز العنصري ولم يساوم على قضية من هذا النوع مهما كانت علاقاته جيدة مع الطرف المعني.

(٤) ان قوة الموقع الدولي، لاية دولة خاصة من دول العالم الثالث، تعكس وكما برهنت التجربة متانة الوضع الداخلي للدولة وعمق علاقة نظامها السياسي بالشعب، ودرجة الثقة بينهما، وكان لهذه الحقيقة اثر مباشر في استمرار علاقات العراق الدولية ممتازة اثناء الحرب مع ايران بخلاف ايران التي عانت من العزلة وضعف موقفها الدولي.

(٥) ان لقيادة الرفيق صدام حسين، كعقل مفكر وكمخطط استراتيجي، الدور الاول في نجاح سياسة العراق الخارجية وفي تكريس تقاليد خاصة بها. وكان دوره المباشر كمفاوض اهم عوامل بناء شبكة العلاقات الدولية للعراق، كما هي عليه من الشمول والتوازن والعقلانية.

[خلاصة]

السياسة الخارجية للعراق

اولاً: تعني السياسة الخارجية للدولة، العمل الذي بموجبه تتم ادارة وتوجيه علاقات الدولة المعنية مع دول العالم الاخرى على اساس تحقيق المصلحة القومية المتمثلة بالمحافظة على امن الدولة خارجياً واستقرارها داخلياً.

وتكتسب السياسة الخارجية في العصر الحديث اهمية كبيرة وتساهم في ارساء العلاقات الدولية على اسس مقبولة من المجتمع الدولي.

ثانياً: ونظراً الى ان العلاقات بين الدول اما ان تكون في حالة سلم او اصطراع فأن السياسة الخارجية تلعب دورها في الحالتين، فتنظم العلاقات وتبادل المبعوثين الدبلوماسيين وتعقد الصفقات الاقتصادية في السلم، وتتولى ادارة العلاقات الدولية بما يعزز المصلحة القومية للدولة في حالة الحرب.

ثالثاً: وعندما قامت ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨، كانت سياسة العراق الخارجية تتسم بالاضطراب والضعف الى حد كبير وبالعجز عن تأمين مصالح العراق الحيوية والمشروعة.

ولذلك كان على الحزب وقد تسلم السلطة السياسية ان يضع الاسس والمبادئ التي تحدد سياسة العراق الخارجية وعلاقاته بدول العالم.

رابعاً: وقد اولى العراق اهتماماً خاصاً للعلاقات مع البلدان المجاورة القريبة منه وهو ينطلق في هذا الاهتمام من علاقات الجوار وما تعنيه هذه من اقامة أوثق الروابط بين البلدان المعينة، بما يحقق مصالحها المشتركة وامنها القومي.

خامساً: وتطورت علاقات العراق مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية بشكل ايجابي وكانت باكورة هذا التطور الاتفاقية العراقية ـ السوفيتية عام **١٩٥٩** التي تم بموجبها تزويد العراق بعدد من المصانع. وبعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز تطورت هذه العلاقات وبلغت مستوى عالياً من النضج من خلال التعاون في الاستثمار الوطني للنفط وتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي في ٩ نيسان ١٩٧٢.

سادساً: وفيما يتعلق بحركة عدم الانحياز فقد قامت الثورة بنشاط بارز فيها من خلال

العمل على تقوية هذه الحركة وتقديم المساعدات الاقتصادية لبلدانها.

سابعاً: ان تجربة العراق في ميدان السياسة الخارجية اكدت نجاح العراق في اقامة علاقات واسعة ومتوازنة مع مختلف دول العالم وعلى اختلاف انظمتها وسياساتها واتجاهاتها.

وقد نجح العراق في ان يكون متوازناً في علاقاته مع هذه النظم بما يحفظ استقلاليته وبما يخدم قضايا النضال القومي.

ثامناً: وكان لقيادة الرفيق القائد صدام حسين كعقل ومفكر وكمخطط استراتيجي، الدور الاول في نجاح سياسة العراق الخارجية وفي تكريس تقاليد خاصة بها، وكان دوره المباشر كمفاوض اهم عوامل بناء شبكة العلاقات الدولية للعراق كما هي عليه من الشمول والتوازن والعقلانية.

القسم الخامس

الوطن العربي



١ـ الوطن العربي ... وحدته واهميته

اولا : ـ الموقع :

يتميز الوطن العربي بموقع فلكي جغرافي فريد، فوقوعه ضمن المنطقة المدارية اكسبه تنوع المناخ، ووقوعه في غرب آسيا وشمال افريقيا اكسبه مزية الموقع الوسط في العالم. وعززت من قيمة موقعه هذا المساحات المائية الواسعة التي يحويها او تحيط به، وصلاحية شواطئه للملاحة العالمية، ثم ان الحدود الطبيعية التي يتمتع بها ميزته عما حوله من الاقاليم، واتاحت لخصائص سكانه القومية النمو الطبيعي دونما مؤثرات ومكنتهم من الافادة من تنوع المناخ وتعدد مصادر الانتاج في اقامة نظام اقتصادي متكامل، فأصبح للوطن العربي لذلك قيمة سوقية فريدة من نوعها.

ان هذه العوامل الجغرافية والحدود الطبيعية بخاصة أفادت في تعزيز وحدة الوطن العربي، ورسم توجهات سكانه في حركتهم وهجراتهم التأريخية وساعدت على الانتشار في حدود وطنها، ومكنتها من منح هويتها لأرضها.

ثانيا : ـ بدء الاستيطان البشري :

شهد الوطن العربي، في وقت مبكر من التأريخ استيطانا بشريا نشيطا، فهو واحد من مواضع الانسان الاول، التي شهدت تفاعلا نشطا بين الانسان والبيئة، لتأمين الحاجات المباشرة للتقدم، والتي بتطورها تطورت وسائل الانسان في التعامل مع البيئة، ونمت لديه القدرة على الابتكار والابداع، ومكنته من مواصلة التقدم في السيطرة على الطبيعة وتكييفها للحاجات البشرية.

ثالثا : ـ الانسان العربي والبيئة :

(تطور المعرفة) :

ادت هذه العمليـة الى صنـع تراكم عظيم من الخبـرة البشـرية ظهرت نتائجها في مستويين : ـ

(١) مستـوى مبـاشـر في الانسـان نفسه ، اذ نمت مداركه ، وازدادت معارفه ، وتهذب ذوقه وسلوكه .

(٢) مستوى غير مباشر تمثل في خلق مستوى من التقدم دائم الارتقاء ، عبر عن نفسه في انجازات حضارية متصلة ، شملت الحركة التأريخية للأمة العربية منذ اقدم العصور .

وقـد ظهـرت مزية الاستخدام الاجتماعي للبيئة في خلق حضارة الانسان التي لم تعتمـد على الظـروف المـلائمـة للنشاط الحضاري حسب وانما على كفاءة الانسان وقـدرتـه ومثـابـرتـه ، فالحضـارة ليست هبـة ولا مزية تورث ، انما هي ظروف ملائمة وقدرات على استثمار تلك الظروف .

ان الوطن العربي لايمتلك المستوى الامثل من ظروف النشاط الحضاري غير انه حظى بأنسان يتسم بالادراك والتنبؤ والقدرة على السيطرة على الظروف والقدرة على تثـويـر المتـوافـر من تلك الظروف وخلق حالة ابداع متواصل ، فخلق حضارة امتازت بجوهرها الفني المتوازن وبدرجة الابداع فيها ، وقدرتها على تجاوز حدودها الاقليمية والتفاعل مع غيرها بصيغة التأثر والتأثير .

وهكذا كان الوطن العربي اول مواطن الحضارة ، وسرعان ما تكاملت فيه الحضارة عنـدمـا ابتكـر الانسـان الكتـابـة ، واسس الدولة ، وطور وسائل الانتاج ، وقنن الحياة الاجتماعية ونظمها .

رابعا : محاور الابداع الحضاري :

في الآف القـرى والمـدن في حوض دجلة والفرات ووادي النيل وسفوح فلسطين

واليمن، بدأ التخصص في العمل الاجتماعي، في وقت مبكر، وكان شاملا وحيويا، وشكلت الخبرات الاولى لسكان القرى والمدن اسس العلوم والفنون والاداب التي انتشرت الى مراكز الانسان الاخرى خارج حدود الوطن العربي، في محاور عدة غير ان ابرزها كان الاحساس بالزمن، وابتكار مؤسسة الدولة، وتطور الفكر والمعتقدات.

١ ـ وضع التقاويم: ـ

ان الاحساس بأن الزمن حالة تقدم وارتقاء، وليس حالة تعاقب مجردة، قاد الانسان الى وضع التقاويم، التي تحسب الزمن وتقسمه لاول مرة في تاريخ البشرية. فكان للانجاز دوره في تنظيم الحياة اليومية للانسان ومعاملاته ونشاطه الاقتصادي وساعد في ظهور الوعي التأريخي عند الانسان، والاحساس بحجم النمو المطلوب انجازه، فكان هناك التقويم السومري الذي تطور على يد الاكديين والبابليين والآشوريين.

ثم ظهر التقويم الحميري في اليمن، واخيرا التقويم الهجري الذي اصبح تقويما قوميا للأمة لانه اقترن بتحقيق ثورتها القومية في الاسلام التي توحدت بها الأمة في كل وطنها لاول مرة، وخلقت دولتها القومية الواحدة.

٢ ـ تأسيس الدولة:

وكان من محاور الابداع الحضاري في الوطن العربي، ابتكار مؤسسة الدولة، التي بدأت في اول اشكالها البسيطة، من خلال ظهور التخصص الاجتماعي العام، على مستوى القرية، الذي ادى الى ظهور الشكل الاولي للسلطات، وقطع شوطا من النضج بظهور المدن ثم المدن الكبيرة المسورة اذ ظهر أول اشكال الدولة المنظمة، التي عرفت بدول المدن السومرية.

ولم تكن فكرة الدولة حالة نمو طبيعي نظري او تنظيمي ابتكره الانسان حسب، انما هي في الحقيقة ابتكار قادت اليه عوامل اجتماعية متعددة اقتصادية وسياسية وثقافية، غير ان ابرزها كان الشعور بالحاجة المشتركة الى التوحد والتنظيم اللذين

يؤ طران العملية الاجتماعية ويواكبان التقدم الاجتماعي عموما والفكر بشكل خاص، اذ دل هذا التقدم على نضج الخصائص المشتركة للأمة في سياقاتها الكبرى (النظام القيمي المعتقدات الروحية، اللغة والبناء الادبي، ضرورات المصلحة المشتركة وتوجه الحركة التأريخية).

لقد بلغ التطور الاجتماعي كل ذلك الحد الذي خلق مصلحة عليا تمثل المحموع، فظهرت الحاجة الى تجاوز اسوار المدن، وبناء الدولة الواحدة في حدود ٢٥٠٠ ق م، على يد البطل القومي العظيم سرجون الاكدي ابن العراق.

وقد ضمت الدولة ما يصطلح عليه الان بالمشرق العربي، وشملت سيناء ايضا، وقد قام بعد ذلك بطل قومي آخر هو (مينا) ابن وادي النيل ببناء دولة ضمت حوض وادي النيل الى الاطراف الغربية للوطن العربي.

٣ ـ تشريع القوانين:

ولان الدولة اعلى اشكال التنظيم الاجتماعي فقد اصبحت مهمة استمرار النظام الاجتماعي من مسؤولياتها، فاقترن نشؤوها، في الوطن العربي، بالعدل الاحتماعي والسعي لجعل الحياة عادلة، فابتكر الانسان العربي القوانين، وظهرت في الوطن العربي وفي العراق بخاصة اولى الشرائع في تاريخ البشرية، التي تكاملت بقوانين الملك البابلي العظيم حمورابي.

ورغم ان التطور الحضاري للأمة تحت الاحتلال وعنف التوجه المعادي لها بلور المقومات القومية للأمة، والوعي بالحاجة الى ضرورة تأمين الأمة، ووطنها وحضارتها بتجاوز الدولة الاقليمية الى الدولة القومية، التي تمتلك اكثر من سابقتها فرصا وامكانات للدفاع عن السيادة، وهكذا استطاع الرسول العربي القائد محمد بن عبدالله ان يوظف هذا الوعي في خلق ارادة الوحدة والثورة لتخلق اعلى مراحل تحقيقها (الدولة القومية).

٤ ـ تطور الفكر:

وعبّر الابداع الحضاري في الوطن العربي عن نفسه في تطور الفكر، الذي جاء تتويجا لنمو اللغة وابتكار الكتابة ووسائلها وبدء التفكير الفلسفي عند الانسان، وتجلى هذا الابداع في قصة الخليقة السومرية، التي تعد اول تصور مكتوب لقصة الخليقة وخلق الكون، وموقع الانسان منه.

لقد انعكست سمات وخبرات الانسان العربي ومدركاته ومعارفه على هذه القصة، فطورتها مع الزمن، تبعا لتنظيم نظرتها الى الاشياء، وتطور عقليتها في فهمها، فأصبحت بالنتيجة ليست قصة لتسجيل تصورها للخليقة انما وسيلة لتسجيل تطورها الفكري في شكل بناء ملحمي ادبي، كما ظهرت ملحمة كلكامش في تفسير سر الكون.

انطلق الموقف الفكري من ادراك مبكر لقوتي السماء والارض، ففي السماء رأى الانسان العربي تركز الروح وسر الكون ومصدر الاشياء فيه. ورأى في الارض عوامل الحركة ومنافع الحياة المادية، فسعى بأستمرار لتطوير تصوره هذا ورسم له توجها يهدف الى تحقيق موازنة في الحياة اليومية بين قيم السماء وقيم الارض، وشكل سعيه ثورات فكرية في الوعي والاستنتاج، طورت تصوره ومعتقداته، ونجح في تأطير نشاطه اليومي وممارساته الحياتية بأطار من المعتقدات الدينية والروحية الدالة على هذا التصور الفكري والملبية لضروراته فكان بناؤ ه العقائدي والقيمي موحدا متكاملا واصبح هذا البناء انسانا موحدا بحكم بنائه العقائدي الذي توحدت فيه قيم السماء والارض، واصبح بمرور الزمن حالة وحدوية مطلقة تطبع واقعه وحياته وحركته التأريخية وتمثل وضعه الطبيعي في الكون.

لقد توج هذا الارتقاء الفكري بالرسالات السماوية الثلاث، التي وظفت هذا الارتقاء في قيادة الانسان لادراك سر الخلق (الله) فأصبح التوحيد الديني معززا للتوحيد الاجتماعي وسمة قومية للأمة العربية، وكانت فرصة تأريخية لاستقرار شخصيتها الحضارية والقومية معا، وسمة لحركتها التأريخية.

خامسا: القيمة السوقية للوطن العربي: -

اقترنت عملية التقدم الحضاري، والثورات الفكرية التي رافقتها بحالة من التمازج الاجتماعي التي عززتها الهجرات، التي شكلت حالة من الانتشار القومي، في شكل دورة حضارية دائمة، بموجبها تعيش الأمة حالة تكون، ثم تبدأ انتشارها الجغرافي في الوطن العربي وممارسة عملية تلاقح اجتماعي - حضاري مع الأجيال، التي سبقتها تتيح لنفسها من خلالها عملية التفاعل معها واستيعاب انجازها الحضاري، المباشرة في عملية اغناء واكمال حضاري جديدة.

وهكذا تحول الانتشار البشري للآمة في شكل هجرات الى عملية تعزيز دائم للثوابت القومية الجغرافية والتاريخية والثقافية التي تؤكد هوية الوطن العربي ووحدته.

تجلت في المسيرة التأريخية للوطن العربي مزايا الموقع السوقي وتحكمه في الملاحة وطرق التجارة العالمية، ومزايا الثروات الاقتصادية والقيمة الحضارية فيه، واعطته مكانة عالمية بارزة غير انها في ذات الوقت جعلته موضع تكالب عالمي على مر العصور، اخذ شكل موجات غازية، مارست التسلط والقهر الحضاري والاقتطاع الجغرافي لاجزاء من الوطن العربي، والحاقها بكيانات سياسية خارجية كما فعل الاسكندر المقدوني، ومارست او شجعت عملية الاحتواء الحضاري الواسع النطاق لسكان الوطن العربي بتحريف العقائد وافراغها من جوهرها الانساني، وتزوير التأريخ كما فعل اليهود المحرفون الذين حرفوا اليهودية واعادوا كتابة تأريخ العالم آنذاك، بما يخدم تحريفهم، وكما فعل الرومان مع النصرانية، وازداد ضغط المدارس الدينية والفلسفية التي انتشرت في المناطق المحتلة وعلى تخوم الوطن العربي بأتجاه تشويه الثقافة العربية وطمس معالم الابداع العربي.

غير ان هذه السياسة باءت بالفشل، فاذا كانت قد اخرت حالة النهوض القومي للأمة العربية فأنها لم تلغ جوهر الأمة الحضاري، ولم تضعف مقوماتها القومية، بل على العكس شجعت عملية التحدي هذه ابناء الأمة على التمسك بالاصول الحضارية والخصائص القومية، فعلى مستوى العقائد شكلت العودة الى التوحيد ودين ابراهيم الخليل عملية تحصن ضد التخريب اليهودي والروماني ورفض العرب

ايضا الوثنية التي جاءت بها خزاعة من الاراضي المحتلة لانهم اعتبروها بعضا من مؤثرات الاحتلال وفرضوا عليها الانضواء تحت لواء التوحيد الاول بقدر معين عندما وضعوا اصنامهم في الكعبة وقبلوا بنظرية الاله الاعلى.

وعلى مستوى الخصائص القومية شكلت الصحراء حالة تحصن وحاضنة للقيم والخصائص العربية فلم تكن حياة الصحراء بالنسبة للعربي حالة ارتداد حضاري، انما كانت فرصة للقاء والعودة الى الجوهر تنتهي بالانتشار في الوطن العربي ومباشرة عملية تحصين قومي وتجدد حضاري في آن واحد.

واذا كانت موجات الهجرة تأتي على بعض مظاهر التراث الحضاري اثناء انتشارها فالنتائج السلبية لذلك لاتوازى عملية التحصين القومي وتأمين السيادة وتعزيز الثوابت الجغرافية والتأريخية التي كانت تنجزها عملية الانتشار.

وفي تقديرنا ان هذا هومصدر السروراء فشل حالات الاقتطاع التي مورست مع الوطن العربي، فقد إنسحب العرب الى وطنهم من كل الاراضي الواقعة خارج حدوده والتي قادهم اليها دورهم الحضاري والانساني، غير ان احدا لم يستطيع اقصاءهم من جزء من وطنهم مهما طالت عملية السلب والاقتطاع، فالسيطرة الاجنبية التي بسطت نفوذها على اطراف الوطن العربي منذ سقوط بابل ٥٣٩ ق. م حتى ظهور الرسول القائد ٦١٢ م والتي امتازت بتعدد اطرافها، وتنوع ممارساتها وقسوتها ووحشيتها، لم تنجح في تحقيق أي هدف جغرافي او تأريخي اوثقافي او سياسي اذ سرعان ما استطاع الرسول القائد وصحابته ممارسة عملية تصحيح واسع للخلل الذي احدثته السيطرة الاجنبية واعادة تأكيد الوحدة الجغرافية والتأريخية والثقافية للوطن العربي ووضعه على اعتاب ابداع حضاري جديد.

خلاصة موضوع الوطن العربي

لاحظنا قيمة موقع الوطن العربي، ليس باعتباره ارضا جغرافية حسب انما قيمتها لخصائص سكانه القومية وكيف أثر الموقع في تكون سكان الوطن العربي فكريا وحضاريا، واتاح للتفاعل بين الانسان والبيئة فرصة اكساب الخصائص القومية حصانة في النضج والاستقرار، ساعدها على ذلك قدم الاستيطان الاجتماعي ونشاط

الانسان، وقدرته على الاستثمار الأمثل لامكانيات الوطن العربي.

وقد تجلت هذه القدرة في حالة الابداع الحضاري الذي سجل نشاطا على محاور متعددة ابتداء من ادراك قيمة الزمن في حياة البشرية الى تأسيس الدولة وتشريع القوانين وتطور الفكر.

كما لاحظنا القيمة الستراتيجية للوطن العربي في انتشار الأمة العربية وتوجيه انتشارها بالشكل الذي يوظف الانسان والبيئة في حالة تفاعل مستمر جعل العلاقة بينهما حالة توحد مطلقة وسمت الحركة التأريخية والفكر والبناء الاجتماعي فاصبحت الوحدة لهذه الاسباب هي الحالة الطبيعية للأمة في وطنها.

٢- الامة العربية ... وعوامل النشأة والتكوين

اولا ـ مدخل :

شهـد القـرنـان الثـامن عشـر والتاسع عشر ظهور الدول القومية في اوربا، بعد ان توحـدت دويـلات المدن التجارية، واتسعت مناطق سيطرتها، تبعا لاعتبارات تتعلق بالارض والسكان والبناء الثقافي، الذي يجمعهم من لغة ومصالح مشتركة.

ومن خلال هذا التطـور ظهـرت في اوربـا نظريات في نشوء الأمم والقوميات وراح منظـرو اوربـا على مدى قرن من الـزمـان يعيـدون تقييم التأريـخ العـالمي قبلهم، ويقيمون تجارب الشعوب حولهم.

لقـد عاني الـوطن العربي من الهيمنة السياسية الاوربية واحتلالها الطويل، الذي انتهى بتجـزئـة الـوطن العـربي، غيـر ان اخطـار الهيمنـة العقائدية كانت اكبر، لانها اتجهت الى الانسان والى تاريخه.

لقد تعامل الاوربيون مع الأمة العربية بأتجاهين : ـ

(١) اعـادة كتـابـة التاريخ العربي بالشكل الذي يخدم مصالح اوربا وتوجهاتها بقصد تشكيل وعي غربي تاريخي لايساعد على خلق وعي قومي.

(٢) احتـواء العـربي عقـائـديـا. وكان واضحا ان هذه الممارسات تهدف الى الوصول بالانسان العربي الى حالة من التغريب تهيئه لاعتناق عقيدة اوربا في التطور. وقد نشأت مدرسـة الفكـر السيـاسي لتطبق مقـاييس اوربـا ونظـريـاتهـا على الفكـر السياسي العربي خاصة في موضوعة (الأمة) متناسية مسائل اساسية هي :-

ا ـ صعوبة استخدام نظريات او افكار مترشحة من واقع معين يختلف في ظروفه عن واقع آخر كلية.

ب ـ عدم ادراكها الفرق التأريخي بين الأمة العربية واوربا، فعلى عكس الأمة العربية ذات الجذور التأريخية الضاربة في القدم، ليس هناك شعب اوربي ممن شكل دولة قومية في القرن التاسع عشر يستطيع ان يمد جذوره الى قرون قليلة سابقة.

ج ـ انطلاقها من اعتقاد يرى ان هذه النظريات ذات طبيعة مستقبلية مطلقة، في الوقت الذي يثبت فيه تأريخ اوربا في القرن العشرين عدم صحة هذا المنطلق. فعلى المستوى العام، ظهرت في اوربا الماركسية التي رفضت نشوء الامة الرأسمالية وعلى المستوى الخاص بدأت الكيانات القومية الاوربية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وشكلت ميادين استنباط النظريات الاوربية تتفكك الى كيانات صغرى، تحت ضغط المطالب الاستقلالية في عصر التوحيد والقوى الكبرى. هذا بالاضافة الى مسألة جوهرية هي ان هذه النظريات لايمكن ان تطبق على الأمة العربية. فكما يقول القائد المؤسس كل نظرية (عن «القومية» يصح ان تقال على السواء عن فرنسة القرن الثامن عشر وعن اليونان في عهد افلاطون نظرية زائفة آلية لانها تنبىء عن خصائص المكان ولا يستشف فيها انسياب الزمن).

لم يقتصر اثر المرحلة الاستعمارية على الجوانب العامة للحياة العربية، فلم يتوقف عند صنع التجزئة او استغلال الأمة وفرض التخلف، انما امتد الى حد اعداد جيل عربي يعتنق حضارة اوربا وعقائدها، ويعتنق افكارها ونظرياتها ويحدد تطلعاتهم الفكرية ويشكل وعيهم، فالخطر الثقافي كان كبيرا لانه لم يوقف وعي المجتمع انما شوه اتجاهاته.

ثانيا: ـ مقومات الأمة العربية:

نشأت الآمة العربية في حقبة موغلة في القدم في جزيرة العرب، حيث ظهرت وتبلورت خصائصها الجوهرية، واستقرت مقوماتها الابتدائية جغرافيا وتأريخيا وثقافيا وحضاريا. وخرجت من الجزيرة العربية على شكل هجرات، انتشرت في الارض المحصورة بين المحيط الاطلسي وجبال زاجروس، حيث عاشت تاريخها وصنعت حضارتها وانشأت دولها التي تطورت في الاسلام الى دولة قومية واحدة. وساهمت مقومات عديدة في صنع هذه الحالة للأمة منها: ـ

١ ـ الوطن الواحد:

استقرت الأمة العربية عبر تأريخها في هجرتها وانتشارها على وطن محدد بحدود طبيعيـة هو الـوطن العـربي، بغض النظـر عن درجـة نمـوه الجغرافي تأريخيا او درجة شمولها له افقيا في حركتها وانتشارها، طالما انه بالنتيجة اصبح محددا بحدود عربية، سواء كانت جغرافية او بشرية او ثقافية او حضارية، مارست فيه نشاطها الاجتماعي، واستقرت في شكل شخصية حضارية لها نمطها الخاص، ولها اتجاهاتها في الابداع والتـواصـل، ودورهـا العظيم في الحضارة الانسانية، عندما وضعت خبرتها وابداعها الحضاري وما ابتكرت من العلوم والفنون والاداب في خدمة المجتمع البشري عموما.

لقـد تميـزت الأمـة العـربيـة بثوراتها الفكرية التي مثلت حالة تقدم فكري باتجاه التـوحيـد في المعتقـدات الـدينيـة ووحـدة البناء الروحي التي تحولت بفعل علاقتها بالحياة اليومية الى نمط من الوحدة الاجتماعية يعبر عنه بوحدة الامة وثقافتها وبدولتها القـوميـة وتقـدمت ايضـا بالعـلاقـات الانسـانيـة نحـو مستوى من التهذيب والتكافؤ والعدل، عندما كرست شطرا من ابداعها الفكري لوضع القوانين.

٢ ـ وحدة الحركة التأريخية: ـ

استقـرت الأمـة تاريخيـا عنـدمـا ارست من خلال انتشـارهـا صيغـة في الحـركـة التأريخية، تقوم على اساس تعلم كل جيل من الجيل الذي سبقه الخبرة التي توصل اليهـا، لكي يقـوم بدوره في تطـويـرهـا وهكـذا استمـر النشـاط البشـري الذي ابدع الحضـارة العـربيـة عبـر التأريـخ، ممـا اتاح لمزايا الأمة وخصائصها فرصة الاستقرار والتعبيـر عن نفسهـا بصيغة محددة ومتجددة تكاد تكون واحدة عبر التاريخ بأستثناء ما تفرضه حاجة الأمة في عصر من العصور قد لايكون موجودا في العصر الذي سبقه.

هكذا تعايش الاكديون مع السومريين وتصرفوا، وهكذا تعايشت اجيال الأمة عبر تأريخهـا ويكـاد يكـون من المألوف تاريخيا ان تعيش الأمة حالة مخاض في مكان ما

من جزيرتها، تكتسب فيه جوهرها وخصائصها ثم تبداء حركتها الى حيث توظف نشاطها في ابداع حضاري، فتزدهر حياتها، وينعكس ازدهارها عليها في شكل نمو بشري يدفعها الى الانتشار، بينما تكون مرحلة مخاض جديدة قد بدأت، وفي معظم الاحيان كان الطريق عبر غرب الجزيرة هو طريق الانتشار، حيث تتجه هجراتها شمالا فيتخلف بعضها ويستمر الباقي الى ان يستكمل انتشارها تغطية كل الوطن العربي. وفي التاريخ القديم قبل الاسلام وفي الاسلام او فيما بعد لدينا ادلة تأريخية ثابتة، ففي هجرة الاراميين والازد ثم الخروج القومي للأمة العربية في الاسلام، كان الانتشار شاملا يغطي سواحل الخليج العربي والعراق وبلاد الشام (الداخل والساحل) ويمتد الى مصر، فاما ان يحصل اجتياز بري او تنتقل الهجرة بحرا الى سواحل المغرب، كما فعل الفينيفيون، عندما انتقلوا بحرا الى تونس والمغرب العربي، ثم تبدأ هذه المستوطنات نشاطها الحضاري وحركتها التأريخية وتتجه الى شكل من اشكال الوحدة السياسية باي مستوى كان.

ففي التأريخ القديم انشأت هذه الهجرات دويلات مدن عديدة قاد تطورها الاجتماعي ونضجها الحضاري والتاريخي الى ادراك المصلحة العليا لتجمعها فتجاوزت حدود اسوارها لتنشيء اول دولة مركزية ليس في تاريخها بل في تاريخ البشرية عندما وحد سرجون الاكدي دويلات المدن في العراق القديم في دولة واحدة مدّ نفوذها الى ما يصطلح عليه الان بالمشرق العربي والى وادي النيل. وقد قادت خطواته هذه الى ان تتطور الأمة الى مستوى اعلى، وتدرك ان هذه الخطوة على عظمتها ليست هي الحل الكافي لحفظ السيادة نتيجة لعمليات الغزو اللاحق التي تعرضت لها الأمة العربية فتطور وعيها الى ضرورة خلق الدولة الواحدة وهي الانجاز التأريخي الذي حققه الرسول القائد محمد بن عبدالله (ص) في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي).

٣ ـ الثقافة المشتركة:

اسهم الاستيطان في وطن محدد بحدود جغرافية طبيعية في اتاحة المجال امام نمو السمات المشتركة للجماعات البشرية في الوطن العربي ونتج عن تفاعلها مع

بعضهـا وتفـاعلهـا مجتمعـة مع بيئتهـا الجغـرافيـة خلق نسيـج مشتـرك من العـادات والتقـاليـد، ولعبت اللغـة ثم الكتـابة دورها في تحقيق تمازج وتفاهم انضج عواطف مشتركة واحاسيس متجاوبة ونظرة متقاربة الى الكون وموقع الأمة فيه.

وهكذا نشأ بناء ثقافي اتسم بالابداع والتجدد والمواكبة المستمرة لحاجات الحياة اليـوميـة، ممـا عزز ثقة الانسان بنفسه، وخلق لديه قوة بناء نفسي واخلاقي، عبر عنه في حركة مستمرة متواصلة من تطور الفكر المتسم بالشمولية والتنبؤية.

وهكـذا ادت عوامـل الـوطن والتأريـخ والثقـافـة الى توجيـه حياة البشر في الوطن العربي وجهة واحدة حولت تلك الجماعات البشرية الى أمة...

ثالثا: ـ فاعلية مقومات الأمة العربية: ـ

والآن بمـاذا يمكن ان نقيس نشأة الأمـة العـربية وتكونها. ووفق اية نظرية؟ فالأمة العـربيـة لا تمتلك الشروط الابتدائية لنشوء الأمة حسب وانما تمتلكها بكفاءة كبيرة، فعلى سبيل المثال هل بقى وطن في مكان من العالم على وضعه وهل استطاع شعب من الشعوب ان يحتفظ بوطنه كما احتفظت الأمة العربية بوطنها كل هذا الزمن الطويل؟

لقد امتد العرب خارج وطنهم بحكم دورهم الحضاري والانساني وانسحبوا تحت هذا الظـرف اوذاك. ولكن هل استطـاعت ايـة موجة غازية بسطت نفوذها على مكان من الـوطن العـربي ان تقتطعـه او تطمس هويتـه؟ امامنا الفرس الذين دخلوا العراق، واتخـذوا عاصمتهم فيـه لننظـر كيف انهم دخلوا عراة حضـاريـا واحتـوتهم حضارته. وامامنا الصليبيون والمغول والعثمانيون.

واذا ما انتقلنـا الى الثقـافـة واللغـة فهـل استطاعت كل القوى الغازية بممارساتها المتعـددة وقـوتهـا ان تطمس الثقـافـة القومية بمعنى ان تحرفها عن سياقها التأريخي وتفرض عليها مسارا آخر يتحول الى ثابت تاريخي؟؟

هل استطـاع الاتـراك والفـرنسيـون والانكليز القضاء على اللغة العربية؟ انهم لم يستطيعـوا ولم يتمكنـوا رغم التعتيم والتضليـل ان يلغوا دور الأمة فالتأريخ زمن والزمن يختصر بقياس التقدم، لكنه لايلغى بقياس الاستئصال والحذف. ولكن هل نستطيع

ان نقول ان ثمة عاملا معينا هو صاحب الدور الاكبر في خلق الأمة؟ يقول الفرنسيون بعامل الارادة ويرجح الالمان عامل اللغة ولكن هل يمكن حقيقة تطبيق ذلك على الأمة العربية؟ الأمة الحقيقية. . . العظيمة لاتقاس نشأتها بعامل واحد انما بتوازن العوامل الذي يكسبها توازن الشخصية، ومن ثم يمنحها مرونة الابداع الحضاري والاتصال مرة اخرى بمعاني الكون العميقة، فتفيض على الأمم الاخرى فكرا وعدلا وعملا.

ان العامل الذي يعتبر من وجهة نظر اوربا فاعلاً في نشأة الأمة في حقيقة الآمر هو العامل الذي اتاح تجميعا اكبر يقف وراء تحقيق المصلحة المادية. ولكن بالضرورة لن يخلق الأمة المتجانسة، والا فمن الصعب ان ترى هذه الأمة تتفتت وهي في عنفوان حركتها التأريخية.

اما امتنا العربية فأنها تتشكل بأستمرار لاعتبارات حضارية انسانية فالتجدد القومي عندها ضرورة حقا ولكنها جزء من مسؤولية انسانية لذلك نراها لاتعلق اهمية على مقدار التحشيد او التجمع، انما على مقدار الابداع والحركة التي يجب خلقهما.

فالأمة العربية (امة) متوافرة لها الشروط الابتدائية بكل أمة وعربية بمعنى ان لها خصائص جعلتها عربية تتميز عن غيرها وانها حصيلة تطور كل تلك الشروط. وهذه الهوية هي التي وضعت تلك الشروط في سياق النمو والنضج المستمر.

ولكن كما يقول القائد المؤسس (اللغة العربية ابرز عنوان لهذا الاستمرار بما تتضمنه اللغة من وحدة في التفكير وفي المبادىء والمثل) فهي مستودع الثقافة وصانعة الاحاسيس واداة التفاهم. ومن ذات المنطلق يأخذ التأريخ دوره في نشأة وتكون الأمة كما يرى القائد المؤسس (التربة الحية التي نما فيها وعينا وتصحح وتكامل حتى بلغ هذه المرحلة الحاضرة).

ولهذا اصبحت امتنا، بفعل تأريخها واستمرار ما تمليه شروطها الابتدائية أمة خالدة لم يستطع احد تصفيتها، لان الاستمرار والفاعلية خلقا الشعور المشترك والمصلحة المشتركة وحددا المسؤولية التأريخية وولدا الارادة، فهذه الأمة اذن استمرت بالأرادة العربية في ان تستمر، لذلك كما يقول القائد المؤسس نحن (نسمى عربا هذه المجموعة من البشر التي استلمت من الماضي تلك المقومات والشروط الابتدائية والضرورية للشعور المشترك وللمصلحة المشتركة).

غير ان هذا الخلود لايعني جمود الحالة انما ثبات الثوابت الاساسية في حياة الأمة واستمرار المقومات التي تنسج منها وتبني عليها حالات التجدد الحضاري للأمة اي الخلود بمعنى حالة الخلق الدائم.

[خلاصـــــة]

نخلص من هذا البحث الى الامور التالية:

اولاً: ان تاريخية الأمة العربية تميزها عن اوربا. فهي على عكس الاخيرة ضاربة الجذور في التاريخ وقد نشطت حضاريا في عصور لم يكن اي من المجتمعات الاوربية القائمة قد ادركها.

ثانياً: انها امتلكت المقومات الابتدائية اللازمة لنشأة الأمة. وهي الوطن الواحد، ووحدة الحركة التأريخية، والثقافة المشتركة وان حركتها في التأريخ كانت حركة نضج هذه المقومات باتجاه خلق أمة.

ثالثاً: ان الأمة العربية استطاعت المحافظة على توافق التأريخ مع النوع. فالتأريخ في الوطن العربي منذ بدء الحضارة كان تاريخ أمة واحدة هي الأمة العربية، وان اجيالها المتعددة نشطت في ممارسة رسالتها الحضارية في ذات الوقت مع المحافظة على هويتها وشخصيتها القومية، وانها كانت تستمد من نمطها الحضاري ومقوماتها الابتدائية وخصوصيتها في الفكر والحركة التأريخية عوامل الصمود عبر التأريخ.

رابعاً: وان الأمة انجزت نضجها القومي تأريخيا في مرحلة قديمة، مختطة لنفسها صيغة في التكون القومي، ثم في التجدد التأريخي المستمر للشخصية القومية، مواكبة التقدم فلا هي تحجرت على صيغة واحدة في التعبير عن شخصيتها القومية، ولا هي تركت الزمن يمضي دونها.

خامساً: وعلى العكس من التجربة القومية في اوربا من حيث النشأة والمرامي والمقومات تمتاز الأمة العربية بروحية خاصة في العقل الارادي وخصوصية عمل مقوماتها والارادة المتمسكة بالبقاء والتجدد.



٣- معنى التراث ومظاهره

اولا - معنى التراث : -

التراث في اللغة هو ما يرثه الناس، غير ان للتراث معنى آخر من خلال الاستخدام الاجتماعي للكلمة (معنى اصطلاحيا) فهو ناتج العملية الاجتماعية للأمة العربية، وهو ليس مظاهر شاخصة في الحياة اليومية، انما هو احد ابرز ادوات الوعي القومي، لأنه المعبر عن انتماء الامة الحضاري في التاريخ، وشاهد على حيويتها وسمتها كأمة تسهم في صنع التأريخ، وابتكار العقائد. وبما ان التراث هو محصلة المسيرة الحضارية للأمة وقدرتها على الابداع فهو اذن محصلة اساسية للاسس التالية : -

(١) وطن يمتلك مقومات النشاط الحضاري

(٢) امة تمتلك قدرة على تثوير مقومات النشاط الانساني وسوقها باتجاه الابداع الحضاري.

(٣) مستوى ذهني واخلاقي ونفسي على مستوى الفرد والأمة يهيء للابداع.

والتراث لا يعكس، بالضرورة كل ملامح هذه الاسس، لذلك يفترض لفهم التراث واستيعابه معرفة التأريخ، فهو السياق الزمني الذي ابدعت فيه الأمة تراثها، وهو بحكم طبيعته التسجيلية للعملية الاجتماعية (اسبابها وتطورها ونتائجها وظرفها الزماني والمكاني) قادر على ان يعطي الوضوح اللازم للتراث.

ثانيا : - تراث الأمة العربية :

بدأت العملية الاجتماعية للأمة العربية في عصور تأريخية سحيقة، تتصل بنشأة الأمة، فهي اذن حركتها التأريخية بكل زمنها وصيغ تجدده. فالامة كيان بشري ينشأ من عنصر وارض، غير انه ينضج ويتبلور ويكتسب خصائصه بعوامل اللغة والثقافة والعادات والمصالح التي تشد افراده وتعزز تمازجهم وتجعلهم يتكونون تأريخيا وفق صيغة معينة دون سواها.

وكما انه من غير الممكن حصر تأريخ الأمة باحدى صيغ تجددها، كذلك من غير الممكن حصر تراثها باحدى مراحل ابداعها. اذن تراثنا يبدأ من هناك، من تلك العصور السحيقة التي شهدت نشأة الأمة.. من كهوف العراق ومصر واليمن، ومن سكان القرى والمدن، الذين شكلت خبراتهم وتجربتهم اساس الحياة البشرية، وتكونت منهم الأمة، وقامت بجهودهم الدولة، وتحقق بعقولهم الابداع، لان حصر التراث بعصر من العصور يعني ان الأمة خلقت فجأة. وهذا غير مقبول بالنسبة لأمة مثل امتنا لها تاريخ طويل وحافل بالابداع الحضاري.

ان امتنا وعبر خمسة الاف سنة قبل الميلاد ارست عبر تجربتها التأريخية والحضارية اسس العلوم والفنون والاداب، وشيدت الدول وشرعت القوانين، وازدهرت حياتها الاجتماعية والثقافية في مئات المدن الحضارية. وبسبب السمة المتواصلة في الحركة التاريخية، وفي الابداع الحضاري، فقد ورث الوطن العربي تراثا غنيا من الادب والفكر والعلوم ومؤلفات لا حصر لها تتوزع في مختلف المكتبات العالمية تروى قصة أمة، وكيف استوعبت دورها وصور تعبيرها عن ذلك الدور. واذا كان تراثنا المكتوب قد توزع في العالم، ففي وطننا شواهد تراثية، رغم انها تعرضت هي الاخرى لعملية سلب الا انها مازالت تنبيء بذلك الماضي.

وعبرت امتنا العربية من خلال حركتها التأريخية، وصيغ تكونها عن تواصل تأريخها، فكانت في كل دور تستوعب الانجاز الحضاري للدور السابق، بعدما تكون استوعبت عصرها وتمارس من خلال استخلاصها لقوانين واتجاهات حركة التاريخ في الماضي وفي عصرها، الموازنة بين ضرورات الاصالة وضرورات العصر، بين اثر الاصالة وحاجة الأمة الى التكون.

ان هذا التواصل القائم على الاستيعاب والتمثل لقوانين الحركة التأريخية جعل من التأريخ تسجيلا لرسالة الأمة. غير ان هذا لايعني بأي حال من الاحوال ان هذه الرسالة انجزت بوتيرة واحدة، انما الامر على العكس، فقد مرت بمراحل ضعف وسكون، مثلما عاشت ازدهارا ويقظة وابداعا. والذي يتتبع تأريخ الامة يستطيع ان يلاحظ فيه وبشكل واضح تجدد الحقب على اساس ثوري وحضاري، ففي الزمن القديم انجزت الأمة تكونها ولعب العنصر والارض دورا اساسيا، فهما قطبا التكون. غير ان هذه الحالة الابتدائية من التكون تمت ونضجت وتبلورت واكتسبت خصائصها

من خلال التفاعل بينهما ومع الزمن، ومكنتها ارادتها من ان تصنع مستوى عاليا من الابداع الحضاري على مدى خمسة الاف عام، بين نشوء اول مستوطن حضاري وبين سقوط بابل سنة ٥٣٩ ق. م على يد الفرس الاخمينيين.

لقد ارست الامة من خلال ابداعها اسس العلوم والفنون والاداب، التي اصبحت اسس التطور البشري، فمئات المدن، وما فيها من فن الهندسة والعمارة والذوق، والالات الانتاجية، والابداع الفكري ووسائل نظم الحياة والمجتمع والتشريع، تعكس ذلك الدور. اضافة الى الاف اللقى الحضارية التي تزين متاحف العالم.

وتلا عصر الحضارة انحطاط وتخلف، استمر حتى ظهور الرسول القائد محمد بن عبدالله في القرن السابع الميلادي. وشهدت تلك الفترة سيطرة قوى احتلالية متعددة تنوعت ممارساتها غير ان الأمة بقيت.

صحيح ان عطاءها الحضاري توقف، وتأخرت نهضتها، غير ان خصائصها كانت تفعل، وكانت تهيىء لتكون جديد، فاستقرت بفعل التحدي شخصيتها الحضارية، واكتسبت ملامح قومية اكثر تخصصا وتبلورا، وسجلت لها تقدما في ضروب جديدة من المعرفة والعلوم في مجالات الفلك والانساب والادب واللغة.

ولما جاء الاسلام التقى النضج في التوحيد بالنضج الاجتماعي والثقافي للأمة، فتمازجا ولقوة التقائهما اصبحا شيئاً واحداً فأصبح التوحيد في الدين توحيدا اجتماعيا، واصبحت العروبة شرطا للتوحيد فأزدهرت الأمة واعطت على مدى سبعة قرون عطاء حضاريا عظيما

ثالثاً :ـ التراث العربي وعلاقة العرب بالعلم :ـ

ليست عظمة العرب في ابداعهم الحضاري حسب انما في قدرتهم على اعطاء هذه الحضارة قابلية الانتشار، فالاندلس التي اظهرت وبشكل رائع عبقرية العرب شكلت احد ممرات الحضارة الى اوربا، كذلك صقلية. وعندما احتك الاوربيون بالعرب بالحروب الصليبية رجعوا الى بلادهم متأثرين بالحضارة العربية ومؤثراتها.

ولقوة الاثر الحضاري العربي تحضرت الاقوام التركية القديمة عندما احتكت بأطراف الدولة العربية، وتحضر المغول بتأثير الحضارة العربية رغم اجتياحهم التدميري للدولة العربية.

واذا كانت بعض الشعوب التي احتكت بالعرب وتحضرت لم تستطيع ان تبدع حضارة، لان الشرط الاساسي الذي يرتكز عليه الابداع قد افتقدته (وهو التفاعل بين الانسان وبيئته) بحكم هجرتها، فأن اوربا التي وصلتها الحضارة العربية، دون ان تضطر هي الى الهجرة استفادت من هذه الحضارة، واتخذت منها قاعدة اساسية للتحضر والابداع الحضاري، فعلماء عصر النهضة وادباؤ ه ومثقفوه ومبدعوه تعلموا من النظام التعليمي العربي، الذي انتقل الى اوربا، وهضموا الآف الكتب والتجارب الحية، واستوعبوا القوانين الاساسية للمجتمع الانساني، بل اكتشفوا انفسهم تأريخيا، عندما قدم لهم العرب تراث اليونان والرومان، بكل امانة.

ثم تلا العصور الحضارية عصر انحطاط آخر بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ على يد المغول، اذ شهد الوطن العربي مرحلة استعمارية ماتزال نتائجها الى الان وكما كان للمرحلة الاحتلالية بعد سقوط بابل اثرها في تأخير نهضة الأمة، وايقاف عطائها الحضاري، تفننت القوى المحتلة في المرحلة الاستعمارية القائمة بوسائل التدمير وفرض التخلف غير ان التحدي ولد في احشاء الأمة حركة استجماع عبرت عن نفسها بارادة الانبعاث، التي يمثلها حزب البعث العربي الاشتراكي.. الحزب الذي نشأ اثر استكشاف التأريخ العربي كله، واختار الطريق الخاص في تحقيق الثورة.. الطريق القومي الاشتراكي المعبر عن تزاوج الاصالة والمعاصرة.

رابعا ـ الابداع والتراث:

كما ان دراسة التأريخ تتيح لنا الوقوف على مستوى البناء النفسي والاخلاقي والذهني للأمة والذي مكنها من ممارسة العمل الحضاري واتجاهات هذا العمل ومجالاته، فالتراث يتيح لنا الوقوف على شكل الاستخدام الاجتماعي للمبتكرات الحضارية، يوم تحققت، ويعطينا فكرة عن حركة المجتمع، تمكننا من معرفة شكل الحاجة الواقعية لبناء مدينة او تمثال او وضع كتاب او خلق قيمة اجتماعية وتمكننا من

التمييز في الموروث بين الاصيل الذي ابدعته الأمة والدخيل الذي تسرب اليها من خلال الاحتلال الطويل.

فلو اعدنا قراءة القرآن، واستعرضنا السور الاولى لأمكننا ان نلاحظ كيف ان القرآن، من خلال تسجيل قصص الانبياء الذين سبقوا الرسول القائد محمد بن عبدالله، سجل قيم الأمة وعاداتها واخلاقها، واتاح للعرب الذين اهتدوا للايمان ان يعرفوا كيف يجب ان يكون المؤمن اولا وكيف يكون انسانا سويا، واي القيم يجب ان يعتنق، ليصبح سويا ومؤهلا للايمان بعقيدة الأمة فطرح له هذه القيم من خلال عرض سيرة كل من انبياء أمته ولأن الايمان بعقيدة الأمة يعني مباشرة حركة تغيير ثوري على مستوى الأمة والعالم، فقد اشر القرآن القيم الجوهرية، التي ترتبط بحركة ثورية كونية. ولم يركز على القيم السلوكية ذات العلاقة بتفاصيل الحياة اليومية، فنوح النبي رمز الشعور بالمسؤولية الكونية... المسؤولية تجاه الكائن الحي وعيسى رمز الاستشهاد دفاعا عن المباديء ويوسف رمز الصدق والنقاء والطهر والعفة، وايوب رمز الصبر الثوري. ثم بين كيف ان اجتماع هذه القيم في شخص الرسول القائد محمد بن عبدالله يصنع ارادة الثورة والنضال.

وهذا يعني عمليا حالة فرز في التراث بين قيم الأمة والقيم المعتنقة انذاك وبين الاستغلال والغش والكذب وعدم الوفاء بالوعد والانقطاع عن الزمن.. واذن ليس كل ما يصل الى الأمة بالضرورة هو تراثها. والتمييز بين الاصيل والدخيل في التراث يحتاج الى معرفة التأريخ معرفة دقيقة.

فالتراث ليس مفهوما سلبيا، اي ان كل ما وصل الينا من الماضي هو تراث. فلكي يكون التراث حقيقيا، يجب ان تتوافر له سمات ابرزها مستواه الفني والابداعي، وقدرته على التعبير عن حالة التميز الحضاري زمن ابداعه كذلك قدرته على البقاء والاستمرار في حالة اشعاع تروي قصة الأمة ومجدها.

فالشواهد الحضارية التي تملكها الأمة تشكل حافزا ونسقا ينقل الحضارة عبر الزمن ببعده الصاعد. والأمة العظيمة هي التي تصنع تقدما مضافا الى ماورثت وتجعل تأريخها القديم قمما حضارية دائمة الارتقاء. وبهذا تضمن نمو التراث واستمراره، وتؤكد حقيقة كونه مصدر حفز لها.

خامسا: البعث والتراث:

نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي نشأة ثورية ترفض الواقع المتخلف بكل ما يحمل من مساوىء التجزئة والاستغلال والقهر والتوقف الحضاري فهو حزب ثوري يناضل لخلق حالة ثورية تجعل الأمة حالة من الثورة. لذلك ينظر الحزب الى التراث نظرة ثورية، فالتراث عنده اداة في خلق الحالة الثورية، وليس حالة تحقق نهائي لأن الأمة التي ترى في تراثها تحققا نهائيا تلغي مستقبلها من خلال انكفائها على الماضي.

وهنا يتحول التراث الى معطل للارادة، بينما يفترض أن التراث عامل حفز، لانه يثير في الانسان ثقة بالماضي وبقدرة الأمة على الابداع، ويتيح له فهم مسؤوليته التأريخية تجاه الأمة والانسانية والمستقبل، ويدفعه لتأشير هدف يسعى لتحقيقه.

ان الذين يفهمون ان العودة الى التراث تتوقف عند حدود استذكاره والتغني به، انما يقتلون في انفسهم الشعور بالمسؤولية وارادة المستقبل، ويحرمون انفسهم من أية قيمة للانتماء الى أمة عظيمة، كما ان نظرة الحزب الى التراث نظرة تقييمية علمية وليست اجتزائية ناسخة مقلدة.

نحن نهتم بالتراث في سياقه التأريخي اولا، اذن نحن ننظر له نظرة شاملة تبدأ بنشأة الأمة، وحتى مرحلة الثورة المعاصرة. غير ان نظرتنا ليست نظرة كمية انما هي نظرة علمية تقيم هذا التراث، وتحدد مواصفاته، ومقاييس الابداع فيه وقيمته المعاصرة، وقدرته على المساهمة في خلق حالة الثورة او تجنيب الثورة مزالق قد لاتكون واضحة في ذهنها، فتعاملنا مع التراث لايهدف الى الانسحاب الى الماضي والتحنط معه انما يهدف سحبه الى الحاضر، وتعاملنا معه يهدف الى استلهامه باعتباره يؤلف مع حاضرنا ومستقبلنا وحدة حية وليس بديلا عن الجهد المطلوب بذله لانتصار الثورة القومية المعاصرة.

ان هناك فرقا بين نظرة ترى ان حالة الثورة عندها هي التجوال في الماضي والتقاط الحلول والمواقف وتجميعها، ونظرة تستوعب ذلك الماضي وحقب الانجاز فيه، وتستخدمه في استجماع الثقة بالنفس، والانتماء الى الماضي، بما يحفزها لصنع مستقبل يتوازى معه ان لم يكن يتفوق عليه، فلو ان اجيال الأمة العربية التي ابدعت

تلك الحضارة ايام سرجون ونبوخذ نصر او ايام الصحابة العظام اعتقدوا انهم يبنون المستقبل المطلق لما كان ابداعهم بالمستوى العظيم الذي تحقق، ، لانهم مهما اوتوا من القدرة على التنبوء والادراك، فأنهم لن يستطيعوا استحضار المستقبل بالشكل الذي يمنح لهم سيطرة زمانيه ومكانية. ولكنهم بالتأكيد عندما لعبوا دورهم كانوا يهدفون الى اعطاء جهدهم مستوى اعلى من الماضي، يكمله ولايقلده، لكي يعلو البناء الحضاري ويشمخ وتعلو معه الأمة.

وهكذا حزبنا ينطلق من الحاضر وفي الوقت نفسه وبالقوة نفسها والاندفاع والعمق في التصور نحو الماضي يستكشف مظاهر عظمته، لكي يعمق تميزه هو عن الواقع المتخلف، ونحو المستقبل يرى ان الاسئلة الكبيرة فيه تحتاج الى اجابة، والا فمن الخطأ الاعتقاد ان التراث شيء مضى وانقضى، شيء للتأريخ والمتاحف، انه مظهر لعبقرية الأمة والثورة التي تناضل لتجديد بناء الأمة ودورها الحضاري ولاتستلهم التراث لتستطيع أن تشتق لها عبقرية بالتأكيد لكنها لاتستطيع معرفة قيمتها قياسا الى عبقرية الأمة عبر تأريخها، فتفشل في ان تعطي عبقريتها بعدها الفاعل في المستقبل الانساني، اضافة الى ان استلهام التراث يعطي الثورة شيئا مميزا هو اخلاقية متميزة عن نظريات العصر الاجتماعية التي اخذت المجموع عاملا اساسيا واخذت العوامل الموضوعية (الاقتصاد والعنصر) لان التراث يكشف لها اهمية الفرد الانسان دون اغفال لاهمية الجماعة، الانسان الذي هو الضمير والعقل والسلوك.

خلاصة موضوع «معنى التراث ومظاهره»

اولا: ـ ان التراث مظهر للابداع الحضاري للأمة، فهو الشواهد المادية على الحركة الابداعية. وهو اذن يعكس درجة النضج النفسي والاخلاقي والذوقي للأمة، ويعين في تحديد اتجاهات حركتها الحضارية وكيفية استخدامها للمبتكرات الحضارية.

ثانيا: ـ ان التراث الذي هو محصلة المسيرة الحضارية للأمة هو بالضرورة محصلة لعوامل اساسية في مقدمتها الوطن وما فيه من مقومات النشاط الحضاري، والأمة وقدرتها على التعامل مع تلك المقومات.

والمستوى الذهني والاخلاقي والبناء النفسي للفرد والأمة بالشكل الذي يهيىء للابداع .

ثالثا : ـ وان للأمة العربية تراثها الغني الذي يغطي زمنها التأريخي منذ فجر الحضارة والى الان ، وان هذا التراث لعظمته كان شاملاً لجوانب حركتها التأريخية مستجيبا لحاجاتها ولحاجات انسانية اشمل بحيث افادت منه البشرية رغم مواقف التناقض مع الأمة التي ترتب عليها اثر سلبي على الموروث القومي للأمة العربية نتج عنه إختلاف وتشويه للكثير من جوانبه .

رابعا : ـ وان التراث لهذه الاعتبارات اصبح اداة حفز اجتماعي عبر التأريخ العربي يمد الأمة بمقومات الاعتزاز بالذات ويعزز ثقتها بنفسها وبمبادئها ويثير فيها الشعور بالمسؤولية التأريخية ، وانه قادر على ان يلهمها صيغ الثورة والتجدد . وقد اكتشف حزب البعث العربي الاشتراكي هذا البعد الثوري في التراث فأستمد منه أسس النشأة وعبر عنه بمبادئه واعاد صياغة الموقف النظري من التراث ، ودور التراث باعتباره اداة ثورة ، فهو اذن رسالة تعيش في الحاضر ، وتخاطب المستقبل ، وتتواصل معه من خلال قدرتها على تحديد حجم الانجاز الحضاري . وبالتالي تحديد حجم الاضافة الحضارية المطلوبة من الاجيال الآتية .

٤ ـ الحركة الشعوبية

اولا : ـ تمهيد

اضطر العرب على اثر قيامهم بتحرير العراق والشام والمغرب، واحتكاكهم بالقوتين الرئيستين آنذاك، الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية، ولاعتبارات تتعلق بالدور الحضاري والانساني للامة العربية من ناحية اخرى، وضرورات السلام الاسلامي والامن العالمي من ناحية اخرى، اضطر العرب لذلك الى الانسياح خارج حدودهم، مع انهم لم يكونوا راغبين بذلك، والحوار بين الخليفة عمر بن الخطاب وقادة تحرير العراق يعكس هذا الرأي الذي عبر عنه الخليفة بقوله (ليت الله جعل بيننا وبين فارس جبلا من نار).. اشارة منه الى اكتفاء العرب بتحرير العراق في حدوده الحضارية والجغرافية.

لقد حمل العرب معهم رسالة الاسلام التي جاءت بالحرية والمساواة والعدل وتحقيق الامن العالمي وبفرص متكافئة للعمل والتملك.. وقد ساهمت عوامل متعددة في تحديد موقف الاقوام التي كانت تنضوي تحت اطار الامبراطوريات القائمة آنذاك وفيما يخص الفرس بالذات اتسم دخولهم الاسلام بسمة الاضطرار وضيق الحيلة، فقد استمروا يراهنون على امكانية ايقاف تقدم العرب رغم الهزائم الكثيرة الا انهم بعد انهيار اخر خطوطهم الدفاعية في معركة نهاوند لم يعودوا قادرين على المراهنة، اذ لم يعد لديهم ما يراهنون عليه، فتوافوا الى مؤتمر (الموبذان) الذي أقنعهم بضرورة الدخول في الاسلام على ان يكون لهم شأن فيما بعد.

وتفسر هذه الاشارة الطبيعية التآمرية لاسلام الفرس، غير ان هذا لايعني ان كل الفرس كان اسلامهم تآمريا، ففي الحقيقة كان بينهم مؤمنون اتقياء، وجدوا في الاسلام وحكم العرب فرصة تأريخية لصالحهم، وسرعان ما نجحت القوى الفارسية المرتبطة بالقديم في استقطاب جماعات فارسية على مستويات مختلفة، تساهم في نشاط معاد للامة العربية، ضمن العامة والتجار والكتاب والوزراء والامراء، أميين ومثقفين.

ثانيا: ـ ماذا نعني بالحركة الشعوبية

وقد عرف هذا النشاط بالحركة الشعوبية، وهي حركة شعوب غير عربية، سعت لضرب الامة العربية في حضارتها ودولتها، متكشفة عن صراع حضاري وثقافي وديني واسع، فهي اذن ليست حركة فئة معينة او طبقة اجتماعية، انما هي من اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة لصد الثقافة العربية الصاعدة فشكلت موقفا عنصريا من الامة العربية وحضارتها وثقافتها.

ثالثا: ـ بداية الحركة الشعوبية

ظهرت اوليات الحركة الشعوبية في اواخر العهد الاموي، غير ان ظهورها الواسع كان في العصر العباسي الاول. لذلك كان جيل الشعوبيين الاول جيلا مخضرما مارس الحركة والعمل في عهدين من عهود الدولة العربية ومع ان الحركة الشعوبية نشطت في اماكن متعددة من الوطن العربي والاندلس، الا انها بالتأكيد نشطت بصورة اكثر تركيزا في العراق، واتخذت من ايران قاعدة لتوجهاتها وتحركاتها وتمرداتها العلنية.

ابتدأت الحركة الشعوبية بتحركات الغلاة والخرمية في اواخر العهد الاموي، والغلاة فرق عديدة، ترجع اصولها الى المزدكية والزردشتية والمانوية، وهي ديانات ايرانية قديمة استمرت ساكنة في الاسلام، غير انها ظهرت فيما بعد، فظهرت المانوية بأسم الزندقة، وظهرت المزدكية في شكل الخرمية، وكان معظمهم من الكتاب، لذلك اقتصر نشاطهم على التأليف والترجمة عن الفرس واستخدموا الشعر لتحقيق اغراضهم.

اما في العصر العباسي، فقد ترافق مع نشاطهم التمرد والمجابهة الفكرية معا، فمارست الحركات الدينية الايرانية في ايران، وخاصة الخرمية والمانوية والزردشتية التمرد بالقوة، وكان واضحا انها تجمع بين الدين والسياسة فحركتا (بها فريد) ١٣٢ هـ و (استاذ سيز) ١٥٠ هـ حاولتا تجديد الزردشتية، كما حملت الخرمية راية التمرد المسلح في ايران مرتكزة على افكار مزدك في الحقل الاجتماعي، وضرب الاسلام

واعادة مجد الفرس في الحقل السياسي، كما ظهر في حركات اسحق الترك والمقنع، اللذين نقلا الامامة من ابي جعفر المنصور الى ابي مسلم الخراساني.

رابعا: ـ النشاط الشعوبي في العراق

اما في العراق فالحركة الشعوبية ظهرت في شكل ادوار موزعة بدقة، اخذت بنظر الاعتبار في تحركاتها وشعاراتها طبيعة الظروف العامة اولا، وطبيعة الموقع الذي يحتله اصحاب الادوار وشكل التكيف المطلوب لتمرير الهدف.

فالوزراء واشراف الفرس مثل البرامكة وآل سهل وبنو طاهر بن الحسين والافشين اظهروا تقريب الفرس في الادارة الى حد كبير، بهدف خلق خطوط متتابعة من القيادات الفارسية التي تطيل امر السيطرة على الموقع الثاني في الدولة (الوزارة) ضمن مناخ من الشعور بالانتماء الفارسي، وان هذا الانتماء موقف يملي سياسة التقريب، ثم وسعوا طبقة الكتاب لا شاعة ثقافة فارسية واسعة النطاق تغطي كل مجالات الدولة التي يتقلد فيها الكتاب وظائف الادارة المختلفة دون ان يغفلوا الافصاح لحاشيتهم عن اهدافهم الحقيقية.

وعندما نجح آل سهل في حسم الصراع بين الامين والمامون زينوا للمأمون البقاء في مرو، وهي اشارة بالغة الخطورة، فهم بذلك يتخذون من مرو، وهي قاعدة ايرانية، منافسا لبغداد حيث الثقافة العربية.

اما الكتاب والادباء فقد نشطوا في مجالات مختلفة غير انها كانت تصب في هدف نهائي مشترك، فسعوا الى تأكيد التراث الفارسي القديم ومهاجمة التراث العربي متناسين ان التراث القديم ليس فارسيا انما هو مقتبس من حضارات وادي الرافدين، غير ان الحقيقة هي انهم كانوا يدركون هذا الامر، الا انهم يقصدون من التراث القديم (الدين المجوسي) بفروعه الزردشتية والمانوية والمزدكية.

كما سعى هؤلاء ايضا الى طبع الادارة والمراسم بطابع ايراني، فاكثروا من الترجمة لمواضيع الادب والتأريخ والتقاليد والمثل الفارسية، ووضعوا الشيء الكثير ونسبوه الى الفرس القدماء ليضفوا عليهم الامجاد، وجهدوا في ان يبينوا ان الحضارات القديمة خاصة الساسانية هي اساس التقدم البشري، وان العرب ليس

لهم دور في ذلك.

وفي الاتجاه المضاد للعروبة تبسط هؤلاء في الحط من شأن العرب ووضعوا الكتب في مثالب العرب وراحوا يتلمسون كل صغيرة لخدمة اغراضهم، فطعنوا الانساب العربية وهاجموا اللغة والخط العربي، وهاجموا الشعر والتقاليد والاخلاق والقيم العربية، وباختصار انهم هاجموا الاساس الحضاري للعرب، وحضارتهم قبل الاسلام، لتصويرهم وكانهم نشأوا في الاسلام فقط، فلما اعتقدوا انهم حققوا هدفهم بدأوا بمهاجمة دور العرب في الاسلام وابداعهم، فلجاوا الى التأويل في تفسير النصوص الدينية الاسلامية، وتظاهروا بالعقل في تفسير الاسلام وهاجموا التوحيد.

واذا كانت الحركة الشعوبية قد وزعت الادوار بحيث يهاجم بعضها الاسلام والاخر العروبة، فالزندقة جمعت مهاجمة العروبة والاسلام معا لانهم اعتبروا العروبة والاسلام شيئا واحدا، فالعرب هم الذين حملوا الاسلام وهم الذين فتحوا الفتوح وقتلوا المجوس، وقادتهم مهاجمة العرب في الاسلام الى مهاجمة الدور الانساني للعرب الذي تمثل بالاسلام، فاهم ركائز الثقافة هي اللغة وقد احتلت في الاسلام مكانة بارزة، فهي لغة القرآن ولغة الصلاة، لذلك افتوا بجواز الصلاة باللغة الفارسية.

خامسا: ـ لماذا استهدف الشعوبيون العراق؟..

نشطت الشعوبية في انحاء مختلفة ولكنها ركزت على العراق، فهو الوادي الخصب المتواصل مع بلاد العرب بشريا وحضاريا وتأريخيا وعلاقة الفرس به علاقة غزو، وهو ساحة الصراع العسكري والثقافي، ومجال الاحتكاك البشري عبر التأريخ بين العرب وبين الايرانيين القدماء، وهو موطن الحضارة وممر الثقافة العربية الى المشرق، وهو بوابة الوطن العربي الشرقية وقاعدة الجهد العسكري العربي نحو الشرق، فهو نقطة انطلاقة العروبة والاسلام، ثم انه يقع على طرق المواصلات الرئيسية بين الشرق والغرب برا وبحرا، واخيرا تتسم الذاكرة التأريخية للمجتمع في العراق باليقظة الدائمة وروح الاعتزاز لدى العراقيين بثقافتهم. وحضارتهم الراسخة

والمتواصلة عبر التأريخ قوية.

لذلك فليس غريبا على العراقيين روعتهم في المجابهة مع الشعوبية، فقد لعبت الدولة دورها، وتتبعت الزنادقة بالاستئصال ومارس رجال الامة ادوارهم بكفاءة فقام المؤرخون بكتابة تأريخ العرب القديم، وتأريخهم في الاسلام، وابرزوا تواصله وتمازج حقبه واتصال حضاراته وعظمة الانظمة السياسية التي اقامها اهله، وسجلوا انساب الامة وعنوا بها، وكتبوا في الحياة العربية في الصحراء والمدينة.

ونشط الشعراء والادباء بدونون الشعر العربي القديم والنثر العربي، ويبرزون مراميه الاجتماعية وفنونه، ونشط اللغويون يجمعون المفردات اللغوية، ويظهرون حجم الكفاءة الحضارية في اللغة، التي جعلتها موضع استجابة دائمة للتطور، تلك الكفاءة التي اهلتها لان تكون لغة القران، ودافع الكتاب عن قيم العروبة وتقاليدها، ودافع الفقهاء، عن الاسلام وعن التوحيد ومبادىء الايمان.

ونجح كتاب الامة وفلاسفتها في ابراز نشأة الامة وتكونها وكيف بدأت بنت عوامل الارض والعنصر غير انها سرعان ما نضجت بعوامل اللغة والحضارة والثقافة، واظهروا كيف ان تجدد الامة في الاسلام أرسى للفكرة العربية ومفهوم الامة العربية نشأة مستندة الى مقومات اللغة والثقافة من اخلاق وسجايا، بينما انحسر الشعوبيون الى مفهوم عنصري عرقي، وحين لم يستطيعوا الصمود، بحثوا لهم عن نسب مشترك مع اليهود فقالوا بأنهم من (سارة) وليس من هاجر.

خلاصة موضوع (الحركة الشعوبية)·

ان هذا الاستعراض للحركة الشعوبية يكشف لنا انها حركة شاملة وجدت انصارها بين الوزراء والكتاب والادباء والعامة، وتتميز بعنصريتها والعودة الى احياء التراث الفارسي قبل الاسلام، لذلك يتضح في نشاطها العداء للعروبة والاسلام، وكانت تجمع بين السياسة والدين، فالصلة وثيقة بين الشعوبية والزندقة وحركات الغلو، لذلك اتجه نشاطها نحو الدولة عندما برزت الديانات المجوسية القديمة. فعمليا كانت هذه الحركة تستمد اصولها ومنطلقاتها من نطاق حضاري خارج نطاق العروبة والاسلام.

ورأينـا انهـا بدأت في اواخر العهد الاموي وهذا طبيعي ، فسياسة التعريب عززت مكـانـة اللغـة العـربية ، وارست اسس الثقافة العربية ، وهيأت فرص التمازج القومي على اسـاس حضـاري وثقـافي بدأت نتـائجه تظهر زمن العباسيين ، اذ بدأت الحركة الثقـافيـة العـربية تتخذ لها ابعادا عالمية ذات أثر في الشعوب لذلك نشطت الشعوبية في دور نهضة الامة واتساع اثر ثقافتها ، لانها رأت فيهما خطرا على مستقبل خططها ومشاريعها .

سلكت الشعوبية شتى السبل ، فكانت احيانا علنية واحيانا اخرى سرية ، تمارس التمرد المسلح وتعلن الانفصال ، كما حدث لتمرداتهم ومحاولاتهم اقامة امارات في ايـران ، وتمـارس العمـل السياسي ، فتغرق الادارة بالموظفين الفرس ، وتسعى لطبع مراسم وتقـاليـد الخـلافـة بتقـاليـد فارسية وتهيىء قيادات العمل السياسي ، فتمارس عمليـة تغـريب لجـو الحكم يقـربـه تدريجيـا من الفـرس ، وتمارس العمل الفكري فتهـاجم العـرب قبـل الاسـلام ، لتقطع جذورهم الحضارية وتلغي تواصل التأريخ ، فتهـاجم الشعـر والادب والاخـلاق والقيم والعـادات الاجتمـاعيـة ، وتدعو للثقافات الفارسية القديمة . .

٥ـ القادسية الثانية وفكرة الشعب المقاتل

اولا : ـ شعبية البعث

يتميـز حزب البعث العـربي الاشتـراكي بشعبيتـه، التي اصبحت سمـة بارزة لحـاجـاتهـا وهمومها، وقدرته على تحريك عوامل الثورة والحركية فيها، ليس بصيغة الهبات التي تعبر عن حالة تأزم جماهيري، كالذي ألفناه في النضال السياسي لبعض الحـركـات السيـاسيـة في الـوطن العربي اوخارجه، انما بصيغة ايقاظ عوامل الوعي والثـورة فيهـا بمـوازنـة دقيقـة بين ظرفهـا الـذي تعيشـه وبين خط تكـونهـا التأريخي ومستلزماته وبين المستقبل الذي يجب ان تعيشه.

وقد اكسبت هذه الشعبية حزبنا مناعة ضد حملات القمع والابادة والمطاردة التي تعـرض لهـا من خصـومـه المتعـددين، سواء كانوا من الانظمة او الحركات السياسية الاخرى، اوحتى ألقوى الدولية وقد اكد الحزب باستمرار على ان الشعب العربي هو الـذي يمـد الحزب بمقومات النضال. وبانه الاحتياطي الذي لاينضب، والذي يمد الحـزب بالسـلاح كلمـا أصبـح السـلاح الذي بيده غير ملائم للمجابهة وهكذا شهد الحزب التفافا شعبيا حوله في مراحل نضاله الطويلة.

وفي العراق، بعدما انتزع حزبنا باقتدار قيادة العراق ومباشرة التحول الثوري فيه، كان لالتفاف الشعب حول الحزب، في معركة التأميم الخالد، دوره ليس في النتائج التي تحققت فحسب، وانمـا في الصـورة التي ارست مستقبـل العـلاقـة بين الحزب والجمـاهيـر، وفي القـادسيـة الثانية، ظهر هذا التلاحم العظيم بين الشعب والحزب وثـورتـه في العـراق، ليفـرز مؤشـرا عميقـا عن كيفيـة احكام صلة التفاعل والتحاور النضـالي بين مرحلتي النضـال الوطني والقومي، وهي مسألة حساسة وبالغة الخطورة لحزب قومي كحزبنا يتحرك في واقع كالعراق.

وكان لهذا اثره في ان تقاد الحرب بصيغة مرنة وحيوية تتحرك على السطح كما في العمق بين شعـاراتهـا الـوطنيـة والقـوميـة التي تدار بهـا المعركة، ومن ثم توظف هذا

التفاعل النظري والنضالي لوحدة مرحلتي النضال الوطني والقومي في ابراز كيان ثوري متين هو الجبهة الداخلية التي ـ لقوة التحامها بالمعركة ـ اصبحت شيئا واحدا في الخطوط الامامية للمعركة او الخلفية الساندة لها واصبح الترادف بين العراقية والعروبة في ذهن المواطن حالة اعتيادية.

فالقادسية الثانية وطنية العراقي عندما تثور كيف تكون وكيف تتجاوز الشعور الابتدائي بحب الوطن الى الارتباط به والانفعال والتفاعل معه والاصرار على ان يبقى العراق تلك البقعة الجغرافية الصامدة ابد الدهر بوجه الاطماع الغازية، والمبدعة على مر العصور صانعة الحضارة وقائدتها، الجزء النابض باعلى مستويات الشعور بالمسؤولية القومية تجاه امن الوطن العربي ومستقبل الامة العربية، فهي ليست معركة تقاس بمقاسات الحروب العسكرية المجردة، انما هي حصيلة اسس ومنطلقات فكرية اكدها الحزب في مبادئه، غير انها بشكل مباشر، حصيلة نضال دؤوب شهده العراق منذ انطلاقة ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨.

ثانيا: ـ دور القائد صدام حسين

لعب الدور الاساسي في القادسية الثانية الرفيق القائد صدام حسين، بفكره ونضاله وحركته اليومية، وكيفية تعامله مع الاحداث في سياقها العام والخاص والتوجيهات التي كان يؤشر من خلالها المواقع، موقع الكل (الثورة والمجتمع والحزب) وموقع الجزء (الانسان المساند والمقاتل). . فالدور الشخصي للرفيق القائد صدام حسين. . في تعامله المباشر مع المواطنين مدنيين وعسكريين، رجالا ونساء واطفالا، في المدن والقرى والبوادي في سوح العمل وحقول الزراعة والمدارس ورياض الاطفال. . كان فرص التقاء تربي الانسان. وتبين له كيف واين يجب ان يقف من قضايا الوطن والامة، وكيف ينظر الى الامور الاخرى كيف يكون ذاتا، لها مالها من نزعات ورغبات ومواقف وقناعات وكيف يكون في الوقت ذاته ابن العراق والارض والتأريخ والمستقبل، كيف يوفق بين موقفه الخاص من الثورة والحزب وبين موقفه من الوطن فكان لهذا الدور اثره البالغ في تعبئة الجماهير، كل الجماهير، تعبئة فاعلة ثورية نامية، في الوقت الذي اعطت فيه لصلة الحزب

بالجماهير قنوات جديدة للتواصل، اتضح اثرها جيدا في الوصول الى القناعة التأريخية، التي اصبح بها العراقي بعثيا، وان لم ينتم. وهو امر مهم في تأريخ الحركات الثورية، لانها عندما تعطي الحركة الثورية شرف ان تصبح هوية المجتمع تفرض عليها ـ في ذات الوقت ـ ضرورة البحث عن مقاييس جديدة للتمييز وقد اصبحت هذه المقاييس هي مقدار البذل والعطاء والقدرة على الارتفاع بالجهد الى حد الاستشهاد دفاعا عن العراق.

واستحق العراقي لذلك ان ينال التقييم في الحزب والدولة على هذا المقياس، وان يصبح الشهيد عضواً في الحزب، حتى وان لم ينتم بالصيغ التقليدية المألوفة في الحزب، فالرفيق القائد صدام حسين، الذي ظهر من بين صفوف الجماهير معبرا عن مخاض امة وتأريخها مجسدا حضارتها وقيم الفروسية والهوية والكرم فيها، شمخ رمزا وطنيا وقوميا، ودفقا مع التفاؤل والفرح. . والاطمئنان والثقة بالمستقبل.

فالنموذج القيادي يلعب دورا اساسيا في حياة المجتمع خاصة عندما تتجسد فيه القيم التي يحتاج المجتمع الى تجسدها للاقتناع بها.

من هنا كانت المشاركة الشعبية في قادسية صدام واسعة ومباشرة، واسقطت رهانات المراهنين على المذهبية والطائفية والعشائرية وعلى ما توهموا انه شرخ في الوطنية العراقية واستعداداتها، مغفلين دور الثورة وقائدها عبر سنوات ما قبل المعركة، واثر المعركة ذاتها في اكساب المواطن شجاعة لان يكون الشيء الذي يريد ويقوم اي خلل ولاي سبب كان.

هذه الشجاعة هي التي مكنت العراقيين من ان يتحرروا من التأريخ ويتمسكوا بالتأريخ اصالة واعتزازا في ذات الوقت. . التحرر من التأريخ بتفاصيله التي حولها الاستعمار والطامعون الى سياجات من التفرقة والتناحر، والتمسك بالتأريخ باعتباره تأريخ امة وسجل ابداعها الحضاري ووثيقة انتمائها.

ثالثا: ـ التواصل التأريخي للقادسية

لذلك ليس عجبا ولا مصادفة ان تحمل المعركة في آن واحد الاسمين التأريخين (القادسية الثانية) و(قادسية صدام)، فهي في الاول تعبر عن البعد التأريخي في

المعركة واستيعاب التراث ومعنى الرسالة الاولى، فقد كانت القادسية الاولى بنت اندفاعة الامة في ثورتها بالاسلام، وهي في الثانية، تعبير عن اندفاعة الامة في ثورتها القومية العربية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، فهي تعبر عن دروس البعد التأريخي الموظفة في الثورة على الحاضر المتخلف والطامحة الى المستقبل الحضاري المشرق، فالاسمان يعبران عن اتحاد التأريخ العربي ماضيه ومستقبله، فهي ارادته، وهي حرب تخاض بالنيابة عنه، ويحمل جيلنا شرف هذه الانابة، مثلما لعبت القادسية الاولى دورها في حماية انبعاث الامة وتحررها فقادسية صدام تمارس الدور فهي اول حالة نهوض قومي حضاري للشعب العربي بالرد خارج حدوده في التأريخ الحديث والمعاصر، فهي اذن حددت دورها في انها اساس النهوض لبناء المستقبل.

لذلك لم يكن غريبا ان يتحول الشعب العراقي الى حالة من الحمل الدائم للمبادىء دفاعا عن كل قيمه الكبيرة في الحياة (الامة والثورة والحزب)، وان تتحقق من خلاله حالة الامة المجاهدة التي خلقها الرسول العربي القائد في حالة الشعب المقاتل التي خلقها القائد العربي صدام حسين.

رابعا: ـ الشعب المقاتل

الشعب المقاتل هو الشعب الذي يمتلك مهارات القتال والقيم اللازمة لها، من قيم الفروسية والشجاعة والصبر والوطنية، القيم التي تجعل الانسان سويا، ويمثل موقفا اراديا ثوريا في آن واحد، غير انه من الخطأ الاعتقاد بأن المسألة عائمة وآلية، فليس مجرد امتلاك هذه المهارات والقيم، يكفي لان يكون الشعب مقاتلا انما ـ وبشكل اساسي ـ تحتاج الى المناخ العام والتجربة الثورية، التي تبنى من خلالها شخصية الشعب المقاتل، وقد ثبت من دروس تأريخنا القومي، ان دور القوى المضادة او الغزو الخارجي والتحديات المصيرية التي تواجهها الامة هي افضل الظروف لبناء شخصية الشعب المقاتل، لانها تشكل عملية التحدي التي تفرض على تفاصيل الحياة للمجتمع والافراد، ان تتشكل تبعا للضغط النفسي، وحالة القلق، التي تمثلها تلك القوى والتحديات.

فهي اذن تصهر احاسيس الشعب وتوجه ارادته في سياق حركي واحد، فكما ان عنف التحدي الذي اظهره مشركو مكة لعب دورا في تحول مسلميها القلة الى قوة ثورية، وكما ان حصار (نادر شاه) الفارسي (للبصرة او الموصل او بغداد) حول اهلها الى مقاتلين، فكذلك لعبت القوى المضادة المحلية او الخارجية واخرها الغزو الفارسي، دورا في تحول الشعب العراقي الى شعب مقاتل، اخذين بنظر الاعتبار الشروط التي توفرت في الواقع والتي من ابرزها: -

(١) دور الحزب وقائده في الارتفاع بوعي الجماهير واستخدام كل السياقات التي اشرتها حركة تطور الثورة وسياساتها ومواقفها في رفع وعي المواطن وانضاج موقفه الارادي، وتحقيق انسجام اجتماعي يشكل حالة من النضج، تؤهله للارتقاء الى مستوى الشعب المقاتل.

(٢) طبيعة النظام الثوري في العراق وما يملكه من تشخيص للواقع العراقي وتناقضاته واسلوب معالجتها وتأثير الاهداف العامة والخاصة للحركة التأريخية فيه، بالشكل الذي يسهم في تحقيق الحياة الجديدة للمجتمع، في حدود العراق اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا، وفي حدود الوطن العربي، باعتباره ابرز مراكز حركة الثورة العربية، وفي المجال الدولي، باعتباره صاحب السياسة التي ترتكز الى تقاليد ومواقف اخلاقية جديدة فريدة من نوعها وسط التعامل الدولي.

(٣) الثقة المتبادلة بين النظام الثوري والشعب والتي تجلت في اروع صورها عبر نضال الحزب في العراق وعبر قيادته للتحول الثوري، وهي الثقة التي تولدت عن صيغة جديدة غير مألوفة في تطبيق المبادىء والسياسات المطلوبة من جهة، وبين مواقف ومصالح ومستوى وعي الافراد والجماهير بشكل جماعي، والتي بدونها لم يكن ممكنا ان يجعل الحزب من الجماهير رهانه الاكبر في النضال ويسلمها السلاح، وان تسير الجماهير خلف الحزب، مسلمة بقيادته لها وللعراق، حاضراً ومستقبلاً.

وبالتأكيد هنا يؤشر الدور البارز للرفيق القائد صدام حسين الذي ادار مفاصل هذا الحوار بين الحزب والجماهير، وتحكم في مفاتيحه وصنع دقائق الامور فيه، حتى اصبح صدام حسين مقياسها للنصر والمستقبل والارادة والابداع والحيوية.

خامسا : ـ معنى فكرة الشعب المقاتل

والشعب المقاتل ليس بالضرورة يحمل السلاح، انما هو شعب يمتلك روح الثورة وارادة المستقبل، ويعبر عنها باستعداد عال للبناء والعمل، وبأن يخوض الحرب ويمتهن النضال اذا استوجب الامر، وهذ هي الحالة المتحققة في العراق منذ ابتدأت قادسية صدام وان رصدا سريعا للوقائع يكشف عن هذه الحقيقة :ـ

(١) القوات المسلحة ودورها الفعال المرتكز على ارادة الثورة في بنائها على اسس جديدة، وعلى ارادة الشعب في التطوع والانخراط في الخدمة العسكرية والاقبال على مراكز التجنيد والالتحاق بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية.

(٢) الجيش الشعبي والاستعداد العالي للقتال الذي اظهرته قواعد الحزب، وقطاعات الشعب من غير المنظمين في الحزب.

(٣) الاستعداد العالي الذي اظهره الشيوخ للقتال ووضع خبراتهم في خدمة المعركة.

(٤) الدور المتميز للمرأة العراقية اما وزوجة وشقيقة ودورها في دفع المواطن الى المعركة واذكاء روح الحماس فيه.

(٥) الاطفال ودورهم في اثارة حماس المقاتلين باغانيهم واقبالهم على الحياة العسكرية ورغبتهم المتطلعة الى الالتحاق بالجبهة.

(٦) قطاعات الانتاج الاجتماعي الاقتصادي (عمالا وفلاحين) والمهني (فنيين، وكتابا وادباء) والثقافي (فنانين وتشكيليين).

(٧) ارادة البناء وانجاح خطة التنمية التي تجلت في روح العمل والتقشف وتقنين الاستهلاك.

(٨) الاصرار على خلق مرتكزات جديدة للاقتصاد العراقي وتجاوز نمط الاقتصاد الاحادي الجانب.

(٩) الابداع والابتكار الذي ظهر في سد النقص في مجالات الانتاج، وتعويض عجلة الحرب بما تحتاج من ادوات احتياطية ووسائل عمل وحركة.

(١٠) الاقتناع بالحرب والاصرار على التمسك بالانتصار والدفاع عن عراق مزدهر

مستقل بقيادة الرفيق القائد صدام حسين.

خلاصة.. موضوع (القادسية الثانية)

اتسم حزب البعث العربي الاشتراكي بنشأته الجماهيرية لذلك بقي باستمرار يمتلك القدرة على تحريك الجماهير وقيادتها في تعبئة نضالية تخدم تحقيق اهداف النضال القومي، ومنذ ان انتزع لنفسه قيادة العراق وضع نصب عينه تثوير الجماهير، وساهمت سياسة الحزب في المجالات المختلفة في تحقيق هذا الهدف ولعب الرفيق القائد صدام حسين، بما يمثله من قيادة حكيمة ونموذج ثوري للانسان العربي، في خلق حالة من التثوير الجماهيري، خلقت للحزب حالة واسعة من الالتفاف.

لقد برز هذا الدور بشكل تطبيقي في القادسية الثانية عندما وجد الانسان العراقي نفسه امام تواصل تأريخي فريد من نوعه.

من هنا اتسمت المرحلة بتحول الشعب الى قوة مقاتلة تعتنق قيم النضال والبطولة، وتختار حالة القتال حالة حياتية دائمة ولاشك في ان شروطا في الواقع الراهن لعبت في انضاج هذه الفكرة فدور الحزب وطبيعة النظام الثوري في العراق والثقة المتبادلة بين الشعب والثورة كانت من ضمن العوامل التي اوصلت الشعب الى هذه الحالة، وفكرة الشعب المقاتل ليست بالتحديد ذات معنى قتالي محدود انما هي تعبير عن روحية جديدة تقاتل وتعمل وتبني في آن واحد، وانها عبرت عن نفسها في وقائع متعددة في الحياة العراقية الجديدة، سواء على صعيد القوات المسلحة، او في الجيش الشعبي او في ارادة القتال عند فصائل المجتمع المختلفة والدور المتميز للمرأة وازدهار الانتاج.



٦ـ الدور البطولي للقوات المسلحة في القادسية الثانية

اولا : ـ تمهيد

احتلت القوات المسلحة موقعا مهما في سياسة الحزب وتوجهاته، منذ قيام ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز سنة ١٩٦٨، فهي قوته الضاربة واداته في حفظ الثورة والدفاع عن العراق وسيادته واستقلاله، وقد اهل التأريخ المجيد لجيشنا ودوره في المعارك الوطنية والقومية واختياره ان يكون مع الجماهير في نضالها من اجل الحرية والاستقلال، ان يحتل موقعه الطبيعي في توجه الحزب قبل الثورة، ففي صفوفه نشأت البؤر الثورية والخلايا المناضلة التي واكبت حركة الحزب للقيام بالثورة عشية ١٧ تموز ١٩٦٨، فكان طبيعيا ان يحظى برعاية الحزب والثورة له.

ثانيا : ـ الحزب والقوات المسلحة

اخذ اهتمام الحزب بالجيش شكل خطة مبرمجة لتحويله نهائيا الى جيش الشعب وقوته الثورية المقتدرة، سواء كان ذلك على مستوى افراده والضباط وضباط الصف والجنود، او على مستوى تسليحه وخططه وتنظيمه وتشكيلاته.

ومرت جهود الثورة بمرحلتين متميزتين : ـ

١ ـ المرحلة الاولى

شغلت المرحلة الاولى الزمن منذ تسلم الحزب السلطة وحتى انعقاد المؤتمر القطري الثامن عام ١٩٧٤، وقد ركز فيها الحزب على تطهير القوات المسلحة من العناصر المشبوهة واليمينية التي لها طموحات شخصية تغلب ولاءها الوطني والقومي وعلى تعزيز تلاحم القوات المسلحة مع الحركة الجماهيرية بقيادة الحزب وعلى الارتفاع بمستوى الوعي الوطني والقومي لافرادها.

٢ ـ المرحلة الثانية

وبدأت المرحلة الثانية الزمن القائم منذ المؤتمر القطري الثامن سنة ١٩٧٤ وشهدت استمرار الحزب في سياسته السابقة، مضافا لها التسريع بعملية التحول الثوري الداخلي للقوات المسلحة نوعيا، سواء على مستوى افراد القوات المسلحة او على مستوى تشكيلاتها وتنظيماتها وتسليحها، وكان واضحا ان هذه السياسة تهدف الى تحقيق غايتين مركزيتين هما ـ

أ ـ تعزيز قيادة الحزب للجيش ونشر مبادىء الحزب والثقافة القومية والاشتراكية العامة بين منتسبيه وترسيخ الاسس والضوابط المبدئية والعسكرية التي تمكنه من تأدية واجباته على اكمل وجه وتحصنه ضد الانحرفات والمنزلقات وضمان التحامه الكامل بالحركة الشعبية التي يقودها الحزب واسهامه الفعال والصحيح في البناء الثوري وفي تأدية المهمات الوطنية والقومية.

ب ـ تنظيم الجيش على اسس علمية حديثة وتطوير اساليب تدريبه وتعبئته، ورفع قدراته القتالية والفنية وزيادة تشكيلاته وامداده باقوى واحدث الاسلحة والمعدات كي يتمكن، وعلى افضل وجه، من تأدية واجباته المقدسة في الحفاظ على وحدة البلاد ودرء العدوان الاستعماري الصهيوني والوقوف بوجه الاطماع الاجنبية

ثالثا ـ النتائج المتحققة

وقد شهدت المرحلة التي اعقبت المؤتمر القطري الثامن والى الان انجاز تلك الغايات، فتمت عملية شاملة وحازمة لاعادة ترتيب اوضاع القوات المسلحة بدءا بقياداتها، اذ اعطيت الفرص الواسعة للقيادات العسكرية المقتدرة التي تأكدت وطنيتها واخلاصها للحزب والثورة. اضافة الى كفاءتها العسكرية، كما تم اعداد القادة الشباب الذين تربوا في احضان الحزب والثورة، وتعلموا فنون القتال الحديثة وتدربوا على الاسلحة المتطورة. فتحققت نجاحات كبيرة في هذا المجال.

كمـا تم استكمـال تشكيـلات الجيش ومـلاكاته، والارتفاع بالمستوى التدريبي للجنـود، وتحـديث تسليـح الجيش وانشـاء العـديـد من المـدارس والمعـاهـد والكليـات العسكـريـة المختلفة التي تمد صفوفه المتعددة بحاجاتها من الفنيين والضبـاط، غيـر ان الانجـاز الستراتيجي المهم الذي تحقق كان في مجال تنويع مصـادر تسليـح الجيش لكسـر الحصـار المتوقع فرضه على جيشنا زمن السلم او الحرب بما يهدد قدرة الجيش على حماية الارادة الوطنية.

رابعا: ـ دور الرفيق القائد

وقفت وراء هذه الانجـازات القيـادة الحكيمـة للرفيق القـائـد صدام حسين، الـذي اظهـر اهتمـاما بارزا بالقوات المسلحة، تحول منذ تسلمه الموقع الامامي في قيـادة الحـزب والـدولـة الى ملازمـة مستمـرة امنت التعـايش الفعال الموجه والمـربي والسـاهـر على كل شؤون الجيش، كمـا امنت المتـابعـة انجـاز البناء العقائدي والفني لشؤون التدريب واعداد القادة ورسم دور القوات المسلحة في السيـاق العام للنضال الوطني والقومي للعراق، والاشراف على تسليحه بالشكل الذي يؤمن توظيف قدراته توظيفا كاملا.

لذلـك لم يكن غريبـا ان يطلق افـراد القوات المسلحة على حربنا ضد العدو الفـارسي اسم (قـادسيـة صدام)، فبمجرد ان بدأ العدو الفارسي عدوانه المسلح على حدودنا الشرقية تركز في ذهن ابناء القوات المسلحة انهم ازاء معركة مباشرة للدفـاع عن الـوطن ضد العدو العنصري الحاقد، وانها معركة يختبر فيها التأريخ الجيش العـراقي، تختبـر فيهـا ارادة مقـاتليـه، وسياسة الحزب ومدى استيعابهم لقيم الامة وتقاليدها وللنموذج صدام حسين.

أندفع ابناء القوات المسلحة في المعركة بشجاعة عالية في القتال، وبصورة استثنـائيـة اتـاحت لجيشنـا ان يسجـل بطـولات عظيمـة، ابقت سجله للشـرف والبطـولـة، وظهر جيدا كيف ان هذه الشجاعة والفروسية والبطولة جعلت الشعب يفخـر بجيشـه ويحيطـه بهالة من العز، وظهر تفوقه بكافة تشكيلاته وصفوفه على العـدو، ورغم الفـارق العددي وفارق السلاح، والعوامل الاساسية في بناء القوة (السكان والاقتصاد والمساحة والجغرافية).

خامسا : ـ النتائج المباشرة لقادسية صدام في مجال القوات المسلحة :

كشف استمرار المعركة القدرات الاستثنائية في قواتنا المسلحة :ـ

١ ـ تعزيز البناء الفني للمؤسسة العسكرية . .

فعملية ادامة السلاح وتطويره وتعويض النقص في احتياجاته ، والارتفاع بمستوى التدريب ، وسد نقص التدريب في بعض الصنوف كانت تعبيرا عن تصميم وارادة القوات المسلحة على حماية انتصارها وتأكيد قدراتها على السير حتى النهاية بالمعركة ، لانها كانت ترى فيها اول معركة يخطط لها الجيش العراقي ويقودها بنفسه بكل اسلحته وصنوفه وافراده ، مستندا بصورة مباشرة الى عمق الشعب من حيث الامكانات المادية والمعنوية ، اساسها السوق العام والشامل لامكانات الدولة ، فهي اذن المعركة الفاصلة في تأريخ العرب الحديث المعاصر ليس بابعادها السياسية والاجتماعية حسب ولكن في حدود الاختصاص الخاص،هي بداية تشكيل عقيدة عسكرية عربية في التأريخ الحديث .

٢ ـ الروح الجديدة في البناء النضالي . .

تميز الاداء القتالي لافراد القوات المسلحة بالاندفاع والاستعداد للتضحية والاستشهاد ، وتميز ضباط القوات المسلحة وقادة الوحدات والتشكيلات في تسابقهم للقتال في الخطوط الامامية ، مؤكدين الحالة الجديدة للانسان العراقي الذي استوعب قيم امته في الشجاعة والاقدام والرجولة مقتدين بالرفيق القائد صدام حسين الذي قاد منذ اللحظة الاولى دفة الحرب بكل حلقاتها وميادينها الاساسية اذ بالاضافة الى واجباته الاساسية في القيادة العامة للقوات المسلحة ،

وفي الحزب والدولة، كان القائد صدام حسين موجودا في اغلب المعارك المهمة يقودها قيادة مباشرة يضع الخطط او يعدل فيها ويطورها، ويتصل بالمقاتلين في الخطوط الامامية، ولايغادر الموقع الا بعد حسم المعركة بالنصر.

بهذه التفاصيل تدار قادسية العرب الثانية، قادسية صدام، التي جاءت في روحها واساليبها صورة لمعارك العرب المجيدة التي تحدث عنها تأريخهم العظيم.

(٣) النمو الذاتي للقوات المسلحة

وتكشفت المعركة عن حقيقة اخرى بارزة هي نمو القدرة الذاتية للعراق، فالقوات المسلحة التي تخوض غمار قادسية صدام لم تكن يوم بدأت المعركة بحجمها الحالي. ولا بتسليحها وتجهيزها، ولا بقدرة افرادها على استخدام الاسلحة الحديثة وتقنياتها المتقدمة، غير ان هذه الحرب التي دخلت عامها الخامس والتي تعتبر اطول حرب نظامية يتاح للقوات المسلحة العراقية ان تخوضها افادت من ادارة معاركها وتخطيطها وخوضها في اكتساب خبرات عسكرية عديدة. لاشك ان في مقدمتها روح وفن القتال القائم على تعاون الاسلحة والصنوف.

صحيح ان الجيش العراقي ولد محاربا منذ ايامه الاولى يدافع عن وحدة العراق وسيادته ويؤدي التزاماته القومية كاملة، غير انه لم يسبق له ان خاض تجربة حرب طويلة مستمرة تشترك فيها كل الاسلحة وتدار لاعتبارات وطنية وقومية، وفي الوقت نفسه يكتسب فيها الخبرة وتنمو قدراته وخبراته ويكسب ولاء الشعب واعتزازه وتتحول بطولاته الى مدرسة نضالية تستقطب ابناء الشعب وتثير فيهم قيم الرجولة وحب الجندية.

— خلاصة —

موضوع الدور البطولي للقوات المسلحة في القادسية الثانية

سوف تستمر قادسية صدام تعزز نتائجها على مستوى القوات المسلحة، وفي

المستـوى الـوطني والقـومي ، وتعطي لشعـوب العـالـم الثالث نموذجا في الارادة الوطنية وقدراتها ومع استمرار الحرب تتضح جيدا طبيعة هذه النتائج وتتسع الافاق امـام القـادسية ، لفرز المزيد من النتائج فالاسس الوطنية والقومية لقيام الحرب ، والطبيعة الدفاعية للمعركة ليس بالمعنى العسكري ، انما بالمعنى القومي سوف يجعلان نتائجها اوسع من ان تحسب وتقاس بالمقاييس التي تقاس بها المعارك حتى الان .

ان قادسيـة صدام تتحـول ، يوما بعد يوم الى ملحمة تتشكل من خلالها الامة العربية في التأريخ المعاصر ، ويشكل استقطابها القومي للخيرين من ابناء الامة العـربيـة الذين حطموا حواجز التجزئة الجغرافية والسياسية والنفسية صورة للامة المقاتلة . . صورة الامة العربية التي تعمدت بقادسية صدام ، امة مقاتلة ، وتمنح العقيـدة العسكـريـة العـربيـة الجديدة فرصة استيعاب الظرف العربي كله مكانا وزمـانـا ، وتؤكد صحة وصدق نظرية العمل البعثية في القوات المسلحة ، نظرية الجيش العقائدي . .

القسم السادس

السِّياسَة



١ـ الاستعمار والوطن العربي

اولا : ـ تمهيد

يستخدم مصطلح الاستعمار الحديث (الامبريالية) عموما للاشارة الى حالة في العلاقة بين الشعوب تتسم بتسلط شعب معين على شعب آخر او عدة شعوب اخرى تسلطا استنزافيا يقصد منه امتصاص ثروات الشعب او الشعوب المتسلط عليها او الاستفادة من مصادرها الطبيعية واسواقها الاستهلاكية وقواها البشرية ومزاياها الجغرافية لصالح الشعب المتسلط.

وتلجأ الامبريالية لتحقيق اغراضها في السيطرة على الدول النامية او الضعيفة التطور الى عدد من الوسائل الرئيسية ابرزها : ـ

١ ـ التوسع في اقامة الاحلاف والتكتلات العسكرية. وقد شهدت فترة الخمسينات صراعا جماهيريا عنيفا في آسيا وافريقيا ضد استمرار السيطرة الاستعمارية في اية صورة من صورها.

كما عبرت حكومات بلدان آسيا وافريقيا عن رفضها لسياسة الاحلاف والسيطرة الاستعمارية، بتبني اتجاه عدم الانحياز، ورفض الانضواء تحت لواء الكتل الدولية المتصارعة. . ولكن القوى الامبريالية تمكنت من نشر سياسة الاحلاف في مناطق عديدة من العالم الثالث، كما فعلت بانشاء حلف جنوب شرقي آسيا «حلف السينتو ٩٥٤» وحلف المعاهدة المركزية (السنتو) الذي سمي في اول اقامته «حلف بغداد ١٩٥٥»، بالاضافة الى التحالفات العسكرية الثنائية ومواثيق الامن المتبادل مع الفلبين وكوريا الجنوبية وتايوان وفيتنام الجنوبية وتركيا وايران والباكستان. . وغيرها.

٢ ـ اذكاء حدة الخلافات بين الدول حديثة العهد بالاستقلال، وتأزيم مختلف تناقضات المصالح فيما بين هذه الدول، وتحريك اسباب الصراع الطائفي والعنصري على المستويين الداخلي والخارجي ودفع المنازعات الناتجة عن

الخلاف حول الحدود السياسية الى نقطة الحرب المسلحة لاضعاف هذه الاطراف والهائها عن مشكلات التنمية وتعزيز الاستقلال السياسي لها.

٣ ـ تشجيع الانقلابات العسكرية في هذه البلدان، بقصد الوصول الى واحد من هدفين، هما اما فرض عناصر موالية لها في السلطة مما يشكل الضمان نحو حماية مصالحها، اوخلق وضع من عدم الاستقرار من خلال تكرار لعبة الانقلابات.. وهوما يمكن ان يكون قوة معطلة تماما للنمو والتقدم في اية صورة ايجابية.

٤ ـ استخدام الغزو الثقافي، وتصدير العقائد السياسية والثقافية بشكل عام، ومحاولة تشويه الثقافات الوطنية لهذه البلدان ووصفها بالبدائية وتقديم النماذج الحضارية الاستعمارية على انها البديل الطبيعي لذلك.

٥ ـ استخدام الادوات الاقتصادية كالقروض والمساعدات المالية لاحكام تبعية بلدان العالم الثالث للأمبريالية، وللتأثير من خلال ذلك على تشويه اقتصادياتها وتعطيل التنمية الجادة فيها.

ثانيا: ـ تطور الاستعمار الحديث:

مر الاستعمار الحديث منذ نشأت جذوره حتى اليوم بمراحل متعددة انتقل خلالها من طور الى آخر، تبعا للتطورات الداخلية في بلدانه، وللتطورات على الصعيد العالمي.. وترجع نشأة الاستعمار الحديث الى بدايات النظام الاستعماري اذ نشأت الرأسمالية التجارية في ظل النظام الاقطاعي الذي كان يسود اوربا، وتطورت الى رأسمالية صناعية، واصبحت تبحث عن المواد الخام والوقود والاسواق لتصريف الفائض من الانتاج، والمتراكم من رأس المال، لتحقيق اكبر قدر من الارباح.

وخلال البحث عن مصادر المواد الخام والاسواق نشأ التنافس بين الدول الرأسمالية الصناعية للسيطرة على الدول الضعيفة في العالم الثالث، مما ادى الى استجلاب الاحتلال العسكري وطرد المنافسين.

وهكذا قامت الحرب العالمية الاولى، كتعبير عن الصراع بين الدول الرأسمالية لاقتسام مناطق النفوذ في بلدان العالم والاستحواذ على مصادر المواد

الخام والطاقة واسواق التصريف.

وقد ادت هذه السياسة الى تعاظم الوعي والنضال القومي في المستعمرات. والى تزايد اعباء الاحتلال العسكري على الدول المستعمرة (بكسر الميم). وبقيام الحرب العالمية الثانية، تعرض النظام الاستعماري الى هزات عنيفة، وشهد تغييرات جوهرية في علاقاته وموازين القوى بين دوله.. فقد هزمت في هذه الحرب القوى (الالمانية واليابانية) المستعمرة وخرجت بريطانيا وفرنسا ضعيفتين، فيما برزت الولايات المتحدة كقوة قائدة للنظام الامبريالي تتمتع بامكانيات هائلة اقتصادية وعسكرية، وتولت منذ الحرب العالمية الثانية دور شرطي العالم.

وازاء التطورات الايجابية التي شهدتها بلدان المستعمرات والعالم الثالث والمتمثلة بنجاح العديد من شعوبها في شن نضال سياسي وعسكري ضد الوجود الاستعماري وحصول بعضها على الاستقلال عمدت القوى الاستعمارية الى اعتماد سياسة تقوم على الاسس التالية:ـ

(١) العمل بكل الوسائل لتثبيت كيانية التجزئة التي ولدت وكرست في العهود الاستعمارية والانتدابية كضمان لضعف هذه الكيانات اقتصاديا وسياسيا وعسكريا.

(٢) خلق مشاكل اقليمية وزرع كيانات مصطنعة عميلة وايجاد الانقسامات العنصرية كقنابل زمنية موقوتة كتايوان وهونغ كونغ والكيان الصهيوني من جهة، وكشمير وقبرص من جهة ثانية وتقسيم فيتنام ولاوس وغيرهما من جهة ثالثة، على سبيل المثال لاَ الحصر.

(٣) تثبيت تبعية اقتصاديات الدول الحديثة الاستقلال عن طريق الحفاظ على انظمة تحكمها طبقة صغيرة محدودة عميلة تستفيد من المنافع الاقتصادية التي تحصل عليها عن طريق المشورة والدعم العسكري الامني والخبراء في قمع التحرك الجماهيري الثوري وعن طريق الهيمنة الاقتصادية بواسطة الشركات الاحتكارية الاجنبية.

(٤) تعزيز الاشكال غير المباشرة للنفوذ والتأثير الاستعماري كالثقافة والتعليم.

(٥) اقامة احلاف عسكرية تربط دول العالم الثالث بعجلة الاستعمار ومع ان

الاستعمار الحديث وخاصة الامريكي حقق نجاحا غير قليل في تنفيذ سياساته هذه الا انه اصطدم بعوامل وعقبات عديدة، استنزفت الكثير من زخمه وقوته وساهمت في تعميق ازمته العامة، ومن هذه العوامل والعقبات : -

أ ـ اتجاه الحركات القومية في العالم الثالث الى الربط بين النضال القومي ضد الاستعمار وبين المحتوى الثوري التقدمي لعملية التحرر الوطني، وترتب على ذلك رفض التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب الامبريالي (امريكا خاصة).

ب ـ صمود الشعوب المناضلة امام العدوان الامريكي في عدد من بلدان العالم الثالث وتمثل فيتنام ابرز امثلة الصمود واستنزاف قوة وهيبة شرطي العالم الجديد (الولايات المتحدة).

جـ ـ اشتداد المنافسة الاقتصادية والتجارية بين دول المعسكر الرأسمالي، وعلى التحديد بين اوربا الغربية، اليابان، والولايات المتحدة، الأمر الذي أثر على ميزان المدفوعات الامريكي وعلى مكانة الولايات المتحدة في التجارة الدولية وقدرتها على تصدير فائض الانتاج.

د ـ ادت حرب فيتنام وقدرة اوربا الغربية واليابان على منافسة المنتجات الأمريكية، وتقدم شعوب العالم الثالث في ميدان الصناعة والانتاج، ونمو تجارة المعسكر الاشتراكي مع دول العالم الاخرى الى تفاقم ازمة النظام الرأسمالي الاستعماري.

٣ : الاستعمار الحديث والوطن العربي : -

منذ ان برز الاستعمار التقليدي كقوة دولية اولى أهمية كبيرة للسيطرة على الوطن العربي ومصادرة قدراته وتعطيل حركة نهوضه الحضاري. ذلك ان الاستعمار قام على اساس ان الصناعة في الغرب الرأسمالي بحاجة الى مواد خام والى اسواق خارجية والى مجالات لاستثمار فائض راس المال الناتج عن عملية التراكم نتيجة الارباح، وهو في كل هذا يعتمد على التجارة وفق مبدأ التبادل غير المتكافيء والذي يؤدي الى الاحتلال العسكري والهيمنة السياسية والاضطهاد القومي اقتصاديا

وسياسيا، كما يتطلب ذلك تأمين المواصلات (العسكرية والتجارية) ويؤدي الى نشوء الاحتكارات.

ولو عدنا الى تأريخ الاستعمار الحديث لوجدنا ان الوطن العربي (باب القارات الثلاث) كان نقطة المحور في النظام الاستعماري العالمي ففي الفترة الماضية كانت مصر (القطن وقناة السويس) نقطة المحور.

وفي المراحل المعاصرة شكل النفط العربي نقطة التركيز الاساسية في المخطط الاستعماري. ولقد كان تحرر اقطار الوطن العربي ووحدة هذه الاقطار وتماسك الشخصية العربية المستيقظة حديثا ذات التراث العريق، مصدر خطر كبير على الاستعمار، منذ بروز محمد علي في مصر بداية القرن التاسع عشر.

ومن هنا بالتحديد نشأت فكرة اقامة دولة يهودية مصطنعة تفصل بين مصر والشرق العربي وتستخدم كقاعدة امامية ضد الحركة العربية الاستقلالية التحريرية وجاء فتح قناة السويس، وانفراط عقد الامبراطورية العثمانية، وتنامي وعي ونضال الحركة العربية في سبيل ايجاد دولة عربية واحدة مستقلة في المشرق العربي، ليرسخ قناعة الدوائر الاستعمارية كافة بضرورة ايجاد دولة صهيونية مرتبطة عضويا بالنظام الامبريالي العالمي، وبضرورة تجزئة الوطن العربي، واخضاع الاجزاء للنفوذ الاستعماري المباشر (الانتداب).

وفي عصر اكتشاف النفط في الارض العربية وفي عصر اعتماد الغرب الاستعماري على هذه المادة التي تشكل عصب الحياة الصناعية المعاصرة ازداد الاستعمار شراسة في تآمره للحيلولة دون نهضة الجماهير العربية وتحقيقها لاهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية.

ان الوطن العربي مهم جدا بالنسبة للامبريالية، لأنه مثل (اولا) مصدر المواد الخام الاساسية في العملية الصناعية التي تفتقر اليها الرأسمالية في الغرب، (القطن اولا ثم النفط) ومثل (ثانيا) مجالا للاستثمارات الرأسمالية الغربية (قناة السويس وشركات النفط)، وسوقا للمنتجات الغربية، ومثل (ثالثا) الموقع السوقي المهم جدا في العالم منذ بداية سيطرة بريطانيا على الهند الى يومنا هذا، ويمكن وصف وطننا العربي بانه بوابة العالم، لانه يصل اوربا بآسيا وافريقيا ويطل على عدة بحار وعلى المحيط الاطلسي.

رابعا: سياسات الاستعمار الحديث تجاه الوطن العربي:

ولاهمية الوطن العربي هذه، ولخطورة نهضة الأمة العربية ووحدتها اتبعت القوى الاستعمارية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية، سياسات ومخططات عدوانية ضد العرب للابقاء على تمزقهم وتخلفهم وضعفهم، لتسهل بذلك عملية السيطرة عليهم ونهب ثرواتهم. وقد ارتكزت هذه السياسات والمخططات العدوانية على عناصر رئيسية يمكن الاشارة الى اهمها: -

(١) تقوية الكيان الصهيوني، ومده باسباب التفوق على العرب اقتصاديا وعسكريا، والعمل بكل السبل من اجل ابقاء التوازن العسكري لصالحه ضد العرب. .
والى جانب المساعدة الاقتصادية والعسكرية تقف الولايات المتحدة الى جانب الكيان الصهيوني في المحافل الدولية وبوجه الاجماع العالمي ضده، والضغط على دول آخرى لاتخاذ مواقف معادية للعرب بل تطورت علاقات التحالف بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني الى مستوى المعاهدة التحالفية الاستراتيجية وهي ما عرفت بمذكرة التفاهم «الستراتيجي».

(٢) تسليح ايران بشكل مبالغ فيه، وتشجيعها على الاعتداء على الحدود الشرقية للوطن العربي لمشاغلة الجيش العراقي الذي لعب دورا بطوليا في حرب تشرين - ١٩٧٣، ولمنع عراق ثورة ١٧ - ٣٠ تموز من ممارسة اي تأثير في تقوية الجبهة الشرقية، واحباط الحلول والمشاريع الاستسلامية الامريكية.
ان تسليح ايران الى جانب الكيان الصهيوني واثيوبيا يشكل سياسة ثابتة لدى الولايات المتحدة تجاه الأمة العربية، فهذه المراكز تمثل بؤرا في اطراف الوطن العربي وقلبه تتولى كل منها مشاغلة احد الاجنحة المهمة لهذا الوطن فاثيوبيا تشاغل السودان ومصر واليمن، وتشاغل ايران العراق والخليج، فيما يتولى الكيان الصهيوني الاجهاز على القلب في فلسطين والاردن وسورية. . وهذه الحقيقة تفسر اسباب استمرار الدعم التسليحي الامريكي والصهيوني لايران في عهد خميني، كما كانت تفعل في عهد الشاه.

(٣) دعم الانظمة الرجعية، ودفعها للعب دور بارز في الساحة العربية واستخدام نفوذها المالي خاصة لترويض الانظمة العربية وحملها على القبول بالحلول

الاستسلامية والتعايش مع العدو الصهيوني .
٤ ـ العمل بكل الوسائل للقضاء على المقاومة الفلسطينية وبشكل خاص العمل على تصفية منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها المثل الشرعي للشعب الفلسطيني ليتسنى لها بعد ذلك تصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائي ، وتعبر التطورات التي حصلت في السنوات الاخيرة والمتمثلة بالاجتياح الصهيوني لجنوب لبنان ثم غزو لبنان وحصار بيروت واخراج المقاومة منها ، ورفض التحاور او الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بشكل واضح عن هذه السياسة العدوانية .
٥ ـ فرض الأمر الواقع على العرب ، باجبارهم على الاعتراف بالكيان الصهيوني . والصلح معه ، واقامة العلاقات الطبيعية بينهم وبينه .

وهذا العنصر في المخطط الاستعماري يعتبر من العناصر الاساسية فقد سعت لتحقيقه منذ قيام الكيان الصهيوني . . نجحت بتحقيقه جزئيا عندما وقع السادات اتفاقية الصلح مع الكيان الصهيوني عام ١٩٧٩ ، والاتفاق اللبناني الصهيوني عام ١٩٨٣ واتفاقية فك اشتباك القوات مع سورية عام ١٩٧٥ والمحاولات المستمرة لادخال انظمة اخرى الى دائرة الصلح والاعتراف بالعدو.

ان سعي الاستعمار لتحقيق هذا الهدف سببه العمل على خرق المقدسات العربية المتمثلة بعدم الاعتراف او الصلح او التفاض مع العدو الغاصب ، فاذا ماتحقق له هذا الهدف مع دولة او اكثر اصبح المجال مفتوحا لقبول الاقطار الاخرى بهذا الواقع وحينذاك ينتقل المخطط الاستعماري الصهيوني الى مرحلة جديدة هي مرحلة فرض الهيمنة الاقتصادية على المنطقة العربية لاحتوائها بشكل نهائي .
٦ ـ رصد تطور الاوضاع في الاقطار العربية ، ومنع اي قطر عربي من تحقيق تطور ملموس في اوضاعه الاقتصادية والعسكرية ، والعمل على ضرب اي محاولة من هذا النوع لأن تحقيق التنمية المخططة في قطر عربي ، خاصة اذا كان هذا القطر يمتلك المقومات الاقتصادية والبشرية ، مثل مصر والعراق ، يعني تغييرا في ميزان القوى لصالح العرب ولذلك ضربت تجربة عبدالناصر بالصورة نفسها التي يحاول من خلالها الاستعمار ، ضرب تجربة العراق الثورية ، من خلال تشجيع ايران على شن الحرب ضد العراق واصرارها على استمرار الحرب .

لقد شجع الاستعمار الامريكي الكيان الصهيوني على شن عدوان ٥ حزيران عام

١٩٦٧ لاجهاض تجربة عبدالناصر في مصر، وشجع ايران على غزو العراق عام ١٩٨٠، لضرب تجربة البعث وتصفيتها بعد ان اصبح العراق في ظل راية البعث، وبفضل قيادة الرفيق المناضل صدام حسين قاعدة حقيقية للثورة العربية قادرة على مواجهة المخططات الاستعمارية واحباطها كما فعل العراق حين نظم مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٩، فطوق معاهدة الصلح التي عقدها السادات مع العدو الصهيوني وفرض المقاطعة العربية على نظامه فاجهض مخطط الادارة الامريكية الذي كان يرمي الى توسيع دائرة الصلح مع العدو لتشمل اقطار عربية عديدة.

٧ ـ السيطرة على الثروات العربية باشكال مختلفة، منها السيطرة على الثروة العربية النفطية وهي مادة خام، والسيطرة على العوائد المالية النفطية لبعض الانظمة العربية واستثمارها في دول الغرب الاستعماري وتشجيع سباق التسلح في المنطقة لتوجيه الموارد الى شراء الاسلحة بدل الانفاق على التنمية. . كل ذلك من شأنه ان يبقي الاقطار العربية في حالة ضعف وتفكك.

٨ ـ اثارة الفتن والنعراث الطائفية والعرقية ومحاولة تفتيت الاقطار العربية الى دويلات متصارعة وفي هذا الاطار شجع الاستعمار نظام خميني ودعمه وروج لطروحاته، وساعده على العدوان ضد العراق، بهدف اجتياح العراق وتقسيمه الى دويلات طائفية. فيما يقوم الكيان الصهيوني بتقسيم لبنان وسورية بحيث يشمل المخطط كل المنطقة العربية.

هذه وغيرها من العناصر، تشكل اساس السياسات والمخططات الاستعمارية في الوطن العربي، نجح بعضها وبعضها الآخر تبحث له عن فرص النجاح.

واذا كانت القوى الاستعمارية قد حققت بعض اهدافها في المنطقة العربية بعزل مصر عن العرب بعد توقيع اتفاقية (كامب ديفيد) وانفراد العدو الصهيوني بالاقطار الاخرى واحدا اثر واحد، وغزوه للبنان واخراج المقاومة من بيروت فان ذلك لايعود الى قوة العدو الصهيوني وحليفه الاستعمار الامريكي حسب بل الى تفكك العرب وتناحرهم وتنازعهم، بحيث فقدوا بعض المقومات الذاتية للصمود في مواجهة العدوان. . ان مواجهة المخطط الاستعماري الصهيوني تتطلب كما اكدت ذلك مؤتمرات الحزب ووثائقه، والمواقف العملية للحزب والثورة في القطر العراقي تغليب صيغ العمل العربي المشترك، والسعي لتقوية كل اشكال العمل الوحدوي،

والبحث عن عوامل اللقاء بين الاقطار العربية والقوى العربية الجماهيرية لحشد طاقاتها في مواجهة العدوان الاستعماري الصهيوني.

لقد دعا العراق، في مناسبات كثيرة، الى تعبئة الجهد العربي وفق برنامج علمي مركزي يستوعب ما يستطيع ان يقدمه كل قطر وحسب طاقته لمواجهة العدوان وعبرت سياسة العراق اثناء انعقاد مؤتمر قمة بغداد عن هذا النهج، عندما نجحت في الاتفاق على برنامج الحد الادنى، في رفض مشاريع التسوية وتصفية القضية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه ابقى العراق الباب مفتوحا امام اي قطر عربي يرغب بتطوير صيغة الحد الادنى الى المستوى الذي يذهب اليه اي ان العراق يدعو في اطار العمل العربي المشترك القائم على برنامج الحد الادنى الى تطوير صيغ التنسيق بينه وبين اي قطر الى مستوى اكثر تطورا بحيث يشكل اساسا قويا ومتينا لتعزيز جبهة المقاومة ضد الاستعمار والصهيونية ومن اجل التحرير الكامل للارض العربية..

فبهذه الصيغة سيكون بامكان الأمة العربية احباط المخططات المشبوهة وقبرها ومواصلة مسيرة النهوض الحضاري والتحرير الشامل والوحدة.

خلاصة موضوع

الاستعمار والوطن العربي

اولا: يستخدم مصطلح الاستعمار الحديث (الامبريالية) للتعبير عن حالة في العلاقة بين الشعوب تتسم بتسلط شعب معين على شعب آخر او عدة شعوب اخرى تسلطا استنزافيا يقصد منه أمتصاص ثروات الشعب او الشعوب المتسلط عليها او الاستفادة من مصادرها الطبيعية واسواقها الاستهلاكية وقواها البشرية ومزاياها الجغرافية لصالح الشعب المتسلط.

ثانيا: ـ نشأ الاستعمار الحديث في رحم النظام الاقطاعي، عندما نمت الرأسمالية التجارية وفيما بعد الرأسمالية الصناعية في دول الغرب واصبحت بحاجة الى

المواد الاولية ومصادر الطاقة لصناعاتها والاسواق لمنتجاتها وخلال البحث عن هذه المصادر والاسواق نشأ التنافس بين الدول الرأسمالية الصناعية للسيطرة على الدول الضعيفة في العالم الثالث مما ادى الى استجلاب الاحتلال العسكري وطرد المنافسين وهكذا قامت الحرب العالمية الاولى واعقبتها الحرب العالمية الثانية التي كانت اسبابها الخلاف بين الدول الاستعمارية لاقتسام مناطق النفوذ في العالم.

ثالثا: ـ يعتمد الاستعمار سياسات تقوم على عدة اسس منها العمل بكل الوسائل لتثبيت كيانية التجزئة التي ولدت وكرست في العهود الاستعمارية والانتدابية وخلق مشاكل اقليمية وزرع كيانات مصطنعة عميلة في مناطق العالم الثالث، وتثبيت تبعية اقتصاديات الدول النامية لاقتصادياتها واستخدام الغزو الثقافي، واقامة الاحلاف والقواعد العسكرية وغير ذلك من الاساليب.

رابعا: ـ جابهت السياسة الاستعمارية مقاومة من قبل الشعوب النامية كما صمدت بعض الشعوب في مقاومتها للغزو الاستعماري وفي المحافظة على استقلالها السياسي والاقتصادي وفي تحرير ثرواتها الطبيعية من الاحتكارات الاستعمارية مما ساهم في تعميق ازمة الرأسمالية العالمية واصابها بالضعف النسبي.

خامسا: ـ اعتمد الاستعمار في الوطن العربي سياسة تهدف الى تفتيت كيانه وتجزئة اقطاره وخلق الكيان الصهيوني في قلبه لتسهل له السيطرة على الوطن العربي والاستحواذ على ثرواته ومزايا موقعه. وقد شجع الدول المجاورة للوطن العربي على التوسع والعدوان على الأمة العربية لمشاغلتها وتشتيت طاقاتها وقدراتها.

سادسا: ـ ان المخطط الاستعماري يستفيد من وجود الكيان الصهيوني ومن اعداء العرب لاثارة الحروب المستمرة بهدف تعطيل تقدم الوطن العربي وعملية التنمية، وكذلك اثارة الفتن الطائفية لتمزيقه ويتطلب ذلك ان يبادر العرب الى تأمين الحد الادنى من الشروط اللازمة لمواجهة العدوان الاستعماري الصهيوني وخاصة توحيد العمل العربي المشترك واقامة جبهة قومية من القوى والانظمة المؤمنة بالتحرير والصمود وستكون الأمة بذلك قادرة على تحطيم المخطط الاستعماري الصهيوني وتحرير الارض العربية من وجودهما ونفوذهما.

٢ - الصراع العربي الفارسي

ان تتبع تاريخ العلاقات العربية ـ الفارسية يؤكد حقيقة متوافرة عبر الحقب التأريخية المختلفة، تؤيدها شواهد التاريخ واحداثه، وهي ان هذه العلاقات أتسمت بروح العداء الفارسي للعرب، والنزعة التوسعية على حساب اراضيهم وبلادهم، والرغبة الشديدة التي تصل الى حد الهوس للسيطرة عليهم واذلالهم والانتقاص من مكانتهم الحضارية ودورهم الانساني.

واذا كان تأكيد هذه الحقيقة، مدعاة للاسف، لانها حالة شاذة وغير طبيعية لأن العرب والفرس امتان متجاورتان، يفترض ان تقوم بينهما علاقات حسن الجوار والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، فان ذكرها هنا لا يعني غير تقرير الواقع وتقرير أن دراسة التأريخ كشفت لنا على ان الفرس لم ينظروا ابدا الى جيرانهم العرب غير نظرة المتغطرس المغرور الطامع في ارضهم وفي ثرواتهم.

ولكي نقف على ابرز مظاهر العداء الفارسي تجاه العرب ونرى كيف ان هذه المظاهر تعتبر من القواسم المشتركة في سياسات حكام ايران، منذ اقدم عصور التأريخ حتى الوقت الحاضر، سنشير الى عدد من المظاهر الرئيسية للعداء الفارسي تجاه العرب :ـ

اولا : ـ العدوان العسكري المسلح :

كان السلوك الثابت للفرس تجاه العرب ولايزال هو العدوان العسكري المسلح. . اذ كانوا يشنون عدوانهم كلما وجدوا لديهم قدرة الفعل العسكري، وكلما رأوا الدولة العربية في العراق وفي الخليج العربي تعاني من الضعف. . لقد اصبح العدوان والتوسع اشبه ما يكون بالقانون الثابت لدى الفرس. واستقراء التاريخ في الحقب القديمة، والحديثة والمعاصرة يوفر لنا ادلة قاطعة على هذه الحقيقة، وسنذكر شيئا من تفصيل ذلك في نهاية الموضوع. . فمنذ ان

استقـر الفـرس في الهضبـة الايـرانيـة سنـة ٩٠٠ ق. م بدأوا يهيئـون انفسهم للانقضاض على الدولة البابلية وتحينوا فرصة ضعفها واستفادوا من تحالفهم مع اليهـود، فغـزوا الدولة البابلية سنة ٥٣٩ ق. م بقيادة كورش الاخميني، ودمروا مظاهر تحضرها ومؤسساتها واثارها واعملوا بسكانها القتل والابادة.

واستمرت، بعد غزو (كورش) حملات الفرس العسكرية بقيادة سابور الاول الـذي احـرق دولة الحضر سنة ٢٥٠م، وبعدها غزا سابور الثاني شرق الجزيرة العربية، وقتل من سكانها الالآف، اذ كان يعمد الى ربطهم من اكتافهم. ومن هنا جاء لقبه «سابور ذو الاكتاف».

وفي سنة ٥٤٠م، غزا كسرى انو شروان بلاد الشام، وفي سنة ٦٠٢م اغتال الفرس النعمان بن المنذر ملك الحيرة وقاموا سنة ٦١٦ م بهجوم على غزة.

وعنـدمـا ظهر الاسلام، قابله الفرس بالعداء والحقد، ومزق ملكهم كسرى كتـاب الـرسـول العـربي الكـريم محمـد بن عبـدالله الـذي دعـاهم فيـه الى الاسـلام.. وبـانتصـار العـرب عليهم في معارك التحرير وخاصة في القادسية الاولى، وبعد معركة «نهاوند» عبر كثير من الفرس ورغم اسلامهم عن عدائهم للعرب بصيغ واشكال مختلفة، كان ابرزها وقوفهم وراء الحركة الشعوبية التي تبنت اهدافا ذات ابعاد ثلاثة: -

١ - البعد الديني ويقوم على تشويه مبادىء الاسلام وهدمها بكل الوسائل، منها انشـاء حركـات الغلو والـزندقة منطلقين من مبادىء دياناتهم القديمة كالزرادشتية والمانوية والمزدكية.

٢ - البعد السياسي: الذي يقوم على محاربة الأمة العربية، والعمل على ازالة كيانها وزعـزعـة ثقة أبنائها بانجازاتها العظيمة المستمرة، واتخذ هذا البعد عدة اشكال كعمليـات اغتيـال الخلفـاء، والحـركات التي حاولت زعزعة كيان الدولة العربية كحـركـات الـراونـدية والمقنع وسنباذ وبابك الخرمي والافشين، ومحاولات ابي مسلم الخراساني والبرامكة.

٣ - البعـد الحضـاري ويستهـدف الحضارة العربية والانتقاص منها، اذ عمل الفرس على الطعن بالعـرب وحضـارتهم واحيـاء التـراث الفـارسي القديم، والاشادة به واظهاره بصورة متقدمة على التراث والحضارة العربية:

وفي التأريخ الحديث، استمر هذا السلوك العدواني، واخذ شكلا واضحا فبعد قيام الدولة الصفوية احتل اسماعيل الصفوي بغداد سنة ١٥٠٨م، وتحالف الصفويون مع البرتغاليين اكثر القوى خطرا على الدين، رغم أن دولتهم قامت باسم الدين، وعقدوا معهم معاهدة سنة ١٥١٥م تنص على ان تكون السفن البرتغالية في متناول ايدي الفرس لشن هجماتهم على البحرين والقطيف، وان يقوم بين الطرفين تعاون عسكري في منطقة الخليج وفي سنة ١٦٢٣ قام الشاه عباس الصفوي بغزو العراق، وقام باعمال التخريب والتدمير التي فصلتها المصادر التي ارخت لتلك الحقبة. وعندما اعتلى نادر شاه عرش ايران غزا بقواته العراق، وحاصر مدنه الرئيسية سنوات ١٧٣٣، ١٧٣٦، ١٧٤٣م، وخلف وراءه من المآسي والاذى ما يصعب وصفه. وغزا كريم خان الزند العراق بثلاث غزوات عسكرية، فشلت اثنتان منها وتمكنت الثالثة من احتلال البصرة خلال الفترة من ٧٧٥ الى ١٧٧٦م.

وفي سنة ١٨٢٠، تعرضت مناطق من العراق لهجوم فارسي وتكررت هذه الاعمال العسكرية حتى الربع الاول من القرن العشرين، واستطاعت ضم كل عربستان (الاحواز) اليها ومناطق من وسط العراق وشماله.

وتمكن الشاه محمد رضا بدعم من القوى الامبريالية من تحقيق مكاسب آخرى في شط العرب.

وجاء خميني محاولا باحلامه الصفراء تجديد عهد الامبراطورية الساسانية، فلم يكتف بما فعله اسلافه، وانما اعلن انه يريد اسقاط الحكومات غير (الاسلامية) عن طريق (تصدير الثورة) الاسلامية وهو الغطاء الجديد لسياسة الحقد والتوسع والعدوان القديمة.

ثانيا: ـ نقض المواثيق والمعاهدات الدولية:

لقد اعتاد الفرس، ولاجل تحقيق اطماعهم، على نقض المواثيق والمعاهدات الدولية التي عقدوها مع العراق والعرب ولم يبرهنوا طوال تأريخهم على احترامهم لتلك المواثيق والمعاهدات اذ كانت تعقب كل غزوة اوحملة فارسية على العراق ومنطقة الخليج العربي حالة «سلام» تقرها معاهدة تحقق في الغالب جزءاً من اهداف

الفرس التوسعية. لكن هذه المعاهدة ماتلبث ان تلغى من قبل الفرس الذين كانوا يعمدون الى خلق توتر يستخدمونها لزيادة تدخلهم في الشؤون الداخلية للعراق او لمنطقة الخليج والدخول في حروب فعلية تعقبها الصيغة نفسها.

وبهذه الطريقة حصل الفرس على مكاسب اقليمية واسعة قديما وحديثا، اذ تكاد ايران تنفرد من بين دول العالم بكثرة المعاهدات التي عقدتها ثم عادت فنقضتها.

ومن امثلة هذا السلوك المناور، انهم نقضوا تحالفهم مع الكلدانيين لكي يندفعوا نحو بلاد ما بين النهرين وسورية فكانت حملتهم المعروفة على بابل سنة ٥٣٩ ق. م، وخانوا عهدهم مع ملك الحيرة النعمان بن المنذر فاغتالوه، واستغلوا ثقة الخلفاء العباسيين بهم فحاولوا اسقاط دولتهم ونخرها من الداخل، كما حاول ان يفعل ابو مسلم الخراساني والبرامكة.

وفي سنة ١٦٣٩، نجح الفرس في سلخ القسم الشرقي من ولاية السليمانية وتم تأكيد ذلك بمعاهدة (زهاب)، وفي سنة ١٨٢٠ تعرضت منطقة حلوان الى هجوم فارسي انتزع الفرس فيه الاراضي الواقعة الى جنوب المنطقة، واقر انتزاعها في معاهدة ارضروم ١٨٤٧، وضمت الاراضي الممتدة من نوسود شمالا الى شرقي مندلي وتشمل سربيل زهاب وكيلان غرب وقصر شيرين ونفط شاه وذلك بموجب اتفاقية ١٩١٣.

وفي عام ١٩١٣ استولى الفرس على اراضي جديدة ضمن منطقة دزفول ـ الشوش بالاضافة الى المحمرة وكل عربستان ومكاسب اقليمية في شط العرب كان آخرها في عام ١٩٧٥ التي عقدت في ظروف بالغة الحرج والتي لم يعترف الخميني ببنودها التي تضمن مصالح العراق فنقضها.

.. واذا كانت اطماع الفرس في الفترات السابقة قد تحققت بفعل القوة العسكرية وتحالفهم مع اعداء العرب، مستفيدين من حالات الضعف التي تمر بها الدولة في العراق والمنطقة العربية فان خميني عمد الى غطاء «تصدير الثورة الاسلامية» وكما فعل سلفه (كورش) عندما تحالف مع اليهود فدمروا بابل، تحالف خميني مع الكيان الصهيوني في محاولة لاحتلال العراق وتدمير نهضته المعاصرة، فيما يحاول في الوقت نفسه ان يثير حوادث العنف والاضطرابات الطائفية عن طريق الجالية الايرانية في الاقطار العربية، بحجة ان حكام هذه الاقطار غير مسلمين او

مناوئون للاسلام واقترنت هذه النشاطات التخريبية بسلسلة من التصريحات التي تؤكد اطماع حكام ايران في الاراضي العربية، ويكاد يشارك جميع المسؤولين في نظام خميني بهذه القناعات التي تعتبر البحرين والجزر العربية الثلاث واليمن والعراق أجزاء من ايران، مما يؤكد ان السياسات القديمة للفرس تبعث اليوم في شخص خميني تماما كما تبناها قبله الشاه المقبور.

ثالثا: ـ احتقار العرب والتعالي عليهم والاستهانة بهم:

وهذه سمة واضحة لدى الفرس قديما وحديثا ويذكر ان (نادر شاه) حين هدد باحتلال بغداد سنة ١٧٣٢ بعث اليها بخطاب جاء فيه «نحن سائرون حالا على رأس جيشنا المظفر لنتنسم هواء سهول بغداد العليل، ولنستريح في ظل اسوارها».

اما (كريم خان) فان عنجهيته دفعته الى مخاطبة امام عمان احمد بن سعيد والشيخ مهنا بن ناصر حاكم امارة (بندريف) وكأنهما حاكمان خاضعان له طالبا منهما دفع الاتاوة والا فانه سيسحق كيانهما بالقوة المسلحة.

وتكرست عنجهية الفرس واستهانتهم بالعرب في مناهج التربية والتعليم في الفترة الحديثة والمعاصرة وقد امتلأت كتب التربية والجغرافية والتأريخ بمئات الامثلة التي تحط من قدر العرب مما يؤدي الى تنشئة الاجيال الفارسية على كره العرب ومعاداتهم. ففي المرحلة الابتدائية، تضمن كتاب الاجتماعيات للصف الخامس الكثير من الاساءات الى العرب. وجاء فيه ان الحركات التي ظهرت في ايران في العصر الاسلامي كانت تهدف جميعها الى «تحرير الايرانيين من العرب» وان أبا مسلم الخراساني صمم على «ان يضع نهاية للخليفة العباسي ويريح الايرانيين بصورة قطعية من سيطرة العرب».

وفي المرحلة المتوسطة ورد في كتاب التأريخ للسنة الاولى «في مدة قصيرة استطاع العرب الجياع ان يقضوا على القوى العظيمة الايرانية والرومية»، وامعانا في اثارة الفرس ضد العرب ذكر مؤلفو الكتاب «ان العرب الضائعين استطاعوا ان يتغلبوا على الجيش الايراني العظيم والمنظم وذلك في معارك القادسية وجلولاء ونهاوند».

وهذا النص له خطورته في تسميم فكرة الناشئة، وخلق ازدواجية لديهم قائمة على

تمجيد دولة فارسية قديمة وعصر مجوسي في وقت يعرف فيه الناشئة، انهم مسلمون وان المعارك المذكورة هي امجاد اسلامية تحررت فيها شعوب ايران من الظلم والاستغلال والفكر الوثني.

هذه وغيرها من الشواهد تكشف عمق الكره الذي يحمله الفرس للعرب وتؤكد ان ما شهده العراق من حرب عدوانية شنها عليه خميني تحت اغطية الدين وتصديره ما هي الا تجسيد لنزعة العداء المتأصلة لدى الفرس تجاه العرب.

رابعا: اسباب العداء الفارسي للعرب:

وعند البحث عن اسباب العداء الفارسي للعراق والعرب، نجد ان ثمة عوامل عديدة، تفاعلت فيما بينها لتسم شخصية الفارسي بهذا النمط من العداء الدائم والتطلع للعدوان والتوسع على حساب العرب، ومن ابرز عوامل العداء الفارسي الشعور بالنقص ازاء المستوى الحضاري العظيم للأمة العربية فالفرس عندما استقروا في الهضبة الايرانية، وجدوا العراق موطن الحضارة الانسانية والابداع الانساني، بينما لم يتمكنوا هم عبر تأريخهم الطويل من تقديم اسهام حضاري مماثل وكان كل الذي فعلوه انهم نقلوا النتاج الحضاري لوادي الرافدين الى فارس، لذلك فقد اخذوا موقعهم كمتلقين للحضارة لاصانعين لها فالديانة الزرادشتية لم تكن فارسية وانما اخذوها من الميديين، ولم يجدوا ما يكتبون به كلامهم الا الكتابة المسمارية العراقية والآرامية العربية.. يضاف الى ذلك ان العرب جاءوا بالاسلام العظيم واسقطوا امبراطوريتهم الساسانية، فظلت نفوسهم تنظر الى الاسلام كعنصر غريب عنهم، وظلوا يتطلعون الى احياء الامبراطورية الساسانية.

والى جانب هذا العامل، يلعب الوضع الجغرافي دورا في دفع الفرس لمعاداة العرب ومحاولة التوسع على حساب بلادهم، فايران تتألف من بيئات جغرافية متنوعة للغاية، ففي الوسط هضبة صحراوية كبرى تمثل ٥٠٪ من مساحة البلاد بحدودها الحالية، تحيط بها مجموعة من الجبال متفاوتة الارتفاع والمناخ على هيئة عدد من السلاسل فجبال البرز في الشمال (جنوب قزوين) وزاجروس من اقصى الشمال الغربي الى نواحي الجنوب الشرقي، والمرتفعات الشرقية من الشرق «سجستان».

ان هذا الوضع الجغرافي املى على من يحكم ايران ان يعمل على توحيد ايران باخضاع المناطق المحيطة بالهضبة والتي تسكنها شعوب غير فارسية، وقد اثبت التاريخ ان حركة توحيد ايران كانت تقترن دائما بتوسع خارجي، ففي عهد الاخمينين (٥٥٨ ـ ٣٣١ ق. م) تكونت النواة التوسعية الاولى، بيد ان هذه النواة لم تتجه اولا لتوحيد ذاتها ثم للتوسع الخارجي، كما يحدث في الأمم الأخرى، وانما امتزج التوحيد الداخلي بالتوسع الخارجي، فتوسعت فارس الاخمينية باتجاه القسم الشمالي الغربي من حوافي الهضبة فضمت المملكة الميدية (٥٥٠ ق. م) ولكنها بدلا من ان تتجه شرقا لضم حوافي الهضبة الاخرى توسعت باتجاه الغرب خارج هذه الحوافي فاحتلت العراق (٥٣٩ ق. م).

ونلاحظ ان هذا السلوك العدواني ثابت لدى من يحكم ايران، اذ تكرر عبر التأريخ وكلما شعر الفرس بقدرة الاندفاع العسكري فعلوا الامر نفسه، فبعد سقوط الدولة الصفوية سنة ١٧٣٢م، كانت المهمة الاولى للسلطة الجديدة هي تحقيق الهدف ذاته بالرغم من ان سقوط الدولة الصفوية اعقبته حرب اهلية دامت عشر سنوات تمزقت خلالها ايران، ولكن السلطة الجديدة كانت تدرك جيدا، تماما كما فعل خميني اهمية اشغال شعوبها بحالة حرب جديدة، لذلك اندفعت قوات نادر شاه بغزوات متعددة وعنيفة نحو العراق والخليج العربي طيلة فترة حكمة (١٧٣٢م ـ ١٧٤٧م).. من جانب آخر استهدفت عمليات التوسع نحو الغرب باتجاه المنافذ الغربية للهضبة الايرانية السيطرة على طرق المواصلات العالمية التي تصل بين اهم منطقتين في العالمين القديم والوسيط هما البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي عبر الخليج العربي، وكان هذا يعني السيطرة على بلاد ما بين النهرين ثم مدها باتجاه المتوسط نفسه والهيمنة على سواحل الخليج العربي.

ايران المعاصرة:

والمتتبع لسياسة حكام ايران في التأريخ الحديث يلاحظ أن السياسات القديمة ظلت كما هي نفسها، وحالة العداء والحقد قائمة وترعاها الانظمة المتعاقبة فالشاه رضا والد الشاه المقبور محمد رضا ضم عربستان «الاحواز» بالتحالف مع بريطانيا

وكـان بين فتـرة واخـرى يخلق حالـة التوتر ضد العراق ليحقق مكاسب اقليمية جديدة وكانت ايران الدولة الوحيدة في العالم التي اعترضت على جعل العراق دولة مستقلة، كمـا كانت الـوحيـدة التي اعتـرضت على تشـريع العراق لقانون الخدمة الالزامية!! وهدفها من ذلك ان يبقى العراق جزاء من دولة آخرى كما كانت حاله في ظل الدولة العثمانية ليسهل عليها اقتطاع اجزاء من اراضيه بطريقة القضم :-

اما الشـاه ابنـه، فقـد نقض اتفـاقيـة ١٩٣٧ وأمـد مصطفى البـارزاني بالاسلحة لاضعـاف العـراق والمسـاومـة معـه على تحقيق مكـاسب اقليمية جديدة في ارضه، وكـانت اتفـاقيـة ١٩٧٥ التي عقدت في ظروف حرجة جدا محاولة لوقف عملية دعم ايـران للبـارزاني، وعندما جاء خميني نقض اتفاقية ١٩٧٥، واستخدم شعار «تصدير الثـورة» للتعبيـر عن الاهـداف التـوسعيـة نفسهـا وشن الحرب على العراق باسم هذا الشعار وتسلم الاسلحة من الكيان الصهيوني كما فعل كورش، من قبله.

يؤكـد هذا العـرض ان حكـام ايـران، مدفـوعين بعوامل مختلفة، يناصبون الأمة العـربيـة العداء، وانهم متى امتلكوا القدرة العسكرية، وكان العراق والعرب في حالة ضعف او تمـزق حاولـوا تحقيق مكاسب اقليمية، وانهم على استعداد دائم للتحالف مع كل اعداء العرب لتحقيق اطماعهم.

وهـذه الحقيقـة تضـع العـراق والعـرب جميعا امام خيار لابديل عنه وهو بناء القوة الـذاتيـة بشكـل مستمـر والعمـل لتحقيق الـوحدة العربية لان السبيل الوحيد لايقاف اطمـاع ايـران وجعلهـا تعيـد النظر في سياستها العدوانية وتقبل باقامة علاقات حسنة تنسجم مع واقع الجيرة هو بناء القوة الذاتية.

وامـامنـا معـركـة القـادسيـة الثـانية التي يقاتل رجالها للسنة الخامسة وهم يلقنون الفرس دروساً لن ينسوها لقد استهدفوا في عدوانهم احتلال العراق كبوابة شرقية قوية للوطن العـربي ليتسللوا بعـد ذلـك الى منطقـة الخليج العربي والجزيرة العربية والى سوريـة ولبنـان والاردن، ويشـاركوا الولايات المتحدة والكيان الصهيوني مهمة تفتيت المنطقـة واثـارة الصـراعـات الطائفية بين ابناء الأمة الواحده»وبذلك تتاح لهم فرصة فرض الهيمنة على الأمة العربية.

لقـد اثبت الجيش العـراقي البـاسـل والشعب العراقي العظيم بقيادة الرفيق القائد صدام حسين، انهم بحق احفـاد اولئـك الابطـال اجدادهم العظام الذين لقنوا الغزاة

دروسا حفظها التأريخ بكل تقدير، امثال قادة معركة ذي قار والقادسية ضد الفرس واليرموك ضد الرومان ومعارك العرب ضد الغزاة الآخرين.

خلاصة

«الصراع العربي الفارسي»

اولا: ـ تؤكد وقائع واحداث التأريخ القديم والحديث ان علاقات الفرس بالعرب اتسمت دائما بروح العداء والنزعة التوسعية على حساب اراضيهم وسيادتهم، والرغبة الشديدة للسيطرة عليهم واذلالهم والانتقاص من مكانتهم الحضارية، ودورهم الانساني.

ثانيا: ـ ابرز مظاهر العداء الفارسي للعرب تتلخص في: ـ

١ ـ العدوان العسكري المسلح على الارض العربية منذ فترة ما قبل التأريخ وحتى الآن فكلما توافرت لديهم القدرة العسكرية وكانت دولة العرب ضعيفة أو مجزأة اندفعوا نحو الارض العربية غزاة مدمرين لكل شيء فعلوا ذلك بالدولة البابلية وشرق الجزيرة العربية وبالعراق قبل الميلاد ومع الدولة العباسية بعد الاسلام وضد العراق والخليج في التأريخ الحديث والمعاصر.

٢ ـ نقض المواثيق والمعاهدات الدولية التي عقدوها مع العرب ففي كل مرة يلجأون الى نقض المواثيق والمعاهدات من اجل تحقيق توسع جديد، ويعقدون اتفاقية جديدة تؤمن لهم مكاسب اقليمية في الارض العربية، وتكاد ايران من هذه الناحية تنفرد بين دول العالم بكثرة المعاهدات التي عقدتها ثم عادت فنقضتها.

٣ ـ احتقار العرب والتعالي عليهم والاستهانة بهم وتنشئة الاجيال والناشئة من الفرس على هذه الروح المعادية ووضعها في كتبهم ومناهجهم الدراسية لمختلف

المراحل، ويصل حقدهم الى حد تشويه الاسلام واعتباره عدوانا واحتلالا لايران وليس تحريراً وانقاذا.

ثالثا: ـ ان العداء الفارسي للعرب، يرجع الى اسباب عديدة منها الشعور بالنقص الحضاري تجاه العرب، ذلك ان العرب اصحاب أول حضارة وهم الذين اخترعوا الكتابة وبنوا المعالم الحضارية الشامخة في حين كان الفرس متلقين للحضارة لاصانعين لها مما جعلهم يتطلعون دائما الى تدمير المراكز الحضارية في الوطن العربي ومافعلوه في بابل يحاولون ان يفعلوه الان مع العراق في ظل قيادة البعث وفي طليعتها الرفيق القائد صدام حسين.

والى جانب هذا، هناك العامل الجغرافي لايران الذي يجعلها تتطلع للتوسع نحو الارض العربية باستمرار بسبب خيراتها وثرواتها ولاطلالها على البحر الابيض المتوسط والخليج العربي، كما ان تكوين ايران من عدة قوميات يجعلها باستمرار معرضة للتفكك وعبر التأريخ كانت تلجأ لمواجهة حالات التفكك والتمزق الداخلي بالعدوان والتوسع الخارجي في وقت واحد وهو مانشهده يتكرر في الوقت الحاضر في عهد خميني.

رابعا: ـ الحقيقة الثانية التي اكدها التأريخ، هي ان ايران تتطلع للتوسع والعدوان على الارض العربية، وان الحل الوحيد الذي يضع ايران ضمن حجمها الحقيقي هوسعي العرب لبناء دولة الوحدة القوية التي تجعل ايران وغيرها، ترتدع عن التفكير بالعدوان.. كما ان بناء العراق القوي المتطور كما يجري الآن في ظل قيادة الرفيق صدام حسين وكما برهن على ذلك جيشنا الباسل هو الحل المجدي لدحر العدوان الفارسي.

٣- الصراع العربي الصهيوني

اولاً :- تمهيـــد

يرتبـط الصـراع العـربي - الصهيـوني بالقضيـة الفلسطينيـة أسـاسـا وهو واحد من الصراعات الرئيسية التي تواجهها الأمة العربية في تأريخها الحديث، الى جانب الصراع مع القوى الاستعمارية، والصراع العربي الفارسي.

ومـع ان واقـع هذه الصـراعـات متـداخـل ومتشابك في عناصره ومكوناته، وتعمل اطـرافـه من اعـداء العـرب، بتعـاون وتنسيق مستمـرين فيـما بينها، لتحقيق مزيد من الضعف والتمزق للأمة العربية، الا ان الصراع مع الصهيونية ومحوره المركزي القضية الفلسطينية يعتبر اكثر حدة ومصيرية من الانماط الاخرى للصراع المعادي للعرب، لأن هذا الصراع يستهدف الوجود العربي ارضا وشعبا وتأريخا.

وقـد بدأ هذا الصـراع بفلسطـين وشعب فلسطين، فاقام الصهاينة كيانهم العدواني العنصري على ارضها وطردوا شعبها، وهم يسعون لابتلاع المزيد من الارض العربية تحقيقا لحلمهم التوسعي بالهيمنة على الارض العربية من الفرات الى النيل.

الجذور التأريخية للصراع العربي الصهيوني:

تعود الجذور التأريخية للصراع العربي الصهيوني الى اواخر القرن التاسع عشر، اي الى عام ١٨٩٥، اذ نشـر الصحفي النمسـاوي (تيـودور هرتزل) كتابه المعنون «الدولة اليهـوديـة» وبـين فيه ان خلاص اليهود في العالم، مما يعانونه من «اضطهاد» وتشرد، لن يتحقق الا بالهجرة من البلدان التي يعيشون فيها الى ارض جديدة يبنون عليها الدولة اليهـوديـة، ولم يحدد هرتـزل هذه الارض واكتفى بأن قال «يكفي ان يعطـونـا قطعة من الارض تتناسب مع حاجات شعبنا تكون لنا السيادة عليها».

وفي عام ١٨٩٧ ، عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل بسويسرا ، وحضره اكثر من (٢٠٠) شخصية تمثل المنظمات اليهودية في مختلف انحاء العالم ، واتخذ المؤتمر قرارا بان تكون فلسطين هي «الوطن» الذي يجب ان تصب جهود يهود العالم جميعهم من اجل تحقيقه .

واقر المؤتمر ايضا القيام بمساع لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتها على اهداف الحركة الصهيونية هذه .

وقد بذل مؤسسو الحركة الصهيونية وقادتها جهودا مستمرة لاقناع الدول الغربية بتبني مشروعهم لاستيطان فلسطين فحاولوا اقناع الامبراطور الالماني ، وفعلوا مثل ذلك مع السلطان العثماني ، دون أن ينجحوا ، الا انهم تمكنوا من اقناع الحكومة البريطانية بالمشروع ، بعد ان حذروها من مخاطر قيام دولة عربية موحدة في المنطقة تسيطر على قناة السويس وتهدد طريق بريطانيا الى الهند التي كانت افضل مستعمراتها انذاك .

وهكذا وافق مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ الذي دعا اليه حزب المحافظين البريطاني على توصية رفعها الى حزب الاحرار الحاكم آنذاك تقول «ان اقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط اوربا بالعالم القديم ، ويربطها بالبحر الابيض المتوسط ، بحيث تقام في المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة عدوة لشعوب المنطقة وصديقة للدول الاوربية ومصالحها ، هي التعبير العملي للسبل والوسائل المقترحة» .

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى ، استغل الصهاينة ظروف الحرب ومصاعب بريطانيا خلالها ، واستطاعوا الحصول من حكومة بريطانيا على الوعد المشؤوم الذي سمي «وعد بلفور» في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ والذي تعهدت الحكومة البريطانية بموجبه باقامة «وطن قومي لليهود في ارض فلسطين» .

ولاجل احاطة الوعد البريطاني بضمانة دولية تقدمت الحركة الصهيونية الى مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام ١٩١٩ والذي كانت مهمته توزيع المستعمرات بين الدول المنتصرة في الحرب ، تطلب منه الاعتراف بوعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

وقد وافق المؤتمر بالفعل واصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وتعاونت الحكومة البريطانية مع الحركة الصهيونية لتسهل لها عملية استيطان فلسطين وطرد

شعبها منها عن طريق تشجيع الهجرة اليهودية من انحاء العالم الى فلسطين وبناء المستوطنات وتزويد العصابات الصهيونية بالاسلحة والاعتدة وفي الوقت نفسه فرض القيود الصارمة على الشعب الفلسطيني، ومنعه من مقاومة عملية الاستيطان وحظر السلاح عليه.

لم يقف الشعب الفلسطيني والشعب العربي عموما مكتوف الايدي امام مخطط تهويد فلسطين، بل قاوم هذا المخطط بكل الوسائل التي كانت متاحة له آنذاك، فنظم التظاهرات وقدم مذكرات الاحتجاج، وحضر المؤتمرات الدولية للحصول على التأييد الدولي للحق العربي الفلسطيني في ارض فلسطين، كما قام بثورات عنيفة كان اشهرها واكثرها قوة واتساعا ثورة ١٩٣٦، مما اجبر بريطانيا على ارسال لجنة للتحقيق في مطالب الشعب الفلسطيني سميت «لجنة بيل».

وقد اقترحت اللجنة المذكورة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ولما رفض العرب اقتراح التقسيم حولت بريطانيا القضية الى الأمم المتحدة، وقدمت هذه الاخيرة بعد ان شكلت لجنة لدراسة المسألة، اقتراحين، احدهما يدعو الى تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ويقضي الثاني باقامة حكومتين مستقلتين استقلالا داخليا تتألف منهما دولة اتحادية عاصمتها القدس.

وفي ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية، وفي ليلة ١٥ آيار ١٩٤٨، غادر المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا معلنا نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين في الوقت الذي اعلن فيه بن غوريون امام اعضاء المجلس اليهودي عن قيام دولة «الكيان الصهيوني».

ومن الواضح، ان تطور القضية الفلسطينية على هذا النحو كان ثمرة للتواطؤ بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية والحكومات الغربية الآخرى، كما ان اتخاذ الامم المتحدة لقرار التقسيم كان يعكس هو الاخر التواطؤ الدولي ضد العرب فالأمم المتحدة كانت تسيطر عليها الدول الاستعمارية، كما كان الاتحاد السوفيتي هو الاخر مع قرار التقسيم، وكان من اوائل الدول التي اعترفت بكيان الدولة الصهيونية في فلسطين.

لقد رفض العرب قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، لأنه لايملك اي أساس من المشروعية والحق، فارض فلسطين وعبر التأريخ ارض عربية عاش فيها اليهود كطائفة

دينيـة لها حريـة العبـادة وعوملت على قدم المساواة مع السكان العرب، بالاضافة الى ذلـك فان قرار التقسيم اعطى لليهـود ٥٦,٤٪ من الارض الفلسطينيـة في حين كانـوا يشكلون آنذاك ٧,٥٪ من سكانها.

وقبيـل اعـلان قيـام الـدولـة الصهيونية على ارض فلسطين، تداعت دول الجامعة العـربيـة لمواجهـة المـوقف الخطـير، فقـررت دخـول الجيـوش العـربية ارض فلسطين لتـحـريـرهـا، فكـانـت حرب عام ١٩٤٨، الـتي تخللهـا كثـير من الضغوط الدولية على العرب، ومساومات من بعض الحكام العرب، فانتهت الى وقف القتـال واعـلان الهـدنـة بين «الكيـان الصهيوني» والدول العربية، ولكن بعد ان حقق «الكيـان الصهيـوني» توسعـا جديـدا على حسـاب الارض المخصصـة للشعب الفلسطيني، فاصبح يسيطر على اكثر من ٧٧٪ من ارض فلسطين بانتهاء حرب عام ١٩٤٨.

ثانياً: تطور الصراع العربي ـ الصهيوني:

واجه الشعب العربي نتائج حرب عام ١٩٤٨ التي ادت الى ضياع جزء جديد من ارض فلسطين بالاستنكار والاحتجاج، وادانة الانظمة العربية الحاكمة آنذاك، فقامت التظاهرات والاحتجاجات واصبحت قضية تحرير فلسطين الهدف الاول لكل العرب، وكان من ابرز ردود الفعل على نكبة عام ١٩٤٨ قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢، بقيادة جمال عبد الناصر، كما قامت عدة انقلابات عسكرية في سورية واغتيل الملك عبد الله في الاردن وحدثت انتفاضات شعبية عارمة في العراق وبقية الاقطار العربية، ساهم حزبنا فيها على نطاق واسع.

وقـد حظي الكيـان الصهيوني بعد قيامه، بدعم ورعاية الدول الاستعمارية، فامدته بالمسـاعـدات الاقتصـادية، وقدمت له الاسلحة المتطورة ووقفت الى جانبه في المحافل الـدوليـة، وضـد الـرأي العام الذي بدأ يستفيق على هول الجريمة التي ارتكبت بحق الشعب العربي الفلسطيني وطرده من ارضه.

وادى اغتصـاب فلسطـين من جانب آخـر الى حدوث نهضـة قومية شاملة في عموم الـوطن العـربي واصبحت الجـماهـير العـربيـة تضغط يوميا على حكامها وتشتبك مع

الاجهزة القمعية وهي تطالب بالتحرير، وبدأت تلوح في الافق علامات الانتصار، فحزبنا الذي حذر وفي وقت مبكر، من نتائج المخطط الصهيوني الاستعماري، وضرورة مجابهته بالحديد والنار، قد اصبح مع مطلع الخمسينات قوة ثورية لها تأثير فاعل في عدد من الاقطار العربية.

واخذت الثورة المصرية وبتأثير عقيدة حزب البعث العربي الاشتراكي القومية تنهج نهجا قوميا تحرريا وكان كل ذلك يبشر ببدء مرحلة جديدة من نضال العرب، ضد الكيان الغاصب، وضد حلفائه من القوى الاستعمارية كما كان يبشر بتحرير الوطن العربي بأجمعه، وتحقيق وحدته والقضاء على المصالح الاستعمارية في الوطن العربي وتصفيتها.

ولمواجهة هذا التطور في الوضع العربي، ومنع مصر من بناء نفسها كقوة عربية متطورة، قامت بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني بعدوانهم الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ في محاولة لاحتلالها، ولكن العدوان باء بالفشل امام بطولة الشعب العربي في مصر.

ادرك العرب بعد العدوان الثلاثي على مصر ان لا سبيل امامهم لمواجهة الخطر الصهيوني وتحرير فلسطين، الا بتحقيق الوحدة بينهم. وكان حزبنا في طليعة القوى التي اكدت ارتباط قضية التحرير بالوحدة العربية وبالنهوض الحضاري وامتلاك مقومات التقدم والقوة العصرية.

وهكذا كان حزبنا وعمله النضالي هو الدافع الاساسي لوحدة مصر وسورية عام ١٩٥٨ ولميثاق ١٧ نيسان بين مصر وسورية والعراق في عام ١٩٦٣.

لقد شهدت فترة الخمسينات واوائل الستينات نهوضا قوميا شاملا وكان من ابرز معالمه انتصار الثورة الجزائرية عام ١٩٦١ وثورة اليمن عام ١٩٦٢ وقيام ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان) عام ١٩٦٣ في العراق و٨آذار ١٩٦٣ في سورية.

وقد وجدت الصهيونية والقوى الامبريالية في هذه التطورات خطرا يهدد وجودها ومصالحها في المنطقة العربية، لذلك فقد عملت مجتمعة على اجهاضها واثارة الانقسامات والصراعات بين الاقطار العربية، فتآمر عملاؤها على دولة الوحدة وقاموا بالانفصال وعلى ثورة ٨ شباط واسقطوها، وانحرفت ثورة ٨ آذار في سورية بحدوث ردة ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ وانعزلت ثورة الجزائر داخل اطارها القطري وتعثرت ثورة

اليمن . وساد جو من التناحر داخل الصف العربي مما صرف الانظار عن الاعداد للمعركة الرئيسية ضد العدو الصهيوني .

لقد استغل العدو الصهيوني هذا المناخ فقام بعدوانه الغادر في ٥ حزيران ١٩٦٧ ، وتمكن من خلاله من احتلال ما تبقى من ارض فلسطين وسيناء والجولان .

واراد من عدوانه هذا اخضاع الجماهير العربية لحملة نفسية تجبرها على الاستسلام والاعتراف به والصلح معه ، ولكن الجماهير لم تخلد لليأس والاستسلام ، فاخذت تلح على حكامها بضرورة المجابهة والقتال لتحرير الارض العربية وجعلت مسألة استمرارهم في الحكم مستحيلة بدون شن معركة ضد الاحتلال الصهيوني .

وكان اول رد فعل على هزيمة حزيران ١٩٦٧ قيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ التي فجرها حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي اعتبر القضية الفلسطينية ، ومنذ تأسيسه ، وعبر مراحل نضاله المختلفة ، قضية مركزية في النضال العربي ، ترتبط ارتباطا كليا ، وعلى اعمق واخطر مستوى بنضال الأمة العربية في سبيل التحرر والوحدة وبناء الاشتراكية .

لقد كان هدف الحزب الرئيسي هو بناء دولة البعث المتطورة القومية لكي تساهم في عملية التحرير مساهمة فعالة واكيدة .

وتحت ضغط الجماهير العربية قامت حرب تشرين ١٩٧٣ ، ولم يكن العراق على علم بها ، ومع ذلك اتخذت قيادة الحزب والثورة قرارا بالمشاركة في الحرب وعلى نطاق واسع فقاتل الجيش العراقي الباسل قتالا بطوليا وتمكن من انقاذ دمشق من السقوط بيد القوات الصهيونية . .

ولقد كان من الممكن ان تكون حرب تشرين بداية حرب التحرير الشاملة الا ان تواطؤ نظامي حافظ اسد والسادات مع القوى الامبريالية ولجوءهما الى الحرب المحددة النتائج ، أضاع الانتصار النسبي لحرب تشرين فوقع النظامان اتفاقات فك اشتباك القوات الواحد بعد الآخر . وبينما مضى السادات في طريق الاستسلام الى النهاية ، فزار القدس عام ١٩٧٧ وارتكب بذلك اكبر جريمة في التأريخ العربي الحديث ووقع بعد ذلك مع العدو الصهيوني على اتفاقيتي كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ومعاهدة الصلح عام ١٩٧٩ ، كان حافظ اسد من جانبه ، يدخل عملية التسوية مع العدو الصهيوني من خلال لعبة وقف اطلاق النار وتجديده كل ستة اشهر اعتبارا من عام ١٩٧٣ .

ثالثاً: ابعاد الصراع العربي ـ الصهيوني:

اكتسب الصراع العربي ـ الصهيوني طابعا مركزيا وحضاريا بسبب طبيعة اطرافه والاهداف التي يسعي كل طرف الى تحقيقها، فهو صراع مركزي، لان حسمه لصالح اي من اطرافه يتطلب خوض معارك وصدامات واتباع سياسات على مستوى الامة بالنسبة للعرب وعلى مستوى المجتمع برمته بالنسبة للكيان الصهيوني في اطار تحالفه مع القوى الامبريالية، وهو صراع حضاري، لانه بالنسبة للعدو الصهيوني استئصال الهوية العربية، وتحجيم الوجود العربي لا في ارض فلسطين، فحسب، بل في الوطن العربي برمته، اما بالنسبة للعرب فان حسمه لصالحهم يعني خلاصهم ووحدتهم وتحررهم ونهوضهم الانساني الشامل.

من هنا نلاحظ ان العدو الصهيوني بدأ في اعقاب حرب تشرين ١٩٧٣، التي وجهت له ضربة عسكرية قوية، هزت مقومات مجتمعة، يلقي بكل ثقله وثقل حلفائه المستعمرين من اجل تطويق القوى العربية واحتوائها ودفعها الى طريق تحقيق الصلح والاعتراف المتبادل بينه وبين العرب.

ولقد اختار العدو مصر في عهد السادات باعتبارها تمثل الثقل الاستراتيجي الاول في المواجهة العسكرية معه، ونجح في تجميد دور مصر في الصراع عبر معاهدة الصلح لعام ١٩٧٩، وتفرغ لتجميد او تحييد بقية دول المواجهة الاخرى، فغزا لبنان وفرض على نظامه اتفاقية ايار ١٩٨٣ «الملغاة» وكانت اكثر تقييدا للبنان من اتفاقيته مع السادات، وفرض على المقاومة مغادرة بيروت، ورفض التفاوض او الاعتراف بمنظمة التحرير، وهدفة النهائي هو تصفية المقاومة الفلسطينية عسكريا، ليسهل عليه بعد ذلك تصفيتها سياسيا فتطوى حسب تقديره قضية فلسطين الى الابد.

اما نظام اسد، فقد دخل مع الكيان الصهيوني في اتفاقية فك الاشتباك عام ١٩٧٥، وفي لعبة تجديد وقف اطلاق النار كل ستة اشهر منذ ذلك التأريخ، وفي الوقت المناسب سيدخل في اتفاقية صلح واعتراف على غرار ما فعل السادات والنظام اللبناني.

ولاكمال المخطط الصهيوني ازاء الامة العربية والقضية الفلسطينية، وبالتعاون مع الولايات المتحدة، شجع العدو التنظيمات الطائفية وامدها بالسلاح، ولعب دورا

خطيرا في احداث لبنان والحرب الاهلية اللبنانية، من اجل تأجيج الفتن الطائفية، والتمهيد لتقسيم لبنان الى دويلات طائفية تكون بمثابة السياج حوله والحاجز بينه وبين بقية الاقطار العربية، ولم يقتصر هدف التقسيم الطائفي على لبنان، بل هو يهدد كلا من سورية ومصر والعراق والخليج العربي، واقطار المغرب العربي.

بهذا المخطط وعبر التحالف مع الاستعمار، يطمح العدو الصهيوني، الى تحييد دول المواجهة، واخراجها من دائرة الصراع، وتفتيت الاقطار العربية الاخرى، واذكاء الخلافات بين الانظمة، وبذلك يستطيع اختراق المنطقة العربية اقتصاديا والتأثير فيها ثقافيا وابتلاعها جزءا بعد اخر.

رابعاً: المواجهة العربية للمخطط الصهيوني:

ان ابعاد الصراع العربي - الصهيوني هذه لاتدفعنا من وجهة النظر الصهيونية الى التسليم بان العدو قادر على تنفيذها جميعها، وانه لاسبيل الى مقاومتها، صحيح انه حقق بعض اهدافه، وجمد دور مصر، وغزا لبنان ووجه ضربة قوية للمقاومة الفلسطينية، الا انه بالمقابل استثار عوامل مضافة لصالح العرب في النضال ضده.

لقد ادرك العرب جميعهم بما فيهم من تطلق عليهم صفة المعتدلين، وكذلك الانظمة التي دخلت في صلح او اتفاقيات معه، ان الكيان الصهيوني، كيان عدواني توسعي بطبيعته، وانه غير راغب في السلام، ويعمل من اجل احتواء المنطقة بغض النظر عن طبيعة انظمتها، وهذا بحد ذاته يشكل اساسا لمقاومة المخطط الصهيوني، واحباط حلقاته الواحدة بعد الاخرى، تمهيدا لتحرير فلسطين نهائيا من دنس الاحتلال والاغتصاب.

فاذا كان الضعف في الوضع العربي والتمزق هما اللذان ساعدا القوى المعادية على تحقيق بعض اهدافها، فان هذا الوضع، قد افرز تجارب ثورية عظيمة تقف في مقدمتها تجربة الحزب في القطر العراقي، هذه التجربة التي احبطت كل المؤامرات التي استهدفت تعطيلها، واستطاعت ان تبني العراق كقوة ضاربة في المنطقة، تؤثر بشكل واضح في ميزان القوى، واكدته بخوضها حربا ضروسا ضد عدوان ايران مدة خمس سنوات، وهي اكثر قوة مما كانت عليه في بداية الحرب.

ان مواجهة المخطط الصهيوني تتطلب حدا ادنى من الاسس والشروط، وبتوافرها

تتمكن الامــة العــربيــة من دحــر العـدوان الصهيـوني ، وتحـريـر الاراضي المحتلة والمغتصبة، وفي مقدمة هذه الاسس والشروط : ـ

(١) الـرفض المبـدئي الحـازم لفكرة الصلح مع العدو او الاعتراف به . ويتطلب ذلك بذل كل الجهــود وبمختلف السبــل لتمتين المـوقف العـربي وعلى المستـوى الشعبي في مصر ولبنان وسوريا بشكل خاص وفي عموم الوطن العربي بشكل عام .

(٢) العمل على اقامة جبهة قومية على صعيد الوطن العربي كله، تضم جميع قوى الصمود والمقاومة والوحدة والتحرير. يقوم ميثاقها على فهم موحد وعميق لطبيعة التحـدي الاستعمـاري الصهيـوني ، وضـرورات ومستلزمـات ومـراحل الصمود بوجهه، والتغلب عليه واستثمار هذا الصمود في نهضة الأمة العربية وتوحيدها .

(٣) العمــل بكــل الـوسـائـل لتقوية اواصر الوحدة بين الجماهير العربية وبين الاقطار العربية على كل صعيد وبكل الاشكال الممكنة .

(٤) وضع خطط مركزية للتحرير تستوعب ابعاد الصراع الدولية والاقليمية ، وتستهدف ضرب المخطط الاستعماري . . الصهيوني في حلقاته الضعيفة، ومن شأن ذلك ان يعبيء الجماهير العربية لهدف التحرير والوحدة خاصة وان الجماهير بطبيعتها رافضة للحلول الاستسلامية والتصفوية .

(٥) تحقيق تنميـة عصـريـة متطورة وفق مقتضيات النهج الاستقلالي ووضع الثروات العربية والنفطية خاصة، في خدمة هذا الهدف والاهتمام ببناء القاعدة الصناعية الواسعة للانتاج العربي .

(٦) تعـزيـز العـلاقـات السيـاسيـة والاقتصادية مع بلدان العالم الثالث والوقوف الى جانب قضاياها العادلة في المحافل الدولية .

(٧) تحقيق اواصـر الصـداقـة والتعـاون مع شعـوب العـالم ودوله بما يخدم قضاياها القومية والتحررية .

ان هذه الاسس والشــروط تشكـل الحـد الادنى الـلازم لاحبـاط المخطـط الصهيوني ـ الاستعماري ، وانتقال العرب من الدفاع الضعيف المشتت الى حالة الهجوم القومي المتماسك .

ولقد كان الحزب مبادرا الى طرح المشاريع والمبادرات الواقعية والعملية التي

تحقق هذه الشـــروط، ونجـح في قمـة بغـداد عام ١٩٧٩ ـ في تحقيق حالـة من التضـامن العـربي، تمكنت من تطـويق استسـلام السـادات، وعزل نظامه ومنع التحاق انظمة اخرى به كما عرض على سورية، ان يكون العراق وسورية ساحة مشتـركـة لمـواجهـة العدو، تضع كل قدرتها العسكرية والبشرية والاقتصادية في مواجهة العدو.

ان العرب رغم كل ما يحيط بوضعهم الراهن من صعوبات وتحديات قادرون على تجاوز ظرفهم العصيب، وقادرون على امتلاك عوامل القوة الفاعلة، ومهما حقق العـدو الصهيـوني من نجـاح، فانه يظل محكوما في المدى المنظور بتنامي القـدرة العـربيـة بشكـل يفقـده اي تفـوق مركزي على العرب. . فعلى الصعيد البشري، سيكون للعرب ارجحية على العدو لان تفوقه النوعي بدأ يضعف، في حين اكتسب العرب هذا التفوق النوعي، وعلى الصعيد الاقتصادي يعتمد العدو على المساعدات الخارجية. . ومهما كانت عواطف الدول التي تساعده فستجد يوما ان هذه المساعدات تشكل عبئا عليها، وان مصلحتها مع العرب وليس مع العدو.

امـا عسكـريـا فقد اصبح لدى العرب تجارب قتالية عظيمة الاهمية خاصة ما اكتسبـه الجيش العـراقي البـاسل من خبرات غنية ومتنوعة في حربه ضد العدوان الفـارسي، وكمـا عبـر الرفيق المناضل صدام حسين فأن الكيان الصهيوني الذي شجع نظام خميني على استمرار الحرب ومده بالاسلحة، سيندم على ذلك لان استمـرار الحـرب منـح الجيش العـراقي فرصـة ثمينـه لاكتساب الخبرات وتنمية الطـاقـات في مجـرى حرب نظـاميـة تستخـدم فيها احدث الاسلحة وعلى مدار خمس سنـوات. . وسيكـون لحـرب العـراقيين دور تأريخي في ضرب المخطط الصهيـوني ـ الاستعمـاري في الوطن العربي، ذلك ان الحرب بالنسبة للعرب، وكمـا تؤكـد ادبيـات البعث هي المطهـر والمـوحـد، فالعـرب موحـدون اقـويـاء في المعـركـة متنـافـرون مستضعفـون يسهـل استفـرادهم بدونها، وهم مجـابهـون معـادون للامبريالية والصهيونية اذلاء تابعون في حالة الانصراف عن خوضهـا، وهم مسيطـرون على انفسهم ومواردهم اثناءها مفرطون مسترخون في غيـابهـا. . في المعـركـة يتصـل حاضـر العـرب بتـاريخهم المجيد ومستقبلهم

الطموح، وفي غيابها تتقوقع الطبقات ضمن اسوار حدود اقطارها المصطنعة وافاقها الاستهلاكية السخيفة وتخلفها الثقافي الحضاري .

ملخص موضوع

* الصراع العربي - الصهيوني *

اولا : ان الصراع العربي - الصهيوني ، مرتبط في الاساس بالقضية الفلسطينية ويعتبر اكثر خطورة من غيره من الصراعات التي تخوضها الامة العربية .

ثانيا : تعود جذور الصراع العربي - الصهيوني الى عام ١٨٩٥ عندما اعلن (تيودور هرتزل) ان خلاص اليهود من العذاب ومن معاداة العالم لهم يكمن في ارض يبنون عليها دولتهم .

ثالثا : : ونتيجة لظروف بريطانيا في الحرب العالمية الاولى تمكن الصهاينة من استغلال تلك الظروف والحصول من حكومة بريطانيا على وعد بلفور المشؤوم الذي يقضي (باقامة وطن قومي لليهود في ارض فلسطين) .

رابعا : : قاوم العرب والفلسطينيون بخاصة الهجرة اليهودية الى ارض فلسطين بعد الحرب العالمية عندما وضعت فلسطين تحت الانتداب وقاموا بثورات عديدة وعنيفة اشهرها ثورة عام ١٩٣٦ .

خامسا : : في ١٥ آيار ١٩٤٨ اعلن بن غوريون امام اعضاء المجلس اليهودي عن قيام الكيان الصهيوني في نفس اليوم الذي غادر فيه المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا، منهيا بذلك الانتداب البريطاني على فلسطين مسلما اياها للصهاينة .

سادسا : : ازاء قيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين قرر العرب الدخول بمعركة لتحرير ارض فلسطين من دنس الصهاينة فكانت حرب ١٩٤٨ التي رافقتها ضغوط دولية وانتهت الى وقف القتال واعلان الهدنة .

سابعا : : كان قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢ بقيادة جمال عبد الناصر من ابرز ردود الفعل على نكسة عام ١٩٤٨ .

ثامنا: في بداية الخمسينات تزايد نفوذ حزبنا وقوته في عدد من الاقطار العربية وبدأت مرحلة جديدة من النضال العربي ضد الكيان الصهيوني، الا ان ذلك لم يرض الدوائر الاستعمارية، ولمواجهة هذا التطور في الوضع العربي قامت كل من بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني بالعدوان الثلاثي على مصر.

تاسعا: بعد العدوان الثلاثي ادرك العرب ان الوحدة هي السبيل الوحيد لمواجهة الخطر الصهيوني وتحرير فلسطين، وكان حزبنا في طليعة القوى التي دعت الى الوحدة، وقد شهدت هذه الفترة نهوضا قوميا شاملا تجلى في ثورة الجزائر عام **١٩٦١** وثورة اليمن عام **١٩٦٢** وثورة ٨ شباط **١٩٦٣** في العراق وحركة اذار **١٩٦٨** في سوريا.

عاشرا: اجهضت الصهيونية والقوى الامبريالية هذا التطور لانهارات فيه تهديدا لوجودها ومصالحها في المنطقة وامام جو من التناحر داخل الصف العربي قام الكيان الصهيوني بعدوان ٥ حزيران **١٩٦٧** محتلا بذلك اراضي جديدة في فلسطين والجولان، وسيناء.

حادي عشر: كان اول رد على هزيمة حزيران هو قيام ثورة ١٧ - ٣٠، تموز **١٩٦٨** بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يعتبر قضية فلسطين قضية مركزية في النضال العربي.

ثاني عشر: وحين قامت حرب تشرين قررت القيادة المشاركة فيها تلبية لنداء الواجب، وقاتل الجيش العراقي قتالا بطوليا وحمى دمشق من السقوط، وكانت حرب تشرين حربا محددة الاهداف فلقد زار السادات القدس ووقع معاهدة الصلح مع الكيان الصهيوني **١٩٧٩** ودخل اسد التسوية من باب اخر هو وقف اطلاق النار وتجديده كل ستة اشهر.

ثالث عشر: يكتسب الصراع العربي - الصهيوني طابعا مركزيا وحضاريا لانه يستهدف محو الهوية العربية وتحجيم الوجود العربي لا في ارض فلسطين، فحسب، بل في الوطن العربي باسره.

رابع عشر: نجح العدو الصهيوني في تجميد دور مصر في الصراع العربي الصهيوني وتفرغ لتجميد دول المواجهة وتحييدها واخراجها من دائرة الصراع.

خامس عشر: يجب عدم التسليم بان العدو الصهيوني قادر على تنفيذ جميع

مخططاته انه كيان عدواني توسعي وغير راغب في السلام، لذا يجب احباط مؤامراته الواحدة بعد الاخرى تمهيدا لتحرير فلسطين.

سادس عشر: ان توافر حد ادنى من الاسس والشروط من شأنه اتاحة مواجهة المخطط الصهيوني بنجاح ودحر العدوان وتحرير ارض فلسطين من دنس الاحتلال والاغتصاب.



٤ـ حركة عدم الانحيـــاز

أولاً: تمهيد:

نشأت حركـة عدم الانحيـاز في اعقـاب الحـرب العـالميـة الثـانيـة، وتبلور اطـارها التنظيمي في مؤتمـر بانـدونـغ سنـة ١٩٥٥ . . وقـد تعـددت منابع نشأتها، كما تعددت تسميـاتهـا في اول ظهـورهـا فسميت «الحياد الايجابي» في ادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي في الاربعينات ١٩٤٧، وسميت (عدم الانحياز) لدى بعض الدول.

ويمكن ارجـاع منـابـع الحـركة الى تجربة حركة الثورة العربية، ممثلة بحزب البعث العربي الاشتراكي، اذ استخدم تعبير (الحياد الايجابي) لوصف موقفه من المعسكرين الدوليين اللذين ظهرا بوضوح بعد الحرب العالمية الثانية، المعسكر الغربي (الرأسمالي) والمعسكـر الشـرقي (الشيوعي)، كذلك يمكن ارجاع الحركة الى التجربة اليوغسلافية (١٩٤٨)، التي اختـارت الطريق الاشتراكي (الماركسي) ورفضت الطريق الرأسمالي، في الـوقت الـذي رفضت فيـه محاولات ستـالـين لفـرض التجـربـة السـوفيتيـة، على يوغسلافيا، وكذلك تجربة الهند في ظل زعامة جواهر لال نهرو، والتجارب التحررية في افريقيا وامريكا اللاتينية، وكل هذه التجارب تعتبر المنابع الرئيسية لنشأة حركة عدم الانحياز.

ان دول العـالم الثـالث كما نسميهـا اليوم في كل من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، وجدت نفسها، بعد الحرب العالمية الثانية، امام انقسام العالم الى معسكرين متنافسين يتسـابقـان لكسب تأييـد وولاء هذه الـدولـة او تلك، ويحاولان اقامة احلاف وتكتلات عسكرية وسياسية واقتصادية تضم دولا من العالم الثالث، وقد سيطرت في هذه الفترة اجـواء الحـرب البـاردة على المعسكـرين وخيم شبـح قيام حروب جديدة وعلى مناطق عديـدة من العـالم. بل قامت في بعضهـا حروب من هذا النـوع، كالحـرب الكـورية، والحروب في الهند الصينية وفي غيرها.

ولم يكن لبلدان العـالم الثـالث، وهي التي تعـاني من اوضـاع التخلف الاقتصـادي والفقـر، والتي تحتـاج الى الاستقـرار والتنميـة أية مصلحة في ان تنطوي تحت لواء هذا المعسكر او ذاك. ومن هنا كانت مبادرات عدد من القادة السياسيين في بعض دول العالم

الثالث الى الدعوة لعقد مؤتمر يحدد المبادىء والاسس التي ترسم في ضوئها سياسات بلدانهم، بما يجعلها بعيدة عن الكتل والصراعات الدولية، فعقد مؤتمر باندونغ عام **١٩٥٥**، وحضره جمال عبدالناصر ونهرو وتيتو، وعقدت بعد هذا المؤتمر سلسلة من المؤتمرات الخاصة بحركة عدم الانحياز، من مؤتمر بلغراد عام **١٩٦١** الى مؤتمر نيودلهي عام **١٩٨٣**.

ثانيا: تطور حركة عدم الانحياز

واجهت حركة عدم الانحياز العديد من الصعوبات في اول نشأتها، نتيجة لتأثرها بواقع العالم الجديد الذي ولد بعد الحرب، وسادته الحرب الباردة والتكتلات الدولية، ولقد اسيء كثيرا فهم الحركة وتفسير طبيعتها واهدافها، من قبل القوى الدولية السائدة فاعتبرها بعض هؤلاء تعبيرا عن موقف انتهازي او انهزامي، اذ حاولوا ان يسقطوا مدلول كلمة (الحياد) الحرفي على الحركة نفسها لانها تضع الدول الاشتراكية والرأسمالية في مستوى واحد من التقييم، في حين كان هناك اتجاه آخر يرميها بالتبعية للاتحاد السوفيتي، منطلقا في هذا الاتهام من كون الحركة تناهض الاستعمار والتبعية وتساند حركات التحرر.

في خضم الاتجاهات، التي حاولت عن عمد او دون قصد، تشويه مبادىء واهداف حركة عدم الانحياز، واصلت الدول المؤمنة بمبادىء الحركة النضال بثبات وعزم من اجل تأكيد المحتوى الحقيقي والمنطلقات الثابتة لهذه السياسة على الصعيد الدولي، بما يعزز مضامينها التقدمية في الاستقلال والتقدم والحرية والسلام العادل وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

لقد حاولت الدول الاستعمارية في البداية احتواء حركة عدم الانحياز، عن طريق دفع حلفائها من الانظمة الرجعية، في آسيا وافريقيا، للانضمام لحرف مسيرتها، ولاتزال الدول الاستعمارية تبذل جهدها حتى الان لعرقلة مسيرة التطور لحركة عدم الانحياز عن طريق خلق التناقضات في صفوفها، واثارة الصراعات والحروب بين بعض دولها، لشق وحدة الحركة ودفعها للانقسام.

وفي السنوات الاخيرة الماضية، حاولت القوى الاستعمارية، خلق فجوة بين دول عدم الانحياز ومن خلال الزعم بوجود عالم ثالث وعالم رابع.

ان تعبير العالم الثالث يستخدم للاشارة الى الدول المستقلة حديثا في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، وهذه المجموعة تضم دول عدم الانحياز وهي تؤلف ٧٠٪ من سكان العالم غير ان تعبير «العالم الرابع» قصد به أنه دول آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية هي نفسها تنقسم الى مجموعتين، المجموعة الفقيرة، وهي التي تسمى بلدان العالم الثالث، والمجموعة الغنية وتمثلها الدول النفطية، وبذلك ينقسم العالم الى الدول الرأسمالية، الدول الاشتراكية، الدول الفقيرة، الدول الغنية، وتسمى العالم الرابع.

ومن الواضح ان هدف هذا التمييز هو شق وحدة دول حركة عدم الانحياز وتفجير التناقضات فيما بينها، ليسهل تطويقها واحتواؤها.

ورغم الصعوبات التي واجهتها، ولاتزال تواجهها حركة عدم الانحياز، فقد حققت تطورا واضحا وكثيرا، واصبح لها دور في الحياة الدولية، وقد نجحت في عقد مؤتمر التنمية في القاهرة في تموز عام ١٩٦٢، والذي صدر عنه (اعلان القاهرة) وفيه عرضت مشاكل التنمية واسبابها ووسائل علاجها، كما دعا الاعلان المذكور الى عقد مؤتمر اقتصادي دولي في اطار الامم المتحدة، اسفرت متابعة جهوده، فيما بعد، عما سمي بمؤتمر الحوار بين الشمال والجنوب.

واثناء حرب تشرين ١٩٧٣ عمدت الاقطار العربية المصدرة للنفط الى تخفيض انتاج النفط وحظر تصديره الى الدول المؤيدة للكيان الصهيوني، ورفعت اسعار النفط.

وبذلك بدأت، ولاول مرة مرحلة تحول في نوعية العلاقات بين الدول الصناعية من جهة، والدول النامية من جهة ثانية، وانتقل قرار التسعير وتحديد الانتاج الى الدول النامية نفسها، كما تطورت العلاقات بين دول الحركة وأصبحت الدول الغنية تقدم المساعدات بمعدلات عالية للدول الفقيرة.

ان حركة عدم الانحياز تواصل جهودها ومساعيها من اجل تأمين السلام، وازالة اسباب التوتر الدولي والقواعد العسكرية، وتأييد محادثات نزع السلاح والسعي لتقوية دور منظمة الامم المتحدة، ومعارضة العدوان والاحتلال واجراءات الضغط الاقتصادي التي تحاول النيل من سيادة واستقلال الدول ووحدة اراضيها.

ثالثا: مبادىء حركة عدم الانحياز

لقد تطورت مبادىء عدم الانحياز بدءا من مؤتمرها التحضيري في عام ١٩٥٥،

وانتهاءا بمؤتمر نيودلهي عام ١٩٨٣ .

وفي مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ اعلنت مبادىء عدم الانحياز في اعلان سمي باعلان باندونغ مكون من عشرة بنود فيما يلي بعضها :-

(١) احترام الحقوق الجوهرية للانسان واهداف الامم المتحدة ومبادئها .
(٢) احترام سيادة شعوب العالم كافة .
(٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى .
(٤) الاعتراف بالمساواة لكل الاجناس والشعوب صغيرة كانت ام كبيرة .
(٥) عدم القيام باعمال التهديد والعدوان او استخدام القوة .

ومع ان لهذه الاهداف قيمة كبيرة ، سواء في الخمسينات ام في الوقت الحاضر ، فقد اغنى تطور الحركة هذه الاهداف واضاف اليها ابعادا جديدة وخاصة في مجال التأكيد على ارتباط التحرر السياسي بالتحرر الاقتصادي من التبعية للدول الاجنبية ، وتحقيق التنمية والمطالبة باقامة نظام اقتصادي دولي جديد يحل محل النظام القديم ، ليتيح لدول عدم الانحياز ، السيطرة الوطنية على ثرواتها ، وتحقيق التنمية لاقتصادياتها ، وتغيير قواعد التبادل التجاري الدولي لصالح بلدان العالم الثالث .

على وجه الاجمال يمكن تلخيص اهداف الحركة في الوقت الحاضر بما يأتي :-

(١) ازالة الاستعمار ، اي التحرر الشامل لجميع الشعوب ، ودعم النضال الهادف الى التحرر الوطني والقومي .
(٢) التعايش السلمي ، اي التعاون فيما بين دول العالم بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية .
(٣) الاستقلال الوطني ، اي التخلص من جميع اشكال الهيمنة الامبريالية ومن محاولات فرض القوى الكبرى هيمنتها على العالم .
(٤) تقرير المصير ، اي حق كل دولة وشعب في الاختيار الحر لطريق تطوره القومي والاجتماعي والثقافي دون تدخل او ضغط مهما كان نوعه .
(٥) ديمقراطية العلاقات الدولية اي تأمين المشاركة على قدم المساواة لكل دولة في حل المشكلات الكبرى لعالمنا المعاصر .

ان هذه الاهداف ترسخت عبر مؤتمرات الحركة السبعة ، ويمكن القول انه رغم جوانب الضعف في الحركة الا انها تتطور بشكل ايجابي وفعال ، لانها اصبحت تعبيرا

عن النهج الاستقلالي الذي تتمسك به شعوب العالم.

ونظرة سريعة على تزايد عدد الدول الاعضاء كافية للكشف عن مدى تطور الحركة وازدياد وزنها الدولي:

المؤتمر	السنة	الاعضاء	الدول العربية
بلغراد	١٩٦١	٢٥	١٠
القاهرة	١٩٦٤	٤٧	١٥
لوساكا	١٩٧٠	٥٣	١٥
الجزائر	١٩٧٣	٧٥	٢٠
كولومبو	١٩٧٦	٨٥	٢١
هافانا	١٩٧٩	٩٥	٢٢
نيودلهي	١٩٨٣	٩٧	٢٢

وقد قبلت اربع دول اعضاء في المؤتمر الاخير وتشارك في المؤتمر القادم، فاصبح عدد الدول بذلك ١٠١ دولة.

رابعا: ـ البعث وحركة عدم الانحياز

ساهم حزب البعث العربي الاشتراكي في بلورة فكرة عدم الانحياز وانضاجها وتحويلها الى حركة دولية لها سياسات ومواقف معروفة وواضحة، والواقع ان البعث كان دائما حريصا على الربط بين المنطقات المبدئية والمواقف السياسة، فصاغ مواقفه السياسية في ضوء العلاقة بين الغاية والوسيلة، فاعتبر الحياد في استقلالية الأمة العربية وابتعادها عن التكتلات والاحلاف.

واذا لم يكن هناك حياد في المبادى، فان سياسة الحياد الايجابي يجب ان تكون بالضرورة ذات محتوى ثوري وتقدمي، بمعنى ان تكون مع الحقيقة الموضوعية في تمييزها بين الظالم والمظلوم، بين الحق الباطل، بين الشعب المناضل من اجل حريته، والقوى الاستعمارية الطامعة فيه، فجاءت لهذا السبب مفاهيم البعث عن الحياد معبرة

اصدق تعبير عن مصالح دول العالم الثالث في الحرية والاستقلال والتقدم .

ومما تجدر الاشارة اليه، ان مصطلح الحياد الايجابي جاء ردا على مقولة الحياد السلبي غير الفاعل، فهذا الحياد يرفض الانحياز الكلي للدول الكبرى ولا يرفض التعاون والتفاعل من أجل السلام وخدمة الانسانية .

وقد استخدمه البعث في الاربعينيات والخمسينات بالمعنى نفسه الذي يدل عليه مصطلح (عدم الانحياز).

واذا تتبعنا جذور فكرة عدم الانحياز لدى البعث وجدناها ماثلة في الكتابات الاولى للبعث، فمنذ البداية، وفي المقالة الاولى في تراث البعث الفكري، والتي كتبت عام **١٩٣٥** جاء (لسنا نطلب الاستقلال لننعزل عن بقية الشعوب، ونقيم سدا بيننا وبين الحضارة الانسانية . . اننا نطلب الاستقلال والحرية لانها حق وعدل قبل كل شيء ولانهما وسيلة لاطلاق مواهبنا العالية وقوانا المبدعة، كيما نحقق على هذه البقعة من الارض التي هي بلادنا، غايتنا وغاية كل انسان (الانسانية الكاملة) . . وجاءت مبادىء دستور البعث الذي اقره المؤتمر التأسيسي الاول عام **١٩٤٧** لتؤكد موقف البعث هذا، والقائم على المبادىء التالية :-

(١) (اعتبار الاستعمار وكل ما يمت اليه عملا اجراميا يكافحه العرب بجميع الوسائل الممكنة).

(٢) (مساعدة جميع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها).

(٣) (اعتبار الانسانية مجموعا متضامنا في مصلحته مشتركا في قيمه وحضارته).

(٤) (النظر الى (تجديد القيم الانسانية) واعتبار (حفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الامم) . . هدفا اساسيا من اهداف البعث .

(٥) تحديد موقف العرب من مستقبل العالم ومنظوره الحضاري الجديد، من خلال اعتبار ان (العرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها، ويمدون يد الاخاء الى الامم الاخرى، ويتعاونون معها على ايجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام).

ان مقارنة هذه المبادىء بمبادىء مؤتمر باندونغ عام **١٩٥٥**، تكشف سبق البعث في انضاج مبادىء حركة عدم الانحياز وتطويرها، كما تفسر اهمية الدور التأريخي للامة العربية في المرحلة المعاصرة من حياة العالم، والطبيعة القيادية لهذا الدور، فالنهضة

العربية المعاصرة، ممثلة بفكر البعث ثم بقيادة عبدالناصر ثم ثورة الجزائر ثم المقاومة الفلسطينية، واخيرا تجربة البعث في العراق بقيادة الرفيق المناضل صدام حسين، قد كان لها دور اساسي في انضاج مفاهيم عدم الانحياز، وفي تأسيسها كحركة، وفي قيادة نضالها والتعبير العملي الناضج عن فلسفتها.

خامسا:ـ دور العراق البارز في حركة عدم الانحياز

لعب العراق دورا بارزا في حركة عدم الانحياز، واكتسب هذا الدور مكانة رفيعة في اطار الحركة، في ظل ثور ١٧ـ٣٠ تموز، ذلك ان حرص الثورة، عبر مختلف مفردات برامجها، على النهج الاستقلالي والابتعاد عن التبعية ايا كانت مظاهرها واشكالها وتجنب تقليد تجارب الاخرين واستنساخها، كل ذلك قدم الدليل العملي والتطبيقي على الالتزام المبدئي العالي بمحتوى سياسة عدم الانحياز ومضمونها، ففي مؤتمرات الحركة شارك العراق بدور فعال وكانت له مواقف مشهودة الى جانب حركات التحرر الوطنية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وضد العنصرية والاغتصاب والعدوان ومن اجل السلم والامن لدول العالم اجمع.

وكان الاعلان القومي للرفيق القائد صدام حسين الذي اعلنه في ٨ شباط ١٩٨٠ نموذجا رائعا تجسدت في مبادئه اهم مبادىء عدم الانحياز، فقد دعا الاعلان الى:ـ

(١) رفض تواجد الجيوش والقوات العسكرية واية قوات اجنبية في الوطن العربي.

(٢) تحريم اللجوء الى استخدام القوات المسلحة من قبل اية دولة عربية ضد اية دولة عربية اخرى.

(٣) فض اية منازعات يمكن ان تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية، وفي ظل مبادىء العمل القومي المشترك والمصلحة العربية العليا، ويطبق هذا المبدأ على علاقات الامة العربية واقطارها مع الامم والدول المجاورة للوطن العربي، مع التأكيد على ان الكيان الصهيوني غير مشمول بهذه الفقرة لانه كيان دخيل وغاصب لارض فلسطين.

(٤) الدعوة الى تضامن الاقطار العربية جميعا ضد اي عدوان او انتهاك يقوم به اي طرف اجنبي للسيادة الاقليمية لاي قطر عربي، او دخوله في حالة حرب فعلية معه، وقيام الاقطار العربية بالتصدي المشترك لذلك العدوان او الانتهاك.

(٥) التزام الاقطار العربية بالقوانين والاعراف الدولية والابتعاد عن دوائر الصراعات او الحروب الدولية.
(٦) التزام الحياد التام وعدم الانحياز ازاء اي طرف من اطراف الصراع.
(٧) التزام الاقطار العربية باقامة علاقات اقتصادية متطورة وبناءة فيما بينها.
(٨) واختتم الاعلان بتأكيد العراق للالتزام ببنوده تجاه كل قطر عربي وأي طرف يلتزم به.

هذه المبادىء طرحها الرفيق القائد صدام حسين بوضوح وقوة، في مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩.. وفي خطابه في المؤتمر المذكور، اكد الرفيق صدام حسين على الصفة النضالية لحركة عدم الانحياز، واعتبارها الصفة الاولى المميزة لها، لان تلك الصفة تشكل الضمانة الاساسية لقدرتها على تحقيق المبادىء والارتفاع الدائم الى مستوى الهدف التأريخي الذي تسعى اليه الا وهو بناء عالم جديد، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، كما اكد من جديد اهمية الانطلاق من المصلحة الوطنية والقومية ذات الاتجاه الانساني كمعيار (سياسي) للموقف غير المنحاز ورفضه تقسيم العالم الى مراكز استقطاب دولي تتجاهل المصالح الوطنية للشعوب.

وقد شدد الرفيق القائد صدام حسين على المضمون المعادي للاستعمار وللتبعية والتسلط للموقف غير المنحاز وعلى المحتوى التقدمي المناهض لكل اشكال الاضطهاد والاستغلال والعدوان والتمييز العنصري، لانهما يشكلان الاساس الجوهري لوجود حركة عدم الانحياز.

وفي اطار هذه المبادىء والمفاهيم، ساهم العراق عمليا في نشاطات حركة عدم الانحياز، وعلى الاخص اسهامه الفعال في الدعوة الى اقامة نظام اقتصادي دولي جديد، يقوم على العدل، وتتمتع فيه جميع بلدان العالم الثالث بمبدأ تكافؤ الفرص.

وقد نفذ العراق عهده بتقديم قروض طويلة الامد وبدون فائدة، الى الدول النامية الفقيرة المتعاقدة على شراء النفط العراقي، وبما يعادل جميع الزيادات التي حدثت في اسعار النفط. وفي ميدان اخر اقر خبراء مجموعة الـ ٧٧ التي زاد عددها على مائة دولة مقترح الرفيق القائد صدام حسين، الذي اعلنه في مؤتمر القمة السادس لعدم الانحياز في هافانا سنة ١٩٧٩، والذي دعا فيه الى ضرورة اعادة بناء علاقات اقتصادية دولية على أسس جديدة منصفة وعادلة تتمكن البلدان النامية من خلالها من تحقيق تقدم

سريع ينسجم والاهداف التي تطمح اليها.

ونص البيان على انشاء صندوق دولي لمساعدة البلدان النامية بتعويضها عما تخسره من جراء التضخم المصدر اليها من الدول الصناعية، وما يطرأ عليها من زيادات على اسعار النفط، وقد وضع العراق هذا المقترح موضع التنفيذ من جانبه حين اعفى الدول النامية الفقيرة المرتبطة مع العراق بعقود مباشرة من الزيادات التي حصلت على اسعار النفط خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٩ والتي بلغت حوالي ٢٠٠ مليون دولار.

وهكذا ينبع التصور البعثي لعدم الانحياز، من نضال الامة العربية من اجل التحرر والوحدة والديمقراطية والاشتراكية، اي من حاجات الانبعاث العربي المعاصر الذي يتطلع الى وضع الامة العربية على طريق المشاركة الفعالة في النضال الانساني.

فالاستقلالية في الشخصية والوعي للمسؤولية التأريخية، والروح الايجابية الواثقة المصممة على قيادة اتجاه حضاري انساني جديد في العالم المعاصر، هي المميزات المشتركة التي تقوم عليها التجارب الكبرى للنضال التي تساهم في تأسيس حركة عدم الانحياز، وفي ضمان سيرها وفي شدها نحو المستقبل الاكيد، والفجر الجديد للانسانية.

خلاصة
(حركة عدم الانحياز)

اولا: نشأت حركة عدم الانحياز في اعقاب الحرب العالمية الثانية اذ شهد المجتمع الدولي، بعد الحرب، انقسام العالم الى معسكرين رئيسيين، تتزعم احدهما الولايات المتحدة والثاني الاتحاد السوفيتي، وقامت بين المعسكرين حرب باردة بهدف اقتسام مناطق النفوذ في العالم.

ثانيا: وجدت الدول المستقلة حديثا في اواخر الحرب العالمية الثانية ومطلع الخمسينات ان من مصلحتها الابتعاد عن المعسكرات الدولية، واحلافها وعدم التورط في الحرب الباردة القائمة بينها، والسعي لتحقيق الاستقرار والتنمية في بلدانها.

ثالثا: وتحقيقا لهذه الاهداف، تداعت بعض الدول لعقد مؤتمر حول هذا الموضوع، سمي بمؤتمر باندونغ ١٩٥٥، الذي وضع اسس حركة عدم الانحياز، والمتمثلة

في احترام الحقوق الجوهرية للانسان، واحترام مبادىء ميثاق الامم المتحدة، واحترام سيادة واراضي كافة شعوب العالم، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى، والاعتراف بالمساواة لكافة الاجناس والشعوب صغيرة كانت ام كبيرة، وعدم القيام باعمال التهديد او العدوان او استخدام القوة.

رابعا: عقدت حركة عدم الانحياز بعد مؤتمر باندونغ سبعة مؤتمرات آخرها مؤتمر نيودلهي عام ١٩٨٣.

خامسا: اسهم البعث في بلورة وانضاج فكرة عدم الانحياز وتحويلها الى حركة دولية لها سياسات ومواقف معروفة وقد ربط البعث بين مواقفه المبدئيه ومواقفه السياسية، والمتمثلة بالتمسك باستقلالية الامة العربية وابتعادها عن التكتلات والاحلاف والانحياز الى حق الشعوب في التحرر وتقرير المصير.

سادسا: لعب العراق دورا بارزا في حركة عدم الانحياز واكتسب مكانة ررفيعة في اطار الحركة في ظل الثورة وفي ضوء قيادة ودور الرفيق المناضل صدام حسين، حيث قدم الدليل العملي على الالتزام المبدئي العالي بمحتوى ومضمون سياسة عدم الانحياز في كل المؤتمرات التي شارك فيها، وخاصة في مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩، الذي شارك في اعماله الرفيق القائد صدام حسين بدور اثار اعجاب الدول المشاركة وتقديرها من خلال ما قدمه من اسهامات نظرية، لتعميق المضمون التحرري التقدمي للحركة، ومن خلال المقترحات العملية التي طرحها على المؤتمر لمساعدة بلدان العالم الثالث.

٥ - السياسة الدولية ومراكز الاستقطاب

اولا : - تعريف بالسياسة الدوليـــــة

تعني السياسات الدولية تلك المواقف، التي تتخذها الدول من اجل المحافظة على كيـانهـا السيـاسي، وامنها القومي ومصالحها الحيوية، وسط عالم يتميز بتداخل مصالح دولـه وتشـابكهـا، ويتغـير مستمـر لموازين القـوى بينهـا، اضافة الى التوتر والتكتلات الدولية والتناقضات والصراعات التي تشوب علاقات بعض الدول.

بهذا المعنى نجد السياسات الدولية تشير الى ضرورة فهم العالم المعاصر، وملاحظة دوله كيف تتحرك وتتصرف وتتخذ المواقف، وفهم الدور الذي تلعبه كل دولة، وما هي العوامل التي تحرك هذا الدور.

ان هذا الفهم يتطلب المعـرفـة بكيفيـة تحليـل السيـاسات الدولية، للدول الكبرى وللدول التي تعتـبر دولا قائـدة ضمن محيطهـا الاقليمي . اذ بدون امتلاك هذه المعرفة لاتستطيع الدولة المعنية ان تحافظ على مصالحها وامنها وكيانها السياسي ومن ثم تعجز عن اتخاذ المواقف الصحيحة من المشكلات الدولية، وبالشكل الذي يخدم امنها الوطني والقومي.

وهناك عوامل عديدة تؤثر في رسم السياسات الدولية لدولة معينة، منها : -

(١) نوعية توازن القوى السائدة، ودرجة استقرار هذا التوازن اوعدم استقراره، ومدى ارتباطه بالمصالح الجوهرية للدولة المعنية.

(٢) درجـة الصـلابـة او المـرونـة العقـائدية التي تفرض نفسها على الاجهزة التي تضع السيـاسـات الخـارجيـة فالتصلب العقـائـدي لدولـة معينة قد يدفعها الى ترجيح الصراع والتحدي مع الدولة الاخرى، بدلا من التعايش والتلاؤم في حالة المرونة العقائدية.

(٣) الطبيعة الجغرافية ـ السياسية للدولة المعنية، حيث تؤثر هذه الطبيعة في تقرير سياسات دولية محددة مع نمط معين من الدول المجاورة او مع الدول الاخرى.
(٤) عندما لاتكون الدولة المعنية طرفا في حلف او تكتل دولي، فان حماية مصالحها القومية تقع على عاتقها وحدها، وبشكل كلي، معتمدة على امكاناتها الذاتية، وهذا يعني انها لابد ان ترسم سياساتها الدولية في ضوء هذا الواقع.

ثانيا: ـ تطور السياسات الدوليـــــة

تطورت علاقات الدول وسياساتها الخارجية بشكل نوعي ودخلت مرحلة جديدة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، فاختلفت مفاهيمها وتطبيقاتها كثيرا عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية، فبانتهاء هذه الحرب انتهت المفاهيم الدولية التقليدية التي كانت سائدة في تلك الفترة.

وامام ضمور دور القوى الدولية التقليدية المتمثلة ببريطانيا وفرنسا والمانيا، ظهرت بدلها على المسرح السياسي الدولي القوتان الكبريان، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وقد خلق ذلك معه ظروفا وقواعد جديدة في التعامل الدولي، كالحرب الباردة، وظهور الاحلاف والتكتلات الدولية، وانقسام العالم الى معسكرين، والى طرفي صراع تزعمت كل واحد منهما احدى الدولتين الكبريين.

ولقد بلغ التناحر بين هاتين القوتين الى حد التنافس في التسلح لضمان الامن، ووصل هذا التسابق بينهما الى التنافس النووي، ومن ثم وصل الى اعلى درجاته، وهو التنافس النووي الحراري.

وبهذا التطور في سباق التسلح بين الدولتين الكبيرتين اصبح العالم يمتلك من القوة النووية ما يعادل مثلا مليونا ونصف المليون مرة من القوة النووية التي اسقطت على هيروشيما.

لقد دفع هذا التطور من جانب آخر دول العالم وفي المقدمة منها الدول الكبرى نفسها، ، الى التفكير جديا في ان عالم اليوم اصبح مهددا بالخطر المباشر والفناء الكامل.

ونتيجة لذلك، بدأ السعي للوصول الى التعايش السلمي بين الولايات

المتحدة والاتحاد السوفيتي ومحاولة التوصل الى مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية، والى سياسة الوفاق - الانفراج - ورافق هذا التطور في سياسات الدول الكبرى تطور باتجاه آخر بالنسبة للدول النامية، يتلخص بان لامصلحة لهذه الدول بعلاقات الصراع القائمة بين الدول الكبرى، وان مصلحتها تتطلب عدم الدخول في احلاف مع هذه الدولة الكبيرة او تلك، وبدلا من ذلك اختارت النهج المستقل بعيدا عن التبعية والتورط في الاحلاف وظهرت بذلك حركة عدم الانحياز.

ثالثا: - مراكز الاستقطاب

تعني مراكز الاستقطاب وجود دول كبرى ذات، امكانيات عسكرية واقتصادية حيوية وفاعلة، تعمل على جذب عدد من الدول الاقل قوة منها، وتسخيرها لخدمة سياساتها الدولية ومصالحها القومية، وقد ظهر مفهوم مراكز الاستقطاب في العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان يطلق عليه (القطبية الثنائية) ويقصد بذلك انه توجد دولتان كبريان تمثلان مركزين للاستقطاب احداهما الولايات المتحدة والثانية الاتحاد السوفيتي وتحت لواء كل منهما ينضوي عدد من الدول التابعة.

وسمي هذا الواقع الدولي ايضا بنظام (القطبية الثنائية المحكمة) للتعبير عن قوة هيمنة الدولتين الكبريين على الدول التابعة لهما.

ومنذ اواخر الخمسينات بدأت القطبية الثنائية تمر بمرحلة تخلخل وضعف واطلق على هذه الحالة (القطبية الثنائية المفككة) للتعبير عن الخلافات التي نشبت داخل كل معسكر من المعسكرين الكبيرين، والتي اخذت تضعف بشدة من درجة ولاء الدولة التابعة للدولة القائدة. وتمثل ذلك بشكل واضح ورسمي في التخلخل الذي اصاب حلفي الاطلسي ووارشو.

وكان من ابرز مظاهر هذا التخلخل، ظهور النزاع الصيني - السوفيتي، وحدوث حركات مضادة للنفوذ السوفيتي في بعض دول اوربا الشرقية كالمجر وبولندا، وابتعاد يوغسلافيا عن النفوذ السوفيتي ونمو مكانتها ودورها الدولي.

اما التخلخل داخل المعسكر الغربي، فقد عبرت عنه الخلافات الفرنسية الامريكية حول حلف الناتو.

ومع ذلك فقد استمر نظام القطبية الثنائية، بنشاط واسع لبناء التحالفات المضادة، وبناء التحالفات الجغرافية العالمية، وخاصة بعد ان وسعت الدول الكبرى مفهوم امنها القومي، بحيث اصبح يشمل دولا ومناطق بعيدة عنها جغرافيا كما هو الحال بالنسبة لنظرة الولايات المتحدة الى منطقة الشرق الاوسط باعتبارها تقع ضمن نطاق امنها القومي.

وترتب على سياسة الاستقطاب هذه قيام الدولتين الكبيرتين بعقد سلسلة من الاحلاف، واقامة اعداد كبيرة من القواعد العسكرية، منتشرة جغرافيا في انحاء مختلفة من العالم. حتى بلغ عدد الدول المرتبطة باطار التنظيمات والتحالفات العسكرية الامريكية والسوفيتية حتى منتصف عقد الخمسينات حوالي سستين دولة، في حين كان عدد اعضاء الامم المتحدة آنذاك تسعا وخمسين دولة، ويدل ذلك على حالة التبعية السائدة في العالم خلال تلك الفترة.

رابعا: ـ القطبية المتعددة الاطراف

ان قيام نظام القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية، كان نتيجة لتدهور القوة العسكرية والاقتصادية للدول الاستعمارية القديمة كبريطانيا المانيا وفرنسا بسبب اعباء الحرب، بينما لم تتضرر الولايات المتحدة كثيرا من الحرب العالمية الثانية، وهي اساسا دولة قارية كبيرة وغنية، فقد برزت كدولة قائدة وكمركز استقطاب للدول الرأسمالية التي اضعفتها الحرب، وكذلك لدول في العالم الثالث.

اما الاتحاد السوفيتي فرغم الدمار الهائل الذي اصابه بسبب الحرب، فقد استطاع ان يعيد بناء نفسه بسرعة. . ويعتبر هو الاخر دولة قارية كبيرة وغنية، فوقف الى جانب الولايات المتحدة كمركز استقطاب كبير.

ان فترة الخمسينات والستينات شهدت اعادة بناء اوربا واليابان. . واستعاد الاقتصادان الاوربي والياباني عافيتهما بسرعة، واصبحت لهما مكانة دولية بارزة. . وبانتهاء الستينات، كانت بعض دول اوربا ـ وخاصة فرنسا ـ تنمو كقوة اقتصادية

وعسكرية وكذلك اليابان.

ولقد ادى ذلك الى ظهور مفاهيم جديدة في تحديد نوعية العلاقات بين البلدان المختلفة في المجال الدولي، ومحاولة الاستفادة من حالة التوازن القائم بين القطبين الرئيسيين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، لبناء مراكز قوة دولية جديدة، تكون اساسا لاستقطاب دولي جديد، وفتح هذا التطور الاحتمال امام نشؤ ما يعرف بالقطبية المتعددة الاطراف، التي تنفي فكرة القطبين الرئيسيين عن طريق ايجاد محاور قوى اخرى ضمن المجتمع الدولي القائم.

ضمن اطار هذا التطور في السياسات والعلاقات الدولية، ما هو موقف بلدان العالم الثالث ومنها قطرنا العراقي وامتنا العربية؟.

من الواضح ان الانضواء تحت لواء اي من القطبين لايعود بالنفع علينا لان سياسات الدول الكبرى موضوعة اساسا لخدمة مصالحها القومية وامنها القومي، بغض النظر عن الغطاء الذي تختفي وراءه.

ولقد اكدت وثائق الحزب المختلفة وخاصة التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن، والتقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع على ضرورة بناء علاقات دولية متوازنة مع مختلف القوى في العالم ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالمصالح الوطنية والقومية. يؤكد التقرير المركزي ان عدم تحقيق هذا الانجاز يوقع القطر المعني ليس بالارادة وانما بالنتيجة في فلك احدى القوى الكبرى، او في فلك مجموعة معينة من الدول.

وبالاستناد الى حقائق التطور الواقعي للقوى الدولية، وخاصة تلك الحقائق التي تشير الى احتمال نشوء مراكز استقطاب دولية جديدة، يكون من مصلحة العراق والامة العربية ودول العالم الثالث الاخرى، دعم نمو هذه المراكز الجديدة، وقد عبر الرفيق القائد صدام حسين، عن هذا الموقف بقوله «اذا ما اتفقنا على ان السياسة الدولية الان تمر في مرحلة تكوين جديد، فانه يتوجب علينا ان نزيد فاعليتنا وقدرتنا التخطيطية والتنفيذية، لكي نثبت رقعتنا ودورنا المحددين على الكرة الارضية، في المكان، وللزمن الذي نريد تثبيتهما فيهما، لكي نكون مؤثرين وموجودين).

اما فيما يتعلق بالاستقطاب، فيقول الرفيق صدام حسين، بان عملية التكون في السياسة الدولية يشارك فيها الجميع اما كعوامل مساعدة او كعوامل اساسية كل من موقعه، وحسب ظروفه وقدرته في التأثير، وفي تصورنا ان السنوات العشرين القادمة ـ

اي نهاية القرن ـ سوف تشهد قوى ومراكز استقطاب جديدة، تؤثر في السياسة الدولية تاثيرا قياديا، بالاضافة الى مركزي الاستقطاب الحاليين، كالصين واوربا واليابان والوطن العربي، وبذلك يجب تحديد كيفية التعامل مع مراكز الاستقطاب لا على اساس الامر الواقع بل التصور وتحديد الاسس للتعامل مع المراكز الموجودة والمحتمل وجودها مستقبلا.

ويضيف الرفيق صدام حسين، حول المسألة نفسها، انه ينبغي محاولة الاستفادة من مراكز الاستقطاب الجديدة التي ستأخذ حجمها الحقيقي على صعيد السياسة الدولية. وتحديد السلبيات والايجابيات لظروف مثل هذه القوى ومدى تأثيرها السلبي والايجابي علينا وعلى نضالنا القومي، فاذا ما تعددت مراكز الاستقطاب، وهذا احتمال وارد ومتوقع، فعلينا عدم التعامل مع قطب واحد واهمال الاقطاب الاخرى، وان نكون مؤثرين بصيغ المصالح المتبادلة والتقاء الستراتيجيات او بهما معا.

ويذهب الرفيق صدام حسين الى تسليط الضوء على العلاقة بين مراكز الاستقطاب وبين نضالنا من اجل الوحدة العربية، ويوضح هذه العلاقة بدقة متناهية فيقول «يجب عدم خداع انفسنا باهمال او التقليل من دور ومدى تأثير مراكز الاستقطاب وعواملها الدولية على نضالنا الوحدوي ومجمل نضالنا القومي والوطني، على الا يكون ذلك داعية للتقليل من الدور الحاسم للارادة الوطنية والقومية، ويجب ان نضع في الحسبان العراقيل والصعوبات التي تواجه هذا الهدف، على ان لانهمل احتمال التقاء ستراتيجية بعض مراكز الاستقطاب الرئيسية وبعض مصالحها الخاصة بشكل اواخر مع استراتيجية نضالنا الوحدوي.

ويجب ايضا التعامل مع مراكز الاستقطاب بشكل مختلف حسب مصالحنا، فاوربا كمركز استقطاب يجب ايضا عدم التعامل معها بنفس المقدار والصيغ نوعا وحجما، بل يجب ان تحدد سياستنا العامة الى اي مدى تتعامل مع هذه المراكز الاستقطابية، حيث التعامل مع فرنسا مثلا يختلف بالنوع والدرجة عما هو عليه بالنسبة لا لمانيا الغربية. والافتراض القائم هو ان الحالة غير الطبيعية من الفرقة والتجزئة ستنتهي وسيكون للامة العربية كيانها الطبيعي الذي يمتلك صفات ومقومات الدول الكبرى الموازي للقوى الكبرى الاخرى القائمة والمحتملة.

ان سياسة العراق الدولية تجاه مراكز الاستقطاب التزمت بهذا الاطار الذي حدده

الرفيق القائد صدام حسين، وحققت نتائج جيدة جدا، اذ انها عبرت عن تفهم العراق الـدقيق للسيـاسات الدولية ولواقع مراكز الاستقطاب، واختارت صيغاً سليمة وناجحة لرسم سيـاسـات العـراق وعـلاقـاتـه الدولية، وكان من نتائجها ازدياد اهمية العراق في السـاحـة الـدوليـة، وتطـور علاقـاته الدولية السياسية والاقتصادية وتطور نشاطه على الصعيد الدولي، فضلا على اتخاذه المواقف الصائبة والتي تعكس عمق الادراك البعثي للواقع الدولي وللقواعد التي تحكم سلوك وحداته السياسية وللتغيرات المستمرة في ميزان القوى بين هذه الوحدات.

خلاصة موضوع
السياسات الدولية ومراكز الاستقطـــــاب

اولا: ـ السياسات الدولية هي تلك المواقف التي تتبعها الدول من اجل المحافظة على كيانها السياسي وامنها القومي ومصالحها الحيوية.

وبـدون المعرفـة بكيفيـة تحليـل السيـاسـات الدولية للدول الكبرى، وللدول التي تحتل موقعا، قيـاديـا ضمن محيطهـا الاقليمي، لاتستطيع اية دولة المحافظة على مصالحها وامنها وكيانها السياسي، كما ستعجز عن اتخاذ المواقف الصحيحة من المشكلات الدولية.

وهناك عدة عوامل لابد ان تؤثر في رسم السياسات، منها: ـ

(١) نوعية توازن القوى السائدة، ودرجة استقرار هذا التوازن اوعدمه، ومدى ارتباطه بالمصالح الجوهرية للدولة المعنية.

(٢) درجـة الصـلابة او المرونة العقائدية التي تفرض نفسها على الاجهزة التي تصنع السياسات الخارجية.

(٣) الطبيعة الجغرافية السياسية للدولة المعنية

(٤) استقلالية الدولة المعنية ازاء الاحلاف والتكتلات الدولية.

ثانيا : ـ تطور السياسات الخارجيـــــــة

نتيجــة للتطـور النـوعي في علاقـات الـدول وسيـاسـاتهـا واختـلاف مفـاهيمهـا وتطبيقـاتهـا، في اعقـاب الحـرب العـالمية الثانية ، وبفعل ضمور دور القوى الدولية التقليـديـة ، ظهـرت على المســرح الـدولي القـوتـان الكبـريان ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ونشأت في ضؤ ذلك ظروف وقواعد جديدة في التعامل الدولي ، يحكمها التناحر بين معسكرين تقود كلا منهما احدى هاتين الدولتين ، حيث بدأ عصر التنـافس والتسـابق في التسلح ، الـذي بلغ حد التنافس النووي ، ثم وصل الى اعلى درجاته وهو التنافس النووي الحراري .

لقـد دفـع هذا التطـور الدول الكبرى الى التفكير جديا بخطر الفناء الكامل ، فبدأ السعي للوصـول الى التعـايش السلمي بين الـولايـات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، والتوصل الى مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت) والى سياسة الوفاق ـ الانفراج .

وقـد رافق هذا تطـور اخـر بالنسبـة للدول النـاميـة ، حيث ادركت ان مصلحتهـا تتطلب عدم الـدخـول في احـلاف مع هذه الدولة الكبرى اوتلك ، وانتهاج سياسات مستقلة بعيدا عن التبعية والاحلاف العسكرية فظهرت حركة عدم الانحياز.

ثالثا : ـ مراكز الاستقطـــــاب

لقـد ظهـر مفهـوم مراكـز الاستقطـاب في العـلاقـات الدولية بعد الحرب العالمية الثـانيـة ، وكـان يطلق عليـه (القطبيـة الثنائية) ، وسمي هذا الواقع الدولي ايضا بنظام (القطبيـة الثنـائيـة المحكمة) للتعبير عن هيمنة الدولتين الكبريين على الدول التابعة لهمـــا . ومنـذ اواخـر الخمسينـات بدأت القطبيـة الثنـائيـة ، تعـاني من التخلخـل والضعف ، فأطلق على هذه الحالة (القطبية الثنائية المفككة) للتعبير عن الخلافات التي نشبت داخل كل معسكر من المعسكرين الكبيرين . . وكان من ابرز اسباب هذا التخلخل والتفكك ظهور النزاع الصيني ـ السوفيتي ، من جهة ، والخلافات الفرنسية ـ الامريكية ، من جهة اخرى .

غيـر ان الـدول الكبرى استمرت في توسيع مفهوم امنها القومي، وبناء التحالفات والتحـالفـات المضـادة، واقامة اعداد كبيرة من القواعد العسكرية المنتشرة في انحاء مختلفة من العالم.

رابعا - القطبية المتعددة الاطـــــــراف

لقد شهدت فترة الخمسينات والستينات اعادة بناء اوربا واليابان، واصبحت لهما مكـانـة دولية بارزة، وبانتهاء الستينات اخذت بعض دول اوربا وبخاصة فرنسا، تنمو كقوة اقتصادية وعسكرية، وكذلك اليابان.. وقد ادى ذلك الى ظهور مفاهيم جديدة في تحديد نوعية العلاقات بين البلدان.. ومحاولة الاستفادة من حالة التوازن القائم بين القطبين الرئيسيين، لبناء مراكز قوة دولية جديدة، وفتح هذا التطور الاحتمال امام نشؤ ما يعرف بالقطبية المتعددة الاطراف.

ضمن هذا الاطار، فان موقف بلدان العالم الثالث، ومنها قطرنا العراقي ينبغي ان يقـوم على ضرورة بنـاء علاقـات دولية متوازنة مع مختلف القوى في العالم، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالمصالح الوطنية والقومية.. بالاستناد الى حقائق التطور الواقعي للقوى الـدوليـة، فان من مصلحـة العراق والامة العربية ودول العالم الثالث الاخرى، دعم نمو مراكز استقطاب دولية جديدة، والاستفادة من هذه المراكز الجديدة، التي ستأخذ حجمهـا الحقيقي على صعيـد السيـاسـة الـدوليـة، وتحديد السلبيات والايجابيات لظروف مثل هذه القوى ومدى تأثيرها السلبي والايجابي علينا وعلى نضالنا القومي.

ان سياسات العراق الدولية تجاه مراكز الاستقطاب التزمت بهذا الاطار الذي سبق وان حدده الـرفيق صدام حسين، وحققت نتـائـج جيدة جدا، اذ انها عبرت عن تفهم العـراق الـدقيق للسيـاسات الدولية ولواقع مراكز الاستقطاب، واختارت صيغا سليمة وناجحة لرسم سياسات العراق وعلاقاته الدولية.



٦ـ مكانة العراق الدولية

تعني المكانة في المفهوم السياسي الدولي، ما تتمتع به الدولة من قدرات في التأثير على المنظومة الدولية وبشكل يعمل على تحقيق اهدافها ومصالحها الحيوية وهي حصيلة التراكم الكمي والنوعي للمواقف التي انتجها السلوك السياسي لتلك الدولة في اطر تعاملها الدولي.

بهذا المفهوم، تعني المكانة الدولية، قوة حركة الدولة الاخرى ومواقفها، وتتوقف المكانة الدولية لاية دولة على توفر مزايا التفوق في العناصر الذاتية والموضوعية التي تمتلكها، وعلى سبيل المثال فان العناصر الذاتية يمكن ان تتمثل في وجود عقيدة سياسية واضحة، ونظام سياسي مستقر، ورؤ ية علمية للاحداث والعلاقات الدولية، وقيادة حكيمة ومقتدرة.

اما العناصر الموضوعية فتشمل اقتصادا وطنيا متطورا ومزدهرا، وقوة عسكرية قادرة على حماية الامن الوطني والقومي، وبتفاعل كلا النوعين من العناصر مع المتغيرات الدولية، وفقا للتصور السياسي العقائدي للدولة ترتسم مسارات التعامل الدولي والمكانة الدولية للدولة المعنية.

وبالانتقال من هذا الاطار النظري الى الصعيد التطبيقي فيما يتصل بمكانة العراق الدولية، نجد ان القطر العراقي اصبح يتمتع، في ظل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ بمكانة متميزة في المجتمع الدولي، يعبر عنها تطور علاقاته مع دول العالم المختلفة ومع المنظمات الدولية والاقليمية وامتلاكه صوتا مسموعا في المحافل الدولية وقدرة على التأثير في قراراتها ومواقفها.

ولغرض تكوين تصور واضح وشامل لما حققه العراق من سمعة طيبة ومكانة دولية مرموقة، لابد من الوقوف على طبيعة السلوك السياسي الخارجي للقطر العراقي والكيفية التي تعامل بها مع المجتمع الدولي، وذلك من خلال العناصر التالية:

اولا : ـ الاسس الفكرية والمبدئية لمكانة العراق الدولية

لقد اعتمدت الثورة في القطر العراقي ، كاساس لسياساتها الخارجية افكار حزب البعث العربي الاشتراكي ، ومبادئه ، والتي صاغتها في اطار عقائدي واضح ومتماسك ، يعبر عن طبيعة السياسة التي انتهجتها ، في التعامل مع مكونات النظام الدولي ، ضمن معطياته الواقعية ومتغيراته السياسية . وقد حددت عقيدة الحزب المسار العام للسلوك السياسي . الخارجي للعراق واطار تعامله مع المجتمع الدولي .

فاكدت المادة الاولى من دستور الحزب الذي اقره المؤتمر التأسيسي الاول عام ١٩٤٧ على (ان تستوحى السياسة الخارجية للدولة العربية من المصلحة القومية العربية العليا ، ومن رسالة العرب الخالدة التي ترمي الى المساهمة مع الامم الاخرى في ايجاد عالم منسجم حر آمن يسير في سبيل التقدم الدائم) . . واكدت المادة الرابعة من الدستور ايضا على ان (السياسة العربية الخارجية تستهدف اعطاء الصورة الصحيحة عن ارادة العرب بان يعيشوا احرارا معبرين عن رغبتهم الصادقة بان يجدوا جميع الامم تتمتع مثلهم بالحرية) .

ان عقيدة الحزب في تفسيرها للواقع العربي ، وفي بنائها لصورة المجتمع العربي الجديد الذي يناضل الحزب في سبيل اقامته ، قد تمسكت بصراحة عالية بالمنهج الفكري المستقل ، ورفضت الانسياق وراء النظريات الجاهزة التي تبنتها بعض الاحزاب العربية ، وحاولت تطبيقها على المجتمع العربي بشكل قسرى .

وبدلا من ذلك استوعبت عقيدة الحزب الواقع العربي بخصوصياته التأريخية والراهنة وفي جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والفكرية واختطت طريقها الفكري المستقل النابع من الحاجات الحقيقية للامة العربية .

ان استقلالية عقيدة الحزب في بنائها الفكري هذا هي من ابرز العناصر المكونة لسياسة الثورة على الصعيد الدولي ، اذ ان البعث كما يقول الرفيق المناضل صدام حسين ، مادام (قد اختار عقيدة مستقلة فمن البديهي ان تكون سياسته مستقلة) . . ومعنى ذلك الغاء كافة اشكال التأثير التي تنشأ عن التبعية الفكرية لاي معسكر دولي ، كما تعني ايضا الغاء تأثيرات التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تنجم عن الالتزام بعقيدة نابعة من خارج حدود الوطن العربي .

لقد حددت عقيدة الحزب القومية الاشتراكية الاسس المركزية للثورة في القطر العراقي على صعيد التعامل الخارجي ، وبلورت معاييرها في التعامل مع الدول والقوى والسياسات المختلفة ، فاعتبرت المصلحة القومية العليا هي الاساس الذي تنطلق منه سياساتها ومواقفها على الصعيد الدولي ، وفي ضوئها تتحدد علاقاتها مع دول العالم .

وانسجاما مع عقيدة الحزب التحررية الثورية ، فان سياسة الثورة في القطر العراقي اتخذت موقفا نضاليا واضحا ضد الاستعمار والصهيونية ، وضد العلاقات الدولية غير المتكافئة القائمة على استغلال ثروات الشعوب ونهبها ، واغتصاب الحقوق الوطنية للشعوب في ارضها وفي سيادتها ، وفي الوقت نفسه تبنت موقف المساندة لحركات التحرر والشعوب المناضلة من اجل حريتها وحقوقها المشروعة ودعم السياسات الرامية الى تعزيز الامن الدولي ، واقرار السلام في العالم ، في ظل نظام دولي عادل ، يحقق لشعوب العالم اجمع فرصا متكافئة في الحياة الامنة والعيش المزدهر .

ان التزام السياسة الخارجية لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز بهذه المنطلقات العقائدية ساعدها على ان يكون لها تعامل دولي واضح ومفهوم ، يلقى الاحترام والتقدير من المجتمع الدولي . . فهو تعامل يتميز :

١ ـ باعتماده منطلقات مبدئية واضحة تقف مع الحق وتستند الى المصالح المشروعة للمجتمعات والشعوب .

٢ ـ باستيعابه لقوانين تطور المجتمع العربي ومتغيرات الواقع الدولي ، والسعي من خلال استيعاب هذه القوانين الى تحقيق كل ما يخدم القضايا القومية للامة العربية وللقطر العراقي .

٣ ـ بالمرونة في بناء العلاقات مع دول العالم ، فالوضوح في منطلقات الحزب الفكرية ، لم يوقع الثورة في سياسات جامدة ، وانما جعلها تمتلك القدرة على الموازنة بين المنطلقات المبدئية وما يمليه الواقع الدولي من تطور في السياسات الدولية ، وبالتالي لم تواجه الثورة قيام حالات من الخلل او التناقض بين ما تمليه عقيدة البعث من جهة وبين المتغيرات الدولية من جهة ثانية .

والمتتبع لواقع النشاط السياسي الخارجي للقطر العراقي ، منذ عام ١٩٥٨ وحتى الوقت الراهن ، يتبين له ، وبكل وضوح ان هناك حدا فاصلا للتمييز بين نوعين من

النشاط الذي اضطلع به القطر على الصعيد الدولي.

فلقد اتسمت الفترة التي سبقت الثورة بجمود واضح لمظاهر النشاط الخارجي، فالاستقلال السياسي الذي انجزته ثورة ١٩٥٨، ظل استقلالا شكليا، وبقيت مضامينه السياسية والاقتصادية والفكرية ناقصة وضعيفة، الامر الذي ادى الى افراغه من محتواه الحقيقي.

كما لم يتمكن القطر انذاك من التحرر اقتصاديا لعجز الحكومات القائمة عن مواجهة شركات النفط الاحتكارية المسيطرة على ثروته الوطنية النفطية، وقد انعكس تأثير هذه السياسات على نشاط العراق الخارجي وتعامله مع المجتمع الدولي، فكان اداؤه في السياسة الخارجية مقيدا ودوره هامشيا، وغير واضح المعالم في التعامل مع الوحدات السياسية الدولية.

وعندما قامت ثورة ١٧ - ٣٠ تموز، تمكن العراق من بناء تقاليد مبدئية لتعامله الدولي، مكنته من احتلال مكانة دولية متميزة ولاول مرة في تأريخه الحديث وصار العراق من بين دول العالم القليلة العدد النشيطة على الصعيد الدولي، كما اصبح يعد من بين البلدان الطليعية في هذا المجال بين بلدان العالم الثالث ومجموعة بلدان عدم الانحياز.

ثانيا: - الترابط بين الانجازات الداخلية وتطور المكانة الدولية

لايمكن الفصل بين ما حققه العراق من مكانة دولية متطورة وما حققه من منجزات على الصعيد الداخلي، ذلك ان المجتمع الدولي لايتعامل مع الدولة ككيان رسمي فحسب وانما ينظر الى مكانة الدولة نفسها لدى مواطنيها. ومن هذه الزاوية نلاحظ ان الثورة حققت سلسلة من المنجزات، كان لها تأثير واضح في رسم صورة مشرقة للدولة العراقية على الصعيد الدولي، ومن ابرز هذه المنجزات: -

١ - الثقة العالية والمطلقة بين الشعب والقيادة، ذلك ان الدولة التي يقودها البعث هي دولة الشعب، وليست دولة فوق الشعب او غريبة او بعيدة عنه. ان هذه الطبيعة لدولة البعث جعلت الشعب هو الحاكم الحقيقي وهو القائد الفعلي لمؤسسات الدولة، مما اكسب الدولة العراقية، ثقة المجتمع الدولي، واطمئنانه الى التعامل

معها لانها تحظى بثقة شعبها والتفافه حول قيادتها .

٢ ـ استقرار النظام السياسي وشيوع الامن داخل المجتمع العراقي مما اتاح الظروف الملائمة لبناء اقتصاد متطور وحياة اجتماعية مزدهرة للمواطنين، وانعكس هذا على رغبة المجتمع الدولي بالتعامل مع العراق كدولة مستقرة لها مستقبل مشرق ودور متزايد على الصعيد الدولي .

٣ ـ حققت الثورة انجازا كبيرا تمثل في بناء قوة عسكرية فعالة قادرة على حماية الامن الوطني، وعلى دعم ومساندة قضايا الامة العربية وخاصة قضية فلسطين مما جعل للعراق دورا لايمكن تجاهله على المستوى العربي، وهذا الدور اكسب العراق احتراما اكبر على الصعيد الدولي .

ان هذه العوامل وغيرها كان لها تأثير كبير في اكتساب العراق مكانة مرموقة على المستوى الدولي وقد عبر عَن ذلك الرفيق القائد صدام حسين، «نحن باختصار نريد عراقا مستقلا متحررا اشتراكيا»، وقد عبرت هذه المقولة عن نفسها في سياسة العراق الخارجية، باعتماد مبدأ التعامل بالمثل وبصيغ التكافؤ في العلاقات الدولية ورفضه صيغ الاستقطاب والاحتواء التي دأبت القوى الكبرى على فرضها كنظام للعلاقات الدولية .

ثالثا : ـ السياسة الخارجية والحرب

اعطت الحرب صورة مشرقة جديدة لسياسة العراق الخارجية لم يالفها المجتمع الدولي من قبل، ويمكن تلخيص ابرز الدلائل التي افرزتها تجربة العراق في سياسته الخارجية خلال الحرب والتي عززت سمعته في المحيط الدولي واثارت اعجاب الدول واحترامها له، على النحو الاتي : ـ

١ ـ ثبات النهج المستقل في التعامل الخارجي

فالحرب ورغم طولها الزمني، لم تؤثر على طبيعة النهج المستقل والطريق الخاص لتجربة البعث في القطر العراقي . فقد احتفظ العراق طوال فترة الحرب بمرونة كبيرة في

التحـرك على الصعيـد الدولي، وكانت هناك دائما بدائل وخيارات مفتوحة للتعامل مع الوحدات السياسية دون الانحياز لها او التأثر بها.

فالحـرب اكـدت استقـلاليـة السلوك السيـاسي الخارجي للعراق واثبتت ان العراق ليس له اي غطاء دولي وان مظلته الاساسية بعد الشعب، هي الاصالة المبدئية والفهم العميق لطبيعة الحياة الدولية.

٢ ـ نشاط العمل الدبلوماسي

تميـزت الـدبلوماسية العراقية خلال فترة الحرب بنشاطها وحضورها الدائم والفاعل في المؤتمرات والمحافل الدولية وتمكنت من ايصال وجهة نظرنا في حربنا العادلة مع العدو الايـراني، وكـونت رأيـا عامـا عالميـا يسـانـد مواقفنـا العادلة من الحرب ويناصر حقوقنا المشروعة فيها وفي الوقت نفسه كونت رأيا عاما عالميا مضادا للعدو الايراني.

٣ ـ انسانية الموقف العراقي خلال الحرب

وتجلى ذلك من خلال صيغ عديدة كالتزام العراق بقواعد القانون الدولي في معاملة اسـرى الحـرب ورعـايتهم ودعـوتـه الجادة والمستمرة ومن موقع الاقتدار والنصر لايقاف القتـال والـرغبـة الصـادقة في اقامة سلام دائم وعادل ومشرف يضمن حقوق العراقيين ويقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدين.

ان هذه المؤشرات اعطت للعراق رصيدا مضافا لرصيد مكانته في المجتمع الدولي، وزادت من احـترام دول العـالم ومنظماته الاقليمية والدولية لسياساته ومواقفه من مسألة الحرب. . وكان للرفيق القائد صدام حسين دور بارز ومتميز في وضع القواعد والاسس التطبيقيـة لسيـاسـة العراق هذه، والتمسك الحازم بعناصرها المبدئية، والتنفيذ الخلاق والمبدع لها. . بل ان الشخصية القيادية التأريخية للرفيق القائد صدام حسين تعتبر من ابـرز عوامـل ظهـور العـراق كدولة اقليمية ذات هيبة وفاعلية، وفي مكانته على صعيد الوطن العربي والعالم الثالث ودول العالم الاخرى.

مظاهر النشاط السياسي الخارجي للقطر العراقي وأثره في بناء مكانته الدولية :

امتـد نشـاط العـراق الخارجي الى المحاور الاساسية للعمل الدولي، وشمل دوائره المتعـددة، وخـاصـة دائرة العمل في اطار حركة عدم الانحياز، وتجاه الكتلة الاشتراكية والكتلة الغربية، والمنظمات والهيئات الاقليمة والدولية، وحقق على صعيد هذه الدوائر المتعـددة نجـاحـات ممتـازة، جعلتـه من ابـرز الدول واكثرها مكانة واهمية خارج نطاق الـدول الصنـاعيـة المتقـدمة، بل انه يفوق في مكانته الدولية، مكانة العديد من الدول الصناعية المتقدمة التي تشكل المجتمع الدولي : ـ

اولا : ـ نشاط العراق تجاه حركة عدم الانحياز

التـزمت سيـاسـة العراق الخارجية بايلاء اهمية خاصة للعلاقات مع دول الحركة من جهـة وبتعـزيـز ودعم مبادىء الحركة وتوضيحها من جهة ثانية وكانت سياسة العراق في هذا الميدان تهتدي بموقف الحزب من حركة عدم الانحياز، باعتباره اول حركة سياسية تقـدميـة دعت الى الابتعـاد عن الكتـل والمحـاور الدولية والتزمت بالوقوف الى جانب حركات تحرر الشعوب وضد الاستعمار والعنصرية، وفي هذا يقول الرفيق القائد صدام حسـين «ان الانحيـاز حسب المفهـوم البعثي في التطبيق يكـون بلا قيـد الى الجـماهـير الكـادحـة، الى الاشـتراكيـة، الى الـوحدة العربية، الى تحرير فلسطين، الى عروبة الخليـج»، وانطـلاقـا من هذه المبـادىء حرصت الثـورة تأكيـد خصـائص حركـة عدم الانحيـاز التحـرريـة ونشر مبادئها الانسانية وتأكيد هويتها التقدمية وتشجيع الانسجام والوحدة بين دول الحركة ضد محاولات التآمر عليها والضغط على اطرافها.

وتطبيقـا لهذه المـواقف بذل العـراق جهـودا استثنـائيـة لدعم دول الحركة، وخاصة جهـوده الـداعيـة لاقـامـة نظام اقتصادي دولي جديد، وتقديمه مقترح انشاء صندوق تشـترك فيـه الـدول الصنـاعية والدول النفطية لمساعدة بلدان العالم الثالث على تحمل اعبـاء التضخم في الاقتصـاد الـدولي الـراهن، كما التـزم العراق وبحماسة في المؤتمرات الـدوليـة والاقليمية، كل ما من شأنه مساعدة دول العالم الثالث وعدم الانحياز، وقدم وبـامكـانـاتـه الخاصة القروض غير المشروطة والمسـاعدات المالية لدول عدم الانحياز،

وبرهن من خلال هذه السياسة على انه الدولة المتميزة التي تقدم القروض والمساعدات انطلاقا من مبادئها وفي سبيل تقديم المساعدة النزيهة التي لم يألفها المجتمع الدولي.

لقد ادت هذه السياسة كما اشار التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع الى تعزيز مكانة العراق على الصعيد الدولي، بل الى فهم افضل من جانب شعوب العالم لمحتوى حركة الثورة العربية . . كما إدت الى تطوير مواقف بلدان حركة عدم الانحياز من القضايا القومية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

ثانيا: ـ نشاط العراق تجاه الدول الاشتراكية

طور العراق علاقاته مع البلدان الاشتراكية في مختلف الميادين، وقد اتسمت هذه العلاقات بقدر واضح من الثبات والاستقرار لاستنادها الى منطلقات مبدئية.

واذا كانت تجزبة البلدان الاشتراكية مع دول العالم الثالث قد تميزت بالتبعية والانتهازية، فان تجربة العراق مع هذه الدول انفردت بكونها قامت على ميادين واضحة ومستقرة اكسبتها الاحترام والتقدير برغم الاختلاف في وجهات النظر حول العديد من القضايا.

فالثورة في العراق اقامت علاقاتها مع الدول الاشتراكية استنادا الى عاملين رئيسيين هما: ـ

(١) ان بين العراق والدول الاشتراكية قاسما مشتركا يتمثل في النضال ضد الامبريالية والعنصرية واستغلال الشعوب ومن اجل بناء الاشتراكية، وهذا العامل يشكل اساسا متينا لاقامة العلاقات معها.

(٢) وينطلق العامل الثاني من المصلحة الوطنية والقومية والمصالح المشتركة للطرفين على اساس مبدأ التكافؤ والاحترام المتبادل لمبادىء السيادة والاستقلال وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

وقد تطورت علاقات العراق مع الدول الاشتراكية في ضوء هذين العاملين تطورا ايجابيا واصبحت علاقات متميزة بل هي تعتبر من العلاقات النموذجية على الصعيد الدولي لاحتوائها على المقومات الاساسية للرسوخ والاستقرار والوضوح. . وتعتبر اللقاءات المستمرة بين العراق وهذه البلدان، وكذلك الاتفاقيات الموقعة معها تعبيرا عن هذا التطور.

ثالثا :ـ نشاط العراق تجاه الدول الغربية

تتحدد سياسة العراق تجاه البلدان الغربية على اساس مدى انسجام سياسات تلك البلدان مع المصالح والاهداف الوطنية والقومية، ومدى احترامها لسيادة واستقلال العراق والبلدان العربية الاخرى، ويتمحور نشاط العراق مع هذه الدول حول مسألتين رئيسيتين :ـ

(١) الاستفادة قدر الامكان من هذه البلدان في مجالات التعاون العلمي والصناعي لتسريع عملية التنمية، دون المساس باهداف ومصالح العراق الوطنية والقومية.

(٢) الاستفادة من احتمالات تفكك علاقة هذه البلدان مع الولايات المتحدة الامريكية، تحت تأثير الدعوة المتعاظمة الى استقلال اوربا ووحدة مصالحها، وتزايد حاجة هذه الاخيرة الى النفط العربي ورفضها لمحاولات امريكا السيطرة على النفط العربي للابقاء على تبعية اوربا للولايات المتحدة.

في ضوء هذين العاملين، يسعى العراق الى اعتماد سياسات تشجع استقلالية دول اوربا عن الولايات المتحدة، وتعزز مصالحها بالوطن العربي، وفي هذا يقول الرفيق القائد صدام حسين «لابد ان نقيم علاقات عقلانية مع بلدان اوربا الغربية ونربط مصلحتها بالوطن العربي».

رابعا :ـ نشاط العراق تجاه المنظمات الدولية والاقليمية

تعاملت الثورة في العراق مع المنظمات الدولية والاقليمية، من منطلق الايمان بان لهذه المنظمات اهمية واضحة تبرر حضور العراق الدائم في انشطتها وفعالياتها، وبذل اقصى درجة الفاعلية فيها، والاستفادة من قراراتها لصالح القضايا الوطنية والقومية.

فعلى صعيد الامم المتحدة، تمكن العراق من الاسهام في اطار هذه المنظمة بدور متميز، اعترفت به احصائيات الامم المتحدة نفسها، حيث اشارت الى ان العراق اصبح يحتل مكانة دولية بارزة، ويلعب دورا، متزايد الاهمية في منظمات الامم المتحدة، ونال مواقع قيادية في عدد غير قليل من منظمات الامم المتحدة.

اما بالنسبة للمنظمات الاقليمية، فان العراق اعطى للجامعة العربية اهتماما واضحا. ورغم ان للحزب رأيا خاصا في الجامعة العربية، فقد تعاملت الثورة

في العراق مع الجامعة بشكل ايجابي بهدف :ـ

(١) مساندة وتشجيع العمل العربي الرسمي بما يوصله الى الحد الادنى تجاه الاهداف الوحدوية

(٢) تأييد كل عمل عربي مشترك داخل الجامعة العربية اوخارجها لتوثيق الروابط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين الاقطار العربية .

وتطبيقا لهذه السياسة دعمت الثورة كل جهد عربي مشترك ، كما ساهمت في كافة المشاريع العربية المشتركة وعززت قرارات الوحدة الاقتصادية العربية والتكامل الاقتصادي العربي .

خامسا :ـ موقف العراق من الاحلاف الدولية والعسكرية خاصة

رفض العراق سياسة الاحلاف الدولية بوجه عام والاحلاف العسكرية بشكل خاص ، تعبيرا عن رفضه للانضواء تحت لواء اية كتلة دولية . . وقد اكد الرفيق القائد صدام حسين ، رفض الحزب والثورة لسياسة الاحلاف وقال ان (سياستنا ضد الاحلاف منذ ان اصبحنا بعثيين) . . ذلك ان الدخول في اي حلف عسكري دولي ، انما يترتب عليه اضرار بالمصالح القومية ، كما يفقد القطر الداخل في الحلف سيادته واستقلاليته ، ويورطه في نزاعات لا مصلحة للامة العربية في الدخول فيها ، كما هي الحال في الحرب الباردة القائمة بين حلفي شمال الاطلسي ووارشو.

وخلاصة القول ان اعتماد الثورة في العراق على مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي في رسم سياستها الدولية ، مكنها من بناء شخصية دولية متميزة للعراق حظيت باحترام المجتمع الدولي ، ونالت اعجابه وتقديره ، وفي الوقت نفسه ، حققت نتائج في الوسط الدولي تخدم القضايا الوطنية والقومية .

خلاصة

موضوع (مكانة العراق الدولية)

اولا :ـ المكانة الدولية تعني ما تتمتع به الدولة من قدرات في التأثير على المنظومة الدولية وبشكل يعمل على تحقيق اهدافها ومصالحها الحيوية وهي حصيلة

التراكم الكمي والنوعي للمواقف التي انتجها السلوك السياسي لتلك الدولة في اطار تعاملها الدولي.

ثانيا :ـ ان بناء مكانة دولية لدولة معينة، يتوقف على توافر التفوق في العناصر الذاتية التي تمتلكها كوجود عقيدة سياسية واضحة ونظام سياسي مستقر، ورؤية علمية استراتيجية للاحداث والعلاقات الدولية، وكذلك على العناصر الموضوعية كالاقتصاد الوطني المتطور والمزدهر والقوة العسكرية القادرة على حماية الامن الوطني والقومي . . . وغيرها.

ثالثا :ـ اعتمد العراق في بناء مكانته الدولية على عنصرين رئيسيين :

ارتباط سياسات ومواقف العراق الدولية بالاسس الفكرية والمبدئية للحزب، وبطريقة مكنته من استيعاب الواقع العربي، ومعطيات المجتمع الدولي وفي اطار عقيدة الحزب القائمة على الاستقلالية وتجنب الانضواء تحت لواء الكتل والاحلاف الدولية والغاء مظاهر التبعية الاقتصادية والسياسية والفكرية، وعبرت هذه المنطلقات عن نفسها من خلال :ـ.

(أ) الوقوف مع الحق والمصالح المشروعة للشعوب.

(ب) ربط السياسات الدولية بما يخدم المصلحة الوطنية ومصالح الامة العربية.

(ج) التكيف مع الواقع الدولي دون الاخلال بالمنطلقات الفكرية للحزب او الابتعاد عن الاستقلالية.

(٢) اقامة علاقات دولية متوازنة شملت مختلف دول العالم وتمحورت حول الدوائر الدولية الرئيسية المتمثلة بالدول الغربية والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز والمنظمات والهيئات الدولية.

رابعا :ـ استفاد العراق في بناء مكانة دولية متطورة من عدة عوامل مضافة منها :ـ

(١) الثقة العالية والمطلقة بين الشعب والدولة.

(٢) استقرار النظام السياسي وشيوع الامن داخل المجتمع.

(٣) بناء قوة عسكرية فعالة قادرة على حماية الامن الوطني.

خامسا :ـ حافظ العراق على صورة مشرقة لسياسته الدولية خلال الحرب، فرغم صعوبة الظروف وقسوتها احيانا، لم يتخل عن النهج المستقل في التعامل الخارجي، ولم يضعف حضوره في المحافل الدولية، ولم يتخل عن نهجه الانساني

والتزامه بالقوانين الدولية في معاملة اسرى الحرب .

سادسـا :ـ كل ذلـك مكن العـراق من بنـاء مكـانة دولية متميزة تفوق مكانة العديد من الـدول الصنـاعيـة المتقـدمـة ، وجعلته من ابرز الدول واكثرها اهمية خارج نطاق الدول الصناعية المتقدمة .

سابعـا :ـ يعـود الفضـل الاول في بنـاء هذه المكانة وفي رسم سياساتها التطبيقية للرفيق القائد صدام حسين الذي وضع بنفسه اسسها ، وقادها على الصعيد العملي .

الفهرست

القسم الثالث ـ فكر الحزب ـ

القسم الرابع ـ ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ـ

القسم الخامس ـ الوطن العربي ـ

ـ القسم السادس ـ السياسة ـ

رقم الايـداع في المكتبـة الـوطنيـة ببغـداد ٢٠٤ لسنـة ١٩٨٥

دار الحرية للطباعة - بغداد

دار الحرية للطباعة . بغداد